

نظير مارون عبود

الرحمة

إلى مؤلفات مارون عبود الكاملة

كارمارون عبود

نظير مَارُونِ عَبَّود

الدرجته

إلى مؤلفات مَارُونِ عَبَّود الكاملة

دار مَارُونِ عَبَّود

حارون وحبیبو
من خلیلہ وکریما

جميع الحقوق محفوظة

لـ (دار مارون عبود)

١٩٨٠

إلى التي كان لها في كل ما قدمت للقراء أثر يذكر. فيشكر
إلى التي كانت لمارون عبود ابنة وأكثر
إلى رفيقة دربي الأمانة .. وشريكتي في وفائي لوالدي ،
إلى زوجتي ، وأم أولادي ،
عربون وفاء وعرفان جميل ،

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧	كلمة لا بد منها
٨	تعريف
الفصل الأول :	

١٤	قرية مارون عبود
٢٢	مولده
٢٦	والده
٣٥	والدته
٤٥	جده ...
٦٣	طفولته

الفصل الثاني : (مدارس)

٧٣	المدرسة الأولى
٨١	المدرسة الثانية
٨٣	المدرسة الثالثة
٨٩	المدرسة الرابعة
٩٥	المدرسة الخامسة

الصفحة

الموضوع

١٠٣ المدرسة السادسة

الفصل الثالث : (الصحافي والمدرس)

١٢١ (١٩٠٨ - ١٩٠٦) - بيروت - المرحلة الأولى في الروضة والنصير

١٣٧ ... (١٩١٤ - ١٩٠٩) - ومدرسة الفرير في جبيل الحكمة ،

... (١٩١٧ - ١٩١٣) - وظائفه الرسمية خلال الحرب العالمية

١٥٠ ... (١٩١٩ - ١٩١٥) - عمله في الزراعة في عين كفاع

١٥٩ ... (١٩٢١ - ١٩١٩) - بعد الحرب العالمية الأولى

١٧٥ بين عاليه وعين كفاع

الفصل الرابع :

١٩٦ بين الأيديولوجية والذاتية

٢٠١ رحلاته

٢٠٧ ذكرياته مع معاصريه

٢٣٠ مرضه الأول

٢٣٧ آخر سنوات التدريس

٢٣٨ مرضه الأخير

٢٤٨ مؤلفاته (١٩٧٧ - ١٩٠٧)

٢٥٧ فهرس الأعلام

٢٦٨ فهرس الشروحات

٢٨١ ملحق

كلمة لا بد منها

عندما أخذت دار مارون عبود على نفسها عهداً بالاتجاه إلى التراث تحييه ، وإلى بعض الأدباء ، تميد الحياة إلى ما انطوى من نتاجهم ، كأديب اسحق ، وفرح انطون ، وشبلي الشميل وغيرهم . كانت تهدف إلى إثراء المكتبة العربية ، وإلى أن تضع بين يدي القارئ ، نتاج عصر النهضة الحديثة - تلك الحلقة المفقودة - وقد ألبسته أبيي حلة فعملت منذ تأسيسها متعاونة مع من تعاونت معهم ، ولا تزال تعمل لبلوغ هدفها هذا . وليس لها من غاية أروم سوى خدمة التراث والحفاظ عليه وخدمة القارئ وتيسير طريقه إلى تلك المؤلفات الثمينة .

وها هي اليوم تطل على القراء الكرام بهذه المجموعة الضخمة لمؤلفات مارون عبود التي تضم كل ما خطه قلمه ، منه ما كان قد نشر مرّات ومنه ما يرى النور لأول مرة ، وقد توخت الدار في عملها هذا أن تجمع آثار هذا الأديب وغيره وتقدمها للقارئ العربي بجلتها الجديدة ، مبنوية ، ومفهرسة ، بحيث تسهل عليه الرجوع إلى ما يريد ، والوصول إلى ما يبتغي بيسر وسهولة . وقد جاءت المجموعة في مدخل وإثني عشر مجلداً . وأجعل المدخل ، كما تدل التسمية ، مسعفاً في الدخول إلى المجموعة كاملة ، إذ احتوى على سيرة الأديب وعلى كلمة وجيزة تناولات مؤلفاته الأولى والصحف التي عمل فيها والدوريات التي نشر على صفحاتها مقالاته^(١) .

أتمنى أن تكون آثار مارون عبود بجلتها الجديدة تخدم القارئ العربي العزيز وتيسر له الرجوع إلى تراث مارون عبود والوصول إلى ما يبتغي ، والله الموفق وهو خير معين .

(١) حرصاً من الدار على ألاّ تكبّد متبعمي أدب مارون عبود مشقة اقتناء المجموعة كاملة . وقد اقتنوا كتبه مفردة ، رأيت أن تصدر هذا المدخل في كتاب خاص بعنوان « مارون عبود من خلال ذكرياته » وقد صدر هذا الكتاب عن الدار . ١٩٨٠ .

تعريف

كانت لوالدي ، مارون عبود - رحمه الله - أمنية يود تحقيقها ، وهي : أن يكتب مذكرات تعبّر عن انطباعات متنوعة ، لأنه عايش تاريخ لبنان المعاصر ، قرابة نصف قرن ، وما رافق تلك الحقبة من تقلبات سياسية ، وتطوّرات ثقافية ، وتبدلات مجتمعية ، فرأى أن يدوّن تلك الأحداث ، ويوضح تأثيراتها ، ورأيه فيها ، خدمة للأجيال الطالعة عليها ، تجد في أمسها عبراً تقيها العثرات في غدها ، وتجعلها تتبصر في كل أمورها وأحوالها ، فتسير سعداً في مراقبي التقدم والنجاح ...

أحاديث كثيرة أثبتت حول هذه المذكرات ، وما عسى أن تتضمن هذه المذكرات ، لأن والدي ، كان قد تحدث عنها للصحافة مراراً قبل وفاته^(١) ،

(١) مارون عبود والصحافة ، صفحة ٢٦ : حيث يقول : « كما اني عاكف على كتابة مذكرات ٣٤ سنة في الجامعة الوطنية ... » .

وفي صفحة ٥٥ : ردّاً على سؤال : حصول المخطوطات التي اكتملت والتي لم تكتمل قال : « هناك مذكراتي وقد أطلقت عليها عنوان : سلة مهملات » .

« وفي صفحة ١٠١ : ردّاً على سؤال : ألم تفكر بتدوين مذكراتك ؟ فأجاب : « بلى ! المادة موجودة ، لا ينقصها إلا فضايرة اليال لتنظيم تنظيمياً تاماً » .

مما جعل الكثيرين يعتقدون أن لمارون عبود مذكرات ، كما تفهم المذكرات وما تحويه ، لكنه لم يترك سوى أفكار مبعثرة هنا وهناك ، بعضها مكتوب على قصاصات ، فلتما تفي بالموضوع ، وبعض آخر أودعه قلب مفكرته اليومية ، وقد وضعها لتكون له عوناً على كتابة مذكراته ، متى حان الوقت ، فأدركته الشيخوخة وأدواؤها ، ومن ثمّ وافاه الأجل ، ولمّا يكمل ما كان قد شرع به ، فتحقيقاً لهذه الأمنية رحلت أستعين بهذه الأفكار ، وأعددتها للنشر ، مع سيرة حياته .

أعدت طبع كتبه التي نشرها في حياته ، كما نشرت له بعض ما كان قد تركه مخطوطاً ، وقد صحّحت العزيمة على المتابعة ، لأنشر تراثه الأدبي كاملاً ، فلا يفوت الأديب شيئاً من هذا الأدب ، لذلك رأيت من الواجب أن أعترف الناس إلى أديب أمين للأدب وبمراحل حياته عامة ، فعمدت إلى كتبه ومخطوطاته ، وتلك القصاصات والمفكرات أستنطقها وأجمع منها الجانب المكتوب ، وأوضح بنوع خاص الجانب الذي يكتنفه بعض الغموض والابهام ، وأضفت إلى كل ذلك ، ما قد عرفته عن حياته الخاصة .

أعترف أن صعوبات كثيرة قد اعترضتني في هذا المضمار ، إذ قد بت على اقتناع تام بأن حياة الإنسان معقدة ، ويصعب على أيّ كان أن يفهم حقيقة ذاته ، فأنسى له أن يفهم حقيقة سواه ؟ إذ مهما تتقدم العلوم والفنون وأنواع المعارف تبق كلها عاجزة عن سبر أغوار هذا الكائن البشري وفهم حقيقته ، لأن الإنسان عالم قائم بذاته ، فتصعب رسم صورة له ، فكيف ترسم صورة لإنسان أديب له أفكاره وتطلعاته ...؟ لذا أعترف مجدداً بعجزني عن رسم صورة واضحة المعالم والمخطوط لمارون عبود الإنسان والمفكر ، مع انه والذي ... ومن المتعارف : اننا لا نستطيع فهم أديب ما على بعض حقيقته ، وبعض أفكاره ... إلا من

خلال دراستنا لأدبه واستيعابه بكل أبعاده ، ومعرفة حياته الظاهرة ، وعصره وما طرأ عليه من تقلبات ، وبيئته ومن فيها من شخصيات مختلفة الأهواء والمشارب ... ولا أقصد بهذا القول ، التطرق إلى دراسة نفسانية ، أو إلى تحليل شخصية مارون عبود تحليلاً درامياً من خلال أدبه ، وإنما غايي أن أنبه القارئ مسبقاً إلى عجزى وتقصيري في إيضاح شخصيته بكل أبعادها .

جلّ ما توخيته وأتوخاه من هذا الكتاب : « حول حياة مارون عبود » هو كشف الجانب الغامض - على قلته - الذي كان رحمه الله يوضعه لي باقتضاب من حياته الواضحة ، مستنداً إلى شذرات تركها ، ورسائل^(١) لكي لا يبقى شيء من الغموض والإبهام يكثف صراحة مارون عبود وجراته ، وصدقه مع نفسه ومع غيره ...

لكي يأتي عملي منهجياً مكتملاً ، بقدر الإمكان ، استقيت من مؤلفاته بعض الإيضاحات المتعلقة بذكرياته ، فرأيت أن القسم الأكبر منها يتعلق بطفولته ، عندها ، استكمالاً لإيضاح سيرة الأديب ، رجعت إلى أصدقائه ، وإلى ما كتبوه عنه وفيه ، أسأل وأقرأ وأستخرج ، معتمداً على بعض ذكرياتي معه ، وقد رافقته في جميع مراحل حياته العملية ، والأدبية ، والاجتماعية ، حتى لقد كنت له كالظل ، في عين كفاع ، في عاليه أيام كان أستاذاً هناك ، وتلمذت على يده تلميذاً وإبناً ، ثم راصفته في رسالة التعليم سعابة خمس سنوات ، ورافقته في فورة إنتاجه ، فاستكتبني كل ما كان يريد أن يكتب أو يؤلف ،

(١) من بين هذه الرسائل ، ما ورد إلى مارون عبود من عدد من أصدقائه وعارفي أدبه ، والتي ستصدر قريباً كجزء ثانٍ متمم لـ « رسائل مارون عبود » الذي صدر حديثاً ...

وهذا العمل الجأني إلى تعلم الضرب على الآلة الكاتبة صغيراً لمعاوته وللسرعة في العمل....

كما عشت معه أيامه الأخيرة ، الأيام التي كانت قد غلب عليه فيها الضعف والوهن ، وقد وافاه الأجل وليس فيه من مرض سوى مرض الشيخوخة ، أو ما يسميه الأطباء : الانحلال الطبيعي ، حتى بات كالشجرة الهرمة ، كلها شاخت سقط منها فرع ، فقد كان مارون عبود يفقد كل مدة إحدى قواه الجسدية ؛ فقد أولاً : قدرته على التوازن والاستواء في مشيته ، إذ كثيراً ما كان يقاجأ بدوار يلقيه أرضاً ... ، ثم ما لبث حتى أصبح مقعداً ، ولكنه - والحمد لله - بقي محتفظاً بذاكرته ، مثابراً على العطاء ، وهو جالس على الكرسي وكانت عطاؤه الأخير : كتاب « مارون عبود والصحافة » . آخر الأمر فقد قوت النطق . هنا حدث ، يا قارئ الكريم ، ولا حرج ، عما أصابني من الإحراج والضيق والمرارة ، في تفسير ما كان يريد قوله ، أو ما أريد أنا ، ولم يقتصر الإحراج وما تبعه عليّ ، بل كان لكل نصيبه من ذلك . واعتمدت أيضاً على ذكرياتي الشخصية ، وغالباً ما كانت تخونني فيها الذاكرة ، فتبدولي متشعبة مها حاولت أن أربط بينها ...

وإيفاء للموضوع ، وسدّاً لبعض ثغرات قد تعترض عززت الكتاب ببعض الصور ، وهي في اعتقادي ، أكثر تصيراً ، وأبلغ أداءً من الكلام ، الذي قد يكون مملاً في بعض الأحيان ، فترتاح لها النفس وتتوضح للعين المعالم والدروب ...

انسي لآمل أن أكون قد مهّدت الطريق ، بكتابي هذا ، وكتاب « رسائل مارون عبود » ، وكتاب « مارون عبود والصحافة » ، أمام الباحثين ، ودارسي أدب مارون عبود ، وأن أكون قد حققت أيضاً رغبة الكثيرين من الأصدقاء الذين ألتوا عليّ بمتابعة العمل لوضع كتاب يعرفهم بمارون عبود أكثر فأكثر ،

وبسيرته كاملة وواضحة عن كتب لعلمهم بأني لست ابنه فحسب ، بل الرفيق
الظل ، والكاتب الأمين ، والمجتل الصادق ...

منتهى أمني أن أكون قد وفيت للوالد الكريم ، القائم في ذمة الله ، بمض
حقه في الحياة والمهات ، لأن حقوق الوالدين كبيرة وعظيمة ... وأن أكون
وفيت بالغرض الذي زميت إليه ، وخدمت طلاب المعرفة والحقيقة ...

عين كفاع ١٩٧٨/٨/٦

نظير مارون عبود

قرية مارون عبود

قد يستغرب القارئ ، ورود حديث عن القرية في بدء كتابي ، وقد يسائل نفسه ، ما دور القرية في كتاب يبحث عن حياة مارون عبود ؟ ولكن أوليس الإنسان ابن بيئته ؟ فكلامي عن القرية في مطلع هذا الكتاب إنما هو من باب التعريف بمسقط رأس مارون عبود ومنبع وحيه .

تلك هي (عين كفاح) إحدى قرى لبنان ، الرابضة فوق رابية تحيطها الجبال من كل جهة ، إحاطة السوار بالمعصم .

عين كفاح ، هي إحدى قرى بلاد جبيل ، حيث ولد ونشأ مارون عبود ، وتحت سمائها ترعرع ، ومن ثمارها تغذى ، ومن خيراتها تعلم ، وتحت سنديانتها كانت أولى معرفته بالحرف . . . دروبها وأزقتها وبيادرها كانت ملاعب شيطنته الأولى ، فأجبتها بطبيعتها ، كما كانت بالنسبة لأدبه مبعث وحي وإلهام . . . فرافقه طيفها طوال حياته ، وانطبعت صورتها في أعماق نفسه . وفيها قال :

« عين كفاح في نظري نبع وحي كبير ، كل شيء كعبته في جوها . هناك أقتسك لأدبي بعيداً عن مشكلات الناس في الصيف . إنها بلد صغير ، لكنه منوع المشاهد . كل قمة فيها لها طعم خاص . إنها بلدي وحببية جداً على قلبي ، وذكرتها خصوصاً في « أحاديث القرية » ، وفي معظم أقاصيصي ورواياتي »^(١) .

(١) مارون عبود والصحافة ص ٧٩ طبعة دار مارون عبود ١٩٧٨ .

ولشدة تعلقه بهذه القرية اعترف لها بهذا الجميل في أكثر من موضع في كتبه.
وأظهر حبه لها في أحاديثه مع الصحافيين فرووا عنه قوله :

« أنا لا أستطيع أن أكتب قصة إلا مستوحاة من جو لبنان ، لبنان العتيق ، « جبل لبنان .. » ، فإني ابن القرية اللبنانية ، أستطيع أن أصوّر حياتها ونفسيات أشخاصها ، فإذا كتبت في هذا الموضوع جاء نتاجي طبيعياً بعيداً عن الزيف »^(١) .

وقد آثرت أن أبدأ الحديث عن القرية ، لأن للبيئة دوراً هاماً في حياة الإنسان ، وتكوين شخصيته ، ومن ثم نتاجه الأدبي . ان هناك أموراً عدة تلعب دوراً أساسياً في تكوين الشخصية الأدبية ، والعودة إلى تفاصيلها من اختصاص علم النفس ، غيوان ما يهمني هو أن أوضح أهمية البدء بالحديث عن قرية مارون عبود ، لأن البيئة الطبيعية التي عاشها كياناً وروحاً ومعنى ، ولأن لماورون عبود مع القرية حواراً خاصاً ، قائماً بين الأديب والطبيعة التي يرتبط بها . فمعظم أدبه القصصي يدور حول القرية اللبنانية بكل ما ترمز إليه من عقلية ، وما فيها من هموم ومشاكل وبما تمثل من بساطة .

والحديث عن القرية هو جزء من الحديث عن مارون عبود لأنها أصبحت كلاً واحداً . لقد انطبعت نفسيته بالطابع القروي العفوي الذي يتصف بالبراءة والكرم وحسن الضيافة .

ولإبراز معالم هذا الإطلع الطبيعي الذي نشأ فيه مارون عبود ، لم أجد أبرع وصفاً ، ولا أدق معنى من كلامه عن القرية . فعندما تقرأ مارون عبود وهو يكتب عن القرية ، عن أهل القرية ، تجد نفسك أمام راوية خلاق ، ومحدث صادق ينقل أحاديث القوم ، وأمام عين مصورة وصادقة تعكس عليك المشاهد الحية لمختلف أعمالهم في أفراحهم وأتراحهم . فعين كفاح كما يقول :

(١) مارون عبود والصحافة ص ٧٩ طبعة دار مارون عبو ١٩٧٨ .

« قرية مشواضة ، قائمة على رابية بين الجبال ، تطل على البحر من الجهة الشمالية ، حيث يمتد نهر شتوي طويل متعرج ، تتناوح حوله شماليخ الجبال فتكاد تتصافح ، وتتفكك سلسلة ذلك المنظر الرائع عند جسر المدفون .

وفي الجبال المنتصبة حول عين كفاع مغاور عديدة مفتحة الأشداق كحناجر المظلومين ... أشهرها : مغارة سيدة القطين التي كانت ديراً للحبساء الأبرار في ذلك الزمان ، ولا تزال آثاره قائمة في قلب ذلك الصخر ، تلقي على الذين يقصرون دروساً وعبراً .

وأمام القرية ، شرقاً ، ينبسط سهل صغير مقعر ؛ يسمونه (الوطا) كله أشجار زيتون يتخللها تين وسفرجل واجاص ، وأدواح سنديان وعفص وبطم تتعرش عليها الكرمة ، فتغني الملاكين عن القلال .

ويلتف الوطا ، قبلة ، حول القرية ، فيتصل غرباً بواد يمتد حتى يتصل بالنهر الشتوي الذي كأنما سموه المدفون لاختفائه بين الجبال حتى يكاد لا تراه . فعين كفاع ، كما رأيت ، « جزيرة برية لا يدخلها قادم إلا من الجهة الشرقية ، فكانها حصن طبيعي .

حديثها حديث كل قرية في الأرض والمريخ ، فالناس ناس في كل مكان وزمان ولا يعقند الحياة إلا المدنية .

عين كفاع لفظة سريانية مركبة ، تعريبها : العين المخفية . ووافق الاسم المسمى ، فخفيت على الحكومة ، فكانت كأبي فواس حين قال :

تحجبت عن دهري بظل جناحه فصرت أرى دهري وليس يراني

ولو كانت تحت الجناح لانتظرت النقف ، ولكنها بعيدة عن الحضانة . فلا فرخاً أنتجت ، ولا بيضة سلحت .

كانت على عهد لبنان معبر القوافل القادمة من جبيل وجونيه وبيروت وصيدا ودمشق ، مثقلة بالبضائع إلى بنادر الشمال : دوما وبشري وإهدن

وغيرها من دساكر لبنان ، فكانت الطريق ثرثرة أبداً ، لا تخلو من الرجل والحافر . أجراس بنغال وجمال تدق ، وجلجل حمير تهمهم ، مكارون يغنون ، مع الفجر ، العتابا والميجانا والمواليا والمعنى والقرادي ، وأحياناً أناشيد كنسية مثل : ان قلبي في هوى مريم ، وصلاتك معنا ، واطلي عنا ، فتظن أن بيعة سيارة فيها أجواق مرتلين ، لولا سب الدين ، إذا تعس الحمار أو كبا البغل . أما اليوم فالطريق خرشاء طرشاء كسماع الحكومة عن ندائنا .



لوحة زيتية ، للفنان زاد جبور ، تمثل عين كفاس ، قرية المؤلف ، في معرض مارون عبود ، ويظهر إلى اليمين مدفن المؤلف ،

أما موقعها الطبيعي فدونك وصفه الوجيه (جزيرة برية) على رابية مخروطية مفرطحة قليلاً ، تعلو مئتين وخمسين متراً عن الأودية التي تطوقها . خطّ الجدود قرينتنا الصغيرة في عين حكومتنا ، فإذا نظرت إليها من جبل معاد تخالها حازوناً ، يمحدها شمالاً نهر شتوي يسميه الجغرافيون نهر المدفون ،

وغرباً واد شتوي أيضاً يصب في النهر، وقبة وشرقاً سهل مقعر قليلاً، مساحته بضعة أميال مربعة تمت حدود بطريركية فارناي Verney ان صح ما قاله فينا الاب ل. خليل ، (بشير ٤ تموز ١٩٣٥) .

في هذا السهل غرسوا وغرسنا الزيتون ، والحكومة من الملاكين أيضاً في هذا السهل الحصب ، ولم زجت - على عهد السلاطين - في السجون من أبرياء اتهموا بعمق زيتونها ، وما كان الجاني غير العاصفة ... أما في صدور الجبال المتكئة حول عين كفاع ، كثير امرىء القيس ، في عرائن وبلد ، فأغراس عنب وتين ، وكل ما عرف الفلاح اللبناني من أشجار مثمرة ، فصار يحق لنا أن نرقل : (والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين) . حقاً انها بلد أمين ممن يدخلون القرى فيفسدونها .

إذا تأملت ترى الحيطان منظمة كسطور ابن مقلة ، فتحسبك في مدرج روماني ، والعرائش كالعرائش تجمل قلاها كأنها عذارى دوار في ملاء مذيل .

والقمم ، وما أجمل تلك القمم ، تختبئ خلف بعضها كعذارى لبنان في محفل ، عنيت القرويات لا المتسابقات إلى عروش الجمال .

الوادي الشمالي رهيب جداً ، وضيق جداً كصدور اللاهوتيين المتعرجين... تتناوح فوقه الجبال حتى تتصافح ، يمتد من ميفوق إلى سيف البحر حيث بني على قدميه جسر المدفون . مصافته عشرون ميلاً أو تزيد ، وتعاريفه أوضح ما تكون في عين كفاع ، فكأنك أمام فسطان الملكة فكتوريا الثنى والمطوى بشكل ملوكي . ولو كان هذا الوادي الذي تطل منه القرية على البحر عريضاً ، تجري فيه المياه ، لقلت لك الدردنيل أو البوسفور . ولكنه يضيق فيصير قيد باع فقط . وفي هذا كان يربض الناس لتحية بعضهم في الليالي السوداء ، وكل ليالي « الزرادات » سوداء ، واني لضوء القمر أن يبدد ظلمة لا تكاد تثيرها أمه .

في القرية وحولها هوى عديدة ، فقرب بيتنا هوة سدها جدودنا فصرنا
نقصد هوة « المسامير » حيث ندهور الحجارة ونصفي إلى صوتها وصداها ،
فتساقط من درجة إلى درجة فنعد السبعين والثمانين ولا تزال نسمع التدهدي ،
حتى اعتقدنا ، صغاراً ، أن هناك باب جهنم ... وكانوا يخوفونا بخروج الجن
والشياطين والنفاريت والرصد من تلك الهوة ليصدونا عنها .

حول القرية كهوف تعد بالعشرات ، مهرة فوه ككواسر لامية العرب ،
فكأنها قم الدهر يحدثنا بما مر أمامها من مشاهد وعبر ولا نفهم ولا نعي شيئاً .

أما غابات القرية ، وجل أشجارها سديان ، فربعات ومثلثات
وموشورات على جوانب كزمها ، وفي الجهة الغربية غابة تكسو الجبل من قمة
رأسه إلى أخمص قدميه ، وفي الجهة الشمالية بقعة كبيرة كلها من الآس .

القرية نصرانية مارونية ، وقديسها مار روحانا ، يعيدون له في ٢٩ أيلول ،
كأنه عيد القطاف والعصير ، أو مناحة أمنا على فتى فصولها . ان عجائب القديس
مار روحانا كثيرة ، أكثر من عجائب يسوع ، وحياته غرائب .

أما بيت هذا القديس ، « كنيسة الخورونية » فبنيانه فخم متين مشيد على
بقايا برج قديم لا تزال آثاره ماثلة ، فزاويته القبليّة الغربية راسخة على حجارة
ضخمة كأنها من قلعة بعلبك ، وإن كانت دون الكبرى ضخامة ، فكان حجارة
الهيكلين من مقلع واحد . أما درج الكنيسة فداخلي ، وهي أشبه بحصار منها
بهيكل ، وفي خاصرة حنية الكنيسة حجرة مخفية أعدها القدماء مدفناً
لكنوزهم ، إذا اجتاح الغاشمون قريتهم وأخذوها عنوة . وسنديانة الكنيسة
الضخمة الهرمة التي أكلت الأيام جذعها ، كقلوب الفريسيين ، فتحدثك بعمر
الهيكل . فعين كفاع ، كما ترى ، حصار طبيعي لا يدخلها الجبابة ومبلغوا وأمر
الحكومة إلا من بابها الشرقي ، ولولا هؤلاء ما عرفت القرية أن في الدنيا
حكومة . فعين كفاع ، قبل الطائرات ، كانت قرية محسدة في ليالي الأهوال

لا يلجأ أحد بلا تعب وعناء ، ومن يضل الطريق لا يستطيع الخروج منها إلا إذا عاد من حيث أتى .

هذه هي عين كفاع المسكينة . ومن محاسنها اليوم بعدها عن الضوضاء ، فكان الحكومة الجليلة أرادت أن تبقى في بلادها المحروسة نموذجاً للقديم ، فما وجدت أصلح من عين كفاع ، في بلاد جبيل ، مهد الديانة والحضارة الأولى ، فسدت آذانها عن نداء أهلها .

تمتد القرية على الحرير ، وقد مات ، وعلى الزيتون ، وهو مختصر ، وعلى العنب والتين ، وقد هرما ، وعلى التبغ ، ويد شركة الحصر آخذة بختاقه ، وعلى السفرجل والاجاص وغيرهما ، فلا تبيع ثمرة لتعذر النقل ، فتسقط الثمار تحت أماتها وقضي المزارعين عن الأسمدة .

سما عين كفاع صافية كقلوب القرويين ، فلا ضباب ولا رطوبة . أفق كعين الديك لا يتعقد ، فيه سحاب إذا اصفنا . ثمار استبدت باللذادة ، وخمرة دونها خمرة شيبانيا يوردو ، ذاقها أجناب كثيرون فأعرضوا عن خمرتها واحتسوها متمطقين .

عين كفاع مجرى هواء . وللريح فيها هينة أزلية ، ولولا أن عين كفاع على قمة ، لقلت لك انها ومحيطها كصحن ماثوم . يمر الصيف ولا يلزم واحد فراشه . الجميع في عرازيلهم وعلى مصاطبهم . عرب متحضرون ينامون على ابتسامة القمر ، ويستيقظون على غمز النجوم . لا يعرفون البق والبرغش . الجداجد تزمزم في أوديتهم كابن المقفع ليلة إسلامه ، والحجلان تقوي مترحة على المعري ، والشعالب تعوي مسبعة خالق الدجاج والعنب والقثاء ، فتجيبها الكلاب ، فتسد بوزها .

في عين كفاع تنتهي حدود الزمن ، ومقاييس الناس ، وعرف البشر

وتقاليدهم . فناموسيتي فيها مذرقة مديحة بألماس غماز ، ومناطقها الجاذبية كما يزعم أحفاد نيوتن ، وكرمي رفراف أو افريز أو صفة . المحصول مشترك ، لا بيع ولا شراء إلا إذا ضخمت الكمية . على الغريب ابن السبيل أن ينادي الناطور ثلاثاً ، فإذا لم يجبه حل له دخول الكروم والأكل من ثمارها . الأكل مباح ، أما الأخذ فسرقة وتعمد ، تلك هي الاشتراكية المعتدلة .

كثيراً ما كان يزورنا مجهولون ويصرفون في وادينا أياماً وأسابيع وشهوراً فتقرهم مما ملكت أيماننا ، حتى يستسلموا إلى الشريعة التي تطاردهم ، أو يعفى عنهم .

إن يد الشرطة والجنود قصيرة عن مطاردة الأشقياء في وادينا الرهيب^(١) .

(١) أحاديث القرية ، طبعة دار مارون عبود - دار الثقافة ١٩٧٦ الصفحة ٣٣ وما يليها والصفحة ١٦٧ وما يليها .

مولده

كان الطقس شتاء ، وفي أعظم أيام الشتاء برداً ، بتاريخ التاسع من شهر شباط سنة ١٨٨٦ ، وهو عيد مار مارون ، في عين كفّاع ، وفي بيت كاهن القرية ، هو بيت الخوري حنا عبود كاهن الرعية حينذاك ، وبعد مخاض استغرق ثلاثة أيام ، أنجبت كاترين زوجة حنا عبود ابن الخوري حنا عبود ولدها البكر ، فسمي مارون تيمناً بأبي الطائفة الذي ولفقد عيدُه يوم مولده .



(البيت الذي ولد فيه مارون عبود عن لوحة للفنان اشيل انجيليني)

ولعل تسميته بهذا الاسم عائدة إلى تأثير جده الذي أراد له هذه التسمية كما يقول ، غير ان اللبنانيين لا يزالون حتى اليوم يدعون أولادهم باسم قديس أو قديسة إذا ولدوا في يوم عيد من الأعياد ، تيمناً باسم صاحب العيد ، يقول مارون عبود حول هذا الموضوع :

« كان علي والدي أن يخلّف ، وعلى جدي أن يسمّي . فكان كلما رزق والدي مولوداً هرع جدي إلى السنكسار ليرى القديس الذي تعبد له الكنيسة في ذلك اليوم ليطلق اسمه على المولود الجديد » .

وكان الطفل ضعيف البنية . مما جعل الكثيرين يعتقدون أنه مكبوس . وأغلب الظن أن الأهل ، تجاه هذا الحدث ، تصرفوا كما كانت يتصرف أهل القرى آنذاك ، فتعددت التدور . ومما زاد الموقف تعقيداً أن والدته لم تستطع أن ترضعه ، فقد جفت حليبها . ولعل هذا يعود إلى انحراف في صحة الوالدة ولمّا لم يكن هنالك ما نشهده اليوم في حقل تربية الأطفال وإرضاعها ، فقد حاول الأهل أن يجدوا مرضعاً للولد ، فلم يفلحوا ، لأن المرضع التي اقترحتها الوالدة لم تعجب الوالد ، وكان من نصيب الولد أن تُغذّي بحليب المواشي : يقول :

« تلك بقرتنا « عبيدة » فأينها « الأزهر » أخي الرضعي ، فلا تتمجب إذا ما قلت لك أن بيني وبين البقر قرابة ... والأستاذ ، ان صح قول الشاعر ، هو الاب المفضل لتلميذه لأنه مربى الروح ، والروح جوهر !! وإذا صح قول من قال : ان محبة الآباء تتصل مع البنين ... عرفت لماذا صار ابني الروحي ، علي سعد ، طيباً للبقر ، بعد أن أجزى ليكون « محامياً » عن البشر » .

إن حكاية هذه القرابة البقرية عريقة في القدم ، يبتدئ تاريخها بعد ميلادي السعيد بثلاثة أيام . انقطع رزقي من يوم ولدت ، فالمرحومة والدي كانت غير حلوب ، ولو لم أكن طويل العمر لرحت ضحية عناد والدي .

لم يكن في الضيعة كلها غير مريض واحدة، والوالد لا يرضعني حليبها لأسباب مات ولم يصرح بها ... وبعد اثنار يومين ، فضت المشكل بقرتنا « عبيدة » فكانت مرضعي لله در درها ... وهكذا صرت وابنها الازهر رضيحي لبنان ، كما كان الندي والمعلق عند الخطيئة .

وتوثقت عرى القرابة بيني وبين البقر ، ولكن مصيبة جديدة مدت أذنيها في صبيحة حياتي ، فبعدت الثقة بيني وبين المثلث الرحمت جدي الخوري . كان يتلني صغيراً ، ولما كبرت وعسيت ، صرت أركب رأسي ولا أبالي به ، فيحمي علي ويقعد ، يؤصلني ويفصلني قائلاً: راضع حليب البقر كيف يكون!! منح فـج ، رأس يابس لا يتكسر بالقدوم ، متى عرد رُح من الدرب ، ثم لا يسكت حتى يفرغ ما في جرابه من تلك (الألفاظ الكتابية)^(١) .

كذلك ظلت فكرة كونه مكبوساً تلازمه ، فتكلم عنها فيما بعد وألمح اليها في مقالة عنوانها : « الناس » وأن يكن المعنى المقصود من حديثه عن ذكرى ولادته يتركز على عبودية الإنسان لآراء الناس فإن فيه ما يؤيد رأينا انه كانت مكبوساً . وأن يكون هذا النص يمثل مشهداً يتكرر في القرى كل يوم . صورته مارون عبود بكل بساطة وبروحه الساخرة ، فقال :

« لقد أصبحت عبداً للناس منذ تصورت في البطن . وتقيدت بسلاسل مشيتهم حين رفعت يدي أول مرة نحو السماء » .

ضايقتني فضولهم منذ تحركت في ذلك الزندان ، فتهاقتوا علي والدي ساعة عرفوا أن عددم سيزداد واحداً . هذا يدلي برأي طبي ورثه عن جد جده ، وتلك تنثر نصائحها وإرشاداتها الصعبة ...

وهكذا توطدت العلاقات بيني وبين أصحاب المروءة وصاحباتها . أرسلوا

(١) من الجراب صفحة ٥٥ وما يليها - طبعة دار الثقافة .

إلى نجدة ، تلو نجدة ، قبل تشريفي هذه الدنيا ، ليحفظوا حياتي الغالية ، فلا أذهب طرحاً وتخسر الإنسانية واحداً ، ليته لم يكن .

وبعد آلام استمرت ثلاثة أيام غير كاملة ولدت أخيراً ... ولو عرفت أن نساء القرية في انتظاري وإني سأعرض عليهن واحدة واحدة لهربت . ولكن أين المفر ؟ ما أرسلت أول صرخة حتى وقعت عليّ عيونهن وامتدت إلي أيديهن : كل واحدة تحاول أن تستلم الحجر الأسود ...

وكان معرض قصير الأمد عقبه التقدم المر . هذه فروزني وتقلب شفيتها السفلى . وتلك تنظر إلى التي حدثها رافعة حاجبيها وجفنها إلى العلا . وأخرى تميز بعينيها . وواحدة تقرص جاريتها قرصة خفية وتقول : يا حسرة ! هاتيك تقول : دمى ، وتلك تقول : مليم - وتجرب اليباء وتقطعم الحاء . وأخرى تقول : بشع ولكن بشاعته حلوة ... وغيرها تقول ، جبراً لحاطر الوالدة المنكوبة : الولد يتغير ويتقلب - منتحلة لي العذر كأني أنا أفرغت نفسي في القالب الذي لم يعجبها .

لم تقل : اسم الله حوله وحواليه ، يخزي العين عنه ، إلا واحدة فقط تعرفون من هي : هذه امتلأ فيها ضحكاً وقلبيها فرحاً ، وحشي صدرها رجاءً وأملًا . وكيف لا ، أما صارت أمًا ؟ ..

وتعددت النذور إلى قديسين وقديسات وسيدات اختصاصات ، فلم ينفعني إلا سيدة (المكبوسين) فاستويت على قدمي :

تحنفت هذه (السيدة) على الوالدة فحشى ابنها (المكبوس) مشية الجواد المشكول^(١) .

(١) وجوه وحكايات ص ٨٨ طبعة دار مارون عبود ١٩٧٢ .

والده

ذكرت في المقدمة : أن الإنسان ابن بيئته ، والبيئة هي التي أثرت على مارون عبود ، فإنه تأثر بالأرض : جبلها وسهلها ، قممها وأوديتها ، وهادها وهضابها ، مائها وهوائها ، حيوانها ونباتها ، وتأثر كذلك بالناس . ومنهم من كان لتأثيره أصداء بعيدة نسمعا في معظم مؤلفاته .

فالأشخاص الذين رافقهم في محيطه انطبعت صورهم في مخيلته ، وظلت عالقة في ذهنه . ومنها صورة والده « المرحوم حنا عبود :

هو حنا بن عبد الأحد عبود (عبد الأحد الذي أصبح الخوري يوحنا عبود فيما بعد) عاش كأهل القرى اللبنانية في ذلك الزمان على زراعة الأرض وتربية دود الحرير .

كان ، تقياً ، متمسكاً بواجباته الدينية والخلق الكريم ، وقد ورث هذه الصفات عن والده خوري الضيقة . وكما يقول اللبنانيون : يعيش عيشة صالحة ويسهر على تربية أولاده ويحسن تأديتهم ، فهو نموذج اللبناني الذي تحدث عنه مارون عبود حيث قال :

« اللبناني لا يتمنى ثروة وافرة ، فحسبه القوت . نشأ وهو يردد : هنيئاً لنفسٍ ما عليها ولا لها . »

إنه خشن كصخوره ، إذا حصل على البرغلات والزيتات والتينات ، عاش

عيشة راضية ، أما ما يشغل باله ، فهو تعليم ابنه ولو القراءة البسيطة ، وتعليق الحرف ، وكتابة الهندي ، أي الأرقام الحسابية .

وإذا قلت لواحد منهم كيف الحال ، فلا يشتكي الفقر ، ولا يتذمر من خشونة العيش . اللهم الاكبر هو خوفه من أن يفوته تعليم أولاده « (١) » .

كان والده يقدر أهمية العلم ويعتبر أن من أول واجباته تعليم أولاده . ولعل تطلع العيلة إلى العلم يعود إلى ذلك الشيخ الكاهن الذي كان ، على ما يبدو ، يعي أكثر من غيره أهمية التعليم في ذلك العصر . وهكذا جعل الوالد « يفكر بتدبير مدرسة لمارون ، ويهتم بتعليمه » .

كان والده صارماً في معاملته ، يعمل بقول ابن سيراخ : (من أحب ولده فليحضر له القضبان حزماً حزماً) وهذه التربية الصارمة عادة لا يزال بعض اللبنانيين يأخذون بها حتى يومنا هذا . وبما يدل على تلك العقلية المتمسكة بالتربية الصارمة : قولهم : (إذا بدك تريح ابنك ربيه) .

وهكذا نشأ الولد في ظل أب لا نقول انه ظالم ، بل نعتبر قسوته حزماً سليم النية ، شريف الغاية ، كما وصفه مارون عبود حيث قال :

« أما الوالد ، رحمة الله على ترابه ، فكان له أداتان يسبكني بواسطتها في قالب الناس : قضيب ، ولسان أمر من القضيب . إذا تحركت في مقعدي وقف حاجباه على سلاحها استعداداً للطوارئ ، ثم يصيح بي : اقعد مثل الناس . وإن ترنمت صباحاً ، وصوتي رخيم كما تعرفون ، انتهرني قائلاً : سبّح ربك مثل الناس ، بهم انت ؟ وإن مددت يدي إلى الزاد قبلهم ، أو كبرت لقمي ، انتهرني بقوله : كل مثل الناس . وإذا ضحكت ضحكة ليست على الوزن والقافية ، قال لي : اضحك مثل الناس . وكثيراً ما كان ينهاني عن الضحك عملاً بالمادة المشهورة من

(١) أحاديث القرية ص ١٠٦ .

قانون آداب المجالس : ضحك بلا عجب من قلة الأدب^(١) .

إلى جانب هذه الصرامة ، كان والده رصيناً بحسب الضحك خطيئة ، على حد قوله :

« كل ما أعرفه هو أنني نشأت نشأة زميئة في كنف رجل يرى الضحك جريمة ، فكان يهز لي العصا كلما خف وقاري ، فأعود إلى الترصن . وكان صباي وشبابي رصانة لا قيمة لها لأنها مصطنعة وضد طبيعي . فأضعت ذاتي زمناً طويلاً ، ولم أعتز عليها إلا في ظهر العمر ، وصرت أخيراً كما . يقول أبو نواس : « وشيبي بحمد الله غير وقار »^(٢) .

كانت الوالد ملماً بأمور القراءة لا يهمه سوى أن يعلم ابنه تعليق الحرف كما يقول : ولكن جده الخوري كان أكثر تمسكاً بتعليمه . فهو الذي علمه الألف باء بعد أن أحس أنه بدأ يتأخر ، وأنه مصر على البقاء « ذنب الصف » .

« وصبر جدي الخوري عليّ أياماً ، ولما رآني مصرأ بعناد على البقاء حيث أنا ، أي ذنب الصف ، لم يرض بها حالة . أيكون حفيده في هذا التأخر المخزي؟ وبعد أن أخذه الجد من المدرسة ليعلمه ، يقول مارون عبود :

« وقعد جدي على المصطبة ، وقرفت أنا أمامه ، فشرع يعلني الألف باء ، فضحك والدي وقال لأبيه : الصبي راضع حليب بقر ... لا تتعب قلبك .

وقرصت تلك الكلمة والدي - لأنها لم تكن التي يقال لها : لله درها - فاستعبرت . أما جدي فهز لوالدي الموجب - امم عصاه الموسوية - وقال له : انتم ما تعلم أحد منكم ، اترك الصبي يتعلم^(٣) .

(١) وجوه وحكايات ص ٨٩ .

(٢) سبل ومناهج طبعة دار مارون عبود ص ١١ .

(٣) رواد النهضة الحديثة ص ٢٩ و ٣٠ طبعة دار الثقافة ١٩٧٧ .

وشاه والده الذي كان ملماً بأمر القراءة العربية والسريانية أن يختبر ابنه
درومه ليعلم أين صار وكيف : يقول مارون في ذلك :



(والده ، عن لوحة زيتية للفنان الأخ نعمة الله المعادي في معرض مارون عبود)

و شاء الوالد أن يختبرني في إحدى الأمسيات ففعد على عتبة (برطاش)
الباب ، وأقعدني أمامه ، وقال : أين صرت ؟ ففتحت مزاميري وقلت : هنا ،
في الزمور التاسع عشر . فقال : اقرأ . فقرأت ، يا رب بقوتك : قرأت
« بقوتك » كأنها كلمتان ، فصاح الوالد ثم عني المزامير ما فيه تكوك . فنجلت
ونمت تلك الليلة حزينا ، وأظني لم أتمش .

وانتهت القراءة العربية وجاء دور السريانية . فكان التنافس بين الآباء كان
جدي يعطيني السريانية في الليل ويعاونه والدي وعماي حتى حسبتني (خروف
مور) يعلف للمرافع ... وهكذا ظلت محافظاً على الأولوية الضارية ، وطابت
نفس جدي^(١) .

كان والده شديد المراس ، متمسكاً برأيه . يدلنا على ذلك المشاكسات التي
تجري بينه وبين زوجته . قال :

« كان والدي ووالدتي فرسي رهان في المشاكسة . كانت المرحومة كعماوية
والمسلمين ، ان شدوا أرخى وإن أرخوا شد ، فما تقطع الشعرة .
أما الوالد فكان يقطع حبال المراكب ولا يبالي^(٢) .

ومما يدلنا على تمسك الوالد برأيه انه كان يصر على إرسال مارون إلى مدرسة
(مار يوحنا مارون) ومارون يود الذهاب إلى مدرسة الحكمة .

ولكنه بالرغم من تمسكه برأيه ومن أنه كان يرخي لفضبه العنان بعض
الأحيان ، فإنه كان طيب القلب كما تقول والدة مارون .

(فسكنت هنيهة ثم قالت : لعله يقنع ، أبوك يحمي ويهب ، ولكن قلبه طيب .

(١) رواد النهضة الحديثة ص ٣٠ و ٣١ .

(٢) فارس آغا ص ٢٨ طبعة ١٩٧٧ .

أية مدرسة تريد؟

ما كنت سامعه قبل أمس؟ نسيت الحكى عن مدرسة الدبس « أي مدرسة الحكمة » (١).

ومما يظهر تمسك والده بواجباته الدينية، مشاركته على الصلوات، وتأدية فريضة الصوم، عاملاً بوصايا الله والكنيسة وما يرويه عنه مارون عبود:

— عيب يا ابني، الصوم كله سبع جمع!

كنت في السابعة أو الثامنة من عمري، وكان والدي يقول لي: انت شب ملويل عريض، وكيف لا تصوم؟ أترضى أن تكون مثل الأولاد الصغار؟ عيب عليك، ما سمعت قول المثل: الصلاة عادة والصوم جلادة؟

وأنظر أنا إلى عرضي وطولني فأجدني بينَ بينَ، فلا أنا شب ولا أنا طفل، فأخضع للأمر الواقع. وأخيراً تعودت فصرت صائم الدهر لا تطلب نفسي (الترويقة) أبداً. وإذا فككت ربيقي ذهب نشاطي، و (رواقي) فأنمس ويمتنع علي العمل في ذلك النهار (٢).

وكان لا يفوت وقتاً من أوقات الصلاة. ولشدة ورعه يجبر أولاده على مجاراته:

يا سبحان الله!! قلنا خلت عادة من فائدة، فالمرحوم والدي، رحم الله موتاكم جميعاً، كان يجبرنا على الصلاة الجمهورية كل مساء، فلا ينساها ليلة ولا يحرم منها حرفاً. اذكر أنه ساقنا كلنا مرة، وركعنا بجانب فراش أمي الممفوضة، وقال لها: « يا أم مارون، صلتى معنا تصحي ». حاولت المسكينة أن تضعك فكشرت وقالت: « أمي فنجان بابونج أم كاس عرق؟ فضحك وقال: « صلي. بعد الصلاة يكون ألد وأطيب ».

(١) أحاديث القرية ص ١٢٤.

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٢ و ١٦٣.

كانت أمي ، نبح الله نفسها ، من القانتات تحب الصلاة كثيراً ، كيف لا وهي بنت الخوري موسى الذي كان يتوصل إلى ربه بصلاة أطول من يوم الجوع ، ليرفض عنه الشباب الذين يسهرون عند بناته الكثيرات ... وقد سماهن كلهن على وزن واحد ، وإليك اسم المرحومة الوالدة (كاترينا) لتعلمه وتقيس عليه ... ولكنها ، أي أمي ، كانت تهوم متى قامت الصلاة ، فتأخذ بالسجود اللاشعوري ، ثم لا تتفك تفعل ذلك حتى يرفع الوالد عقيرته مرتلاً (طلبة السيدة) .

وكثيراً ما كان ينكعها إذا لم توقظها أول كيريا ليسون ... ثم يمضي غرداً كفعل الشارب المترنم على ما في صوته من بحة وصحل . وإذا استمعنا نحن أخذ يتمطط هو على هواه ، ففسير الهويناء اتقاء لشره ، ثم لا نتنفس إلا حين يناجي المذراء ويضعنا (تحت ذيل حمايتها) ...

ولكنه يعود فيستأنف الصلاة من جديد فتكون كذنب الطاووس في الكبر لا في الجمال ، فيقول : خمس مرات ابانا وسلام لأجل راحة نفس جدكم ليعامله بالرحمة . ويفرض مثلها لجدنا الآخر ، ولجدتنا ، الأخرى ، ومثلها لأقاربنا أجمعين ، ومثلها لجميع الموتى المؤمنين ، ومثلها لأجل ارتفاع شأنت الكنيسة المقدسة ، ومثلها لكل من أجر في بناء كنيسة الضيعة ، ثم لأجل من له علينا فضل وتعب ، وأخيراً لأجل (المنقطعين)^(١) .

وبلغ تعلق الوالد بواجباته الدينية وتمسكه بالتقاليد العريقة حداً قصياً . فإذا أفطر أحد بنيه انزعج وئذمر وإذا رأى الناس يتهاونون في واجباتهم ولا سيما الكهنة ، استشاط وانتقه وفي ذلك يقول مارون عبود :

(جاء الضيعة كاهن كان يعرفني يوم خميس الأسرار ، وشرفني بزيارة فدعوته إلى الترويقة ، مجاملة ، حين ودّع لينتقل إلى قرية تبعد هنا نصف ساعة ركوباً ، فلبتي الدعوة) .

(١) رواد النهضة ص ٩ .

وكان والدي جالساً معنا ، فعبس وقولى حين قام الكاهن إلى المائدة، وقال :
يا الله . وغادر البيت .

ولما ذهب الخوري عاد الوالد وقد وقفت شعرات جفونه كريش القنفذ .
وقال : راح المحترم ؟ إلى أين مسافر حضرته ، إلى يجه ؟ جدك وأنا ، كنا نمشي
خمس ساعات على رجلينا ولا نفطر في يوم عادي من أيام الصوم ، فكيف يوم
خميس الأسرار في جمعة الآلام ؟ يا حسرتي على الرز ضاعت ملاعقه . هذا البيت
ما أفطر فيه أحد في الجمعة الحزينة يا مارون ، تكارم ما شئت واعزم على الناس
ولكن بعد العيد . لا تزعج عظام جدك^(١) .

قد أظهرنا صفات أبي مارون الدينية ، أما صفاته الاجتماعية الظاهرة من
كتابات مارون عبود فتدل على أنه كان يحب الحياة . يقول مارون عبود :

« كان رحمه الله ، يحب الطيبات جميعها . . . ويتهافت عليها ثم يحرم نفسه
إذا اعترضت عناده وجبروته^(٢) » . كما أنه كان راوية أخبار ونكات طريفة
وما لبث أن آخى ابنه ، مارون عندما شب بعد شدة قسوته عليه صغيراً ، وفي
هذا يقول :

« في ليلة من ليالي صيف سنة ١٩٣٠ ، سهر معنا كعادته وأطربنا بنكاته
البريئة ، وأخبره الطريفة وقبل أن يتدهور الليل قال : « يا الله ، علينا صلاة » .
فشق علينا ذهابه لأنه برغم الحمسة والسبعين كان فتي الروح . فركع على تحته ،
قبالتنا ، في بيتنا المنساح بيتي ، وشرع في صلاته ينبر نبرا ، ويرسل الجمل
متقطعة كأنه الحجاج يخطب في الكوفة . وظل يفعل هذا أكثر من ساعة ،
وضيفي الأستاذ جبرائيل ، كان يسمع ويضطرب ، لأنه مصل كوالدي .

(١) أحاديث القرية ص ١٦٤ .

(٢) فارس آغا ص ٣ .

وأخيراً صلى الوالد صلاة (المنقطعين) وتمدد في فراشه وهو يقول :
« حطيت رأسي عافراشي ، سبع صلبان فوق رأسي ... مار مخايل يا ملاك ،
تعينني وقت الهلاك .. الخ » .

ثم تلحف وهو يقول : « يا رضى الوالدين ، يا رضى الرب » .
فقلت لجبرائيل : « انتهت المعركة بسلام ، وتصالح الوالد مع الله ، ونال رضاه
ورضاها ، وسينام على سكين ظهره حتى الصبح .

ولما أصبحنا ، جاء والدنا يسأل جبرائيل عن نومته ، وكيف وجد مناخ عين
كفاح ، أهو مثل مناخ (مار ماما) أم أحسن . فأحسن جبرائيل الرد ولم يزد
على الواقع . أما أنا فقلت : « النومه هنيئة ، لا يرغش ولا بق ولا ناموس ،
فقال : « لا تقل ولا ناموس ... » فضحكت لاستدراكه ، وأعجب به
صديقي الأستاذ .

ثم عدت وقلت : ولكن صلاتك كانت عياطاً ، كأنك تقاتل ربك ، طولتها
يا شيخ بومارون ، فأجاب بغلظة : « اسكت يا معتوه ، أصلي عني وعنك ،
وتقول طولتها ؟ يا ويالك متى مات بومارون »^(١) ...

(١) رواد النهضة الحديثة ص ١٢ .

والدته

أما والدته فهي ابنة كاهن، وكنته كاهن. اسمها «كاترين» بنت الخوري موسى عبود. كانت امرأة صالحة، تهتم بأمور بنيتها وتساعد زوجها في تربية أولاده.

عاشت أم مارون عيناً على الأولاد وعيناً على الرجل. فهي صورة مصغرة للمرأة المثالية التي انطبعت بالطابع اللبناني، فعاشته قوياً وعملاً، وكان المجتمع يحترم المرأة المدبرة بقدر ما تعمل لصلاح بيتها. والمرأة الصالحة هي التي تعمل بلا كلل ولا ملل، وتبيض الوجه في كرمها وضيافتها. وإذا كانت مارون في رسمه صورة أم نخول المرأة المثالية يذكر أن والده كان يتحسر على واحدة مثلها، فالقول لا يحذف بحق والدته بقدر ما يظهر تمسك اللبناني بتلك الصورة المثالية.

«سمعت باسم أم نخول وأنا ابن خمس، فكنت أكبر ويكبر معي. إذا دبّرت امرأة تدبيراً فيه صلاح لبيتها فوهوا باسمها قائلين: عاشت أم نخول. وإن عز شيء في الضيعة ووجدوه عند واحدة قالوا: هذي أم نخول ثانية. وإن مرت على الطريق امرأة مترجلة لا تبالي بمن يتشمسون قدام الأبواب، تتحننوا وتغامزوا قائلين: احم.. أم نخول. وهكذا انطبع هذا الاسم في ذهني كالآبانا والسلام. فالمرحوم، على قلة تقديره للمرأة، كان يلقبها اخت الرجال فيحفظ أمي ولا يبالي، بل يصب النفط على النار فيقول: آه على امرأة مثلها»^(١).

(١) وجوه وحكايات ص ١٣٥.

ان الصورة التي انطبعت في ذهن مارون عن والدته هي أقرب إلى قلبه من صورة والده . وإذا كان علم النفس يعلل هذه الظاهرة دائماً بتعلق الولد بوالدته أكثر من تعلقه بأبيه ، فإننا نرى أسباب هذا الميل عند مارون جلية وواضحة . فالوالدة بالنسبة إليه كانت أكثر حناناً في بيئة قاعدتها الذهبية القساوة ، وقانون إيمانها التربوية الحسنة ولو كانت تتخذ العصا وسيلة لذلك .

أم يقل مارون عبود :

« إنه كانت للوالد أداتان يسبكه بهما : قضيب ولسان أمر من القضيب »
ولذلك كانت ابتسامه الأم كفجر الأمل في تلك البيئة المتجهمه .

وهكذا كانت صورة أم مارون التي انعكست في أدبه عن أمه نقيضاً لصورة الوالد، فهي تمثل الحنان أمام قساوة الوالد وهي الملجأ من غضبه. فلحنان الأم منطق خاص فهي تفتش دائماً عن سعادة ولدها . تحب أن تراه ضاحكاً مسروراً ولو أقام الدنيا وأقعدتها بعكس الوالد الذي يفرض سيطرته بقسوة على أولاده ضماناً لمستقبلهم ، خاصة ، والوالدون حريصون على أن يفرسوا في نفوس الأبناء كل سمات الرجولة ، ليكونوا قادرين على مواجهة الصعاب في المستقبل .

كانت أم مارون متعلقة بولدها ، تخاف عليه الأذى، وتجزع إذا أصابه مكروه . ترى ولدها ملء الدنيا وتسرع لكل ما يفعل .

ولأم مارون قلب رقيق ملؤه الحنان ، ولذلك كانت دائماً إلى جانب ولدها تتشفع له عند أبيه وجده ، وتخفف من وطأة غضبها عنه ، وفي حادثة القديس الاحتفالي الذي أقامه مارون خير دليل على حنانها .

ومفاد هذه الحادثة أن مارون كان صغيراً وكان يلهو مع أترابه فأراد أن يقيم معهم قداساً احتفالياً ، فبنى كنيسة صغيرة وعلق لها جرساً ولقد استعان

لهذه الغاية بفرستان عرس أمه وبصور كتاب لجدّه . وكذلك علبة البرشان الذي جعل منها مبخرة ، ولما عاد الجد والوالد وعلما بذلة مارون هوى جده عليه ضرباً وأراد الوالد أن يضربه فمنعه الجد مكثفياً بتهديده بالحبس شأن الكثير من الآباء الذين كانوا يخوفون أولادهم بمثل هذا التهديد ، ويتابع مارون أنه حزن تلك الليلة حزناً شديداً ، تعشوا ولم يتعش ، ونقل الينا ما دار بين العائلة من أحاديث وكيف هوت أمه على يد جده تقبلها لكي لا يفزع الصبي . فيقول :

(أما أنا فلم أجد مهرباً أسلم عاقبة من النوم . تعشوا ولم أتعش . ثم جلسوا ثلاثتهم صامتين . كل يعني على ليلاه . جدي يندب علبة البرشان وصور التوراة وميزان الزمان ، الوالدة فسطانها وتنورتها المخططة ؟ والوالد يسائل جدي : قولتك صبي أخوت ؟ فيجيب جدي ، وهو يفكر من أين يأتي بالبرشان ليقدر في القدر : الله يلفظ يا حنا ، هذا الظاهر ، الله يرد غضب السيدة عنه . لو عرف سيدنا البطرك ؟ فهوت والدتي على يدي عمها تقبلها باكية قائلة : لا بحياتك يا عمي لا تفزع الصبي^(١) .

وإذا أرادت أم مارون أن تضع حداً لشيطنه المحروس ، كانت تهدده بالعسكري كما يقول :

(وكانت المرحومة أمي تعجز عن إيقافي عند حد من الرصانة التي تتمناها لغزالها ... فأخذت تخوفني بالعسكري ، ككل أم لبنانية بروتوكولية . إذا تجاوزت الحد في لعبي قالت : اهدأ يا مارون ، أقول للعسكري ، يأخذك .

وإن طلبت مني حاجة لم أقضها ، خوفتني بالعسكري . وإن اعتديت على أحد رفاقي أدبتني بقضيب دقيق وقالت : الحبس قدامك . غداً يجيء العسكري .

(١) فارس آغا ص ٤٦ .

كانت ، رحمة الله عليها ، تصور لي المسكري وحشاً ضارياً يفعل بالناس الأفاعيل^(١) .

وكانت والدته مارون تستر عليه لتخلصه من العقاب أو لتجنبه غضب الوالد ، ففي نهاية حادثته مع قرياقوس أحد أبطال فارس اغا يقول (القصة كاملة في طفولة مارون عبود) .

« وعادت أمي تطبطب ، وسترت هذه الهفوة علي ، ونجوت من قتلة مشبعة كما كان يتهددني أبي عند كل زلة ، وما كان أكثر زلاقي^(٢) » .

لذلك تعلق قلب مارون بأمه ، ولا سيما في طفولته . وعندما انتقل إلى مدرسة داخلية بعيداً عن حنان امه ، كان يتلف شوقاً لرؤيتها ولا تفارق صورتها خياله ، وفي ذلك يقول :

« ويوم عيد البشارة ، ٢٥ آذار ، ساقنا^(٣) الراعي ، إلى نزهة في وطا عين كفاع ، فسرحتنا في تلك البطحاء المقفرة تتنافس في جمع الأزهار لدغن الصليب ، فكنت كلما قطفت زهرة التفت صوب العقبة ، ولكنني لا أرى أمي مهرولة ، فأعود إلى انتقاء زهراتي ، ثم أتلفت فلا أراها^(٣) » .

وازداد تعلق مارون بأمه لما امتازت به من عطف وحنان ظاهرين من خلال الحوار الذي دار بينهما وبين راعي المدرسة عندما أخذ مارون ورفاقه إلى نزهة في وطا عين كفاع ، ومن ثم إلى زيارة مار روحانا ، قال :

« وطلبت والدي من حضرته أن يأذنني ربع ساعة لأرى اخوتي الصغار فامتنع ، وقال للوالدة : القانون مقدس يا أم مارون .

(١) فارس اغا ص ٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٤ .

(٣) أحاديث القرية ص ٩٨ .

فأجابت الوالدة : القانون على رأسنا يا محترم ، ولكن هذا ولد ، وإخوته
صغار ، والبيت على رمية حجر ، فما عليه لو رأى إخوته ربع ساعة ؟
فأجابها : هذا لا ينفعه ، اتركه ، قسي قلبك يا أم مارون .
فأجابت : أهو قلب الأم حديد حتى تقسيه ؟

فقال ، وهو يشد على كل كلمة : العلم لا يسع معه شيئاً . رؤية إخوته ربع
ساعة تشغل باله جمعة . الله يجبرك يا أم مارون ، اتركي ابنك يتعلم ، الصبي
شاطر ، لا تشغلي باله . قال هذا ودق الجرس وعج : « انا فان » .

لم يعزِ والدتي إلا بهذه الكلمة ، قالها وهو مشتمر : توفّر قريب ، ما بقي إلا
ثلاثة أشهر ونصف . وأدارت أمي ظهرها وأظنها بككت أما أنا فالتفت صوبها ،
فزجرني الراعي كما يزجر المغّاز عنزة خرجت من الصف ، ولضت لحيته
في قلبي (١) .

ورقة قلب أم مارون خلقت عنده الطيبة ، تلك الطيبة التي تتمثل بالتأثر
السريع والشفقة على الناس ، وخصوصاً من نكب منهم بمصيبة في الأرواح أو
الممتلكات . لذلك نراها تشفق على الياس الزغير وتجبر خاطره ، فتطلب من
زوجها أن يشتري أقة من اللحم ، لحم عنزته التي تهورت .

« - لحم يا أم مارون ، رخيص مثل الخس ، وأرخص من العجل . الرطل
بربع مجيدي يا أم مارون ، عنزة مثل الخنزير تهورت بالمصي . والله العظيم ،
وحق القربان الطاهر ، كانت تحلب الرطل مرثاحة .

- يا حينها ، يا خسارتها يا الياس ، الله يعوض عليك ، بالرزق ولا بصحابه
يا بو ناصيف . خذ لك أقة يا حنا ، اجبر عنه ، مسكين الياس ، كان يترك عنزاته
ترعى ويساعدنا في مشق ورق القز ..

(١) أحاديث القرية ص ١٠١ .

أما الوالد فتجبر ولم يجبر عثرة جارنا المعاز ، لا بخلا ولا شحاً .
ولكن بما أن الوالدة قالت نعم فعليه إذن أن يقول لا . تلك كانت خطته
معها فليس للمرأة أن تسبق الرجل إلى شيء .

وأخذت الوالدة تبرير ، وزعم الوالد أنه لا تُدخِلُ بيته لحم لا يعرف أصله
وفصله ومن الغريب أن النتيجة أتت لصدق حدسه ، فقد ندم كل من أكل من
لحم تلك العنزة . فتضاحكت الوالدة وقالت أهو من بيت شهاب ؟ حرام أجبر
عنه يجبر الله عنا وعن أولادنا^(١) .

ان الرجل رأس المرأة كما يقول الإنجيل ، ولذلك يلاحظ أن والد مارون ،
عندما كانت امرأته تتدخل في شؤونه لا يعجبه هذا التدخل ، وكانت يعتبر
ذلك نوعاً من التعدي على حقوقه ولذلك نراه يقول لمارون في إحدى مجادلاته
معه . اسأل الست كاترينا (أي أمه) صار الحكم للنسوان .

ومع ذلك ، نرى والدة مارون من جهة أخرى تشارك العائلة في كل آرائها ،
ولا سيما ما يتعلق منها بقضايا ولدها فهي ملجأه في محنته إذ يقول :

« وكيف يغفوق في عنفوانه ، وقد أوتر أبوه قوسه ورماه في صميم أمله » .
وفيا أنا ألتمس فرجاً لهذه الأزمة إذا بيد تمتد إلى جيبيني ، فعرفت أنها أمي ،
فتأففت وقلت لها ما لك ومالي ، اتركيني في مصيبي^(٢) .

ويبدو أن والدة مارون كانت حكيمة وصبورة ، فهي عندما يشور أحد
أفراد العيلة لا يسمعها إلا أن تلزم الصمت ، وتفرج عنها بالبكاء .

« فما نبست ، رحما الله ، وسكتنا بضع دقائق كنت أحس فيها أنها تبكي ،
فقلت لها :

وأي راح ؟

(١) فارس اغا ص ٢٨ .

(٢) أحاديث القرية ص ١٢٣ .



كاترين وائدة مارون عبود عن لوحة للفنان اشيل انجليني

فأجابت كمن تخنقه العبرة : عند بيت عمك « (١) .

وكذلك عندما ناداها زوجها في نهاية المساة التي حلت بالضيعة من جراء اللعم وكانه أراد أن يتباهى أمامها ببعده نظره ، وصدق حدثه .

« أم مارون اشترى لأولادك لحماً من الياس الزغير إذا جاء صوبنا .

لم تجب تلك المسكينة ، إلا بالركوع ، أمام صورة العذراء ، وقرع الصدر وذرف الدموع « (٢) .

ولكنه كان لهذه الأم رأيها ، فهي مستقيمة ، ولا تريد إلا أن يكون ابنها مثلاً للاستقامة ، يظهر ذلك من خلال حوارها معه حول الكهنوت :

« فارتفع صوتي وقلت بجزم بشريه ، الرجعة لمار يوحنا مارون مستحيلة .

فأجابت كمن يضحك ويبيكي : يا تقبرني بشارة . والخورنة يا ابني ؟
قلت : تفكر فيها .

فقالت كمن يشجيني ، ويفتح لي باب الصيرة التي رفع سياجها الشائك حولي :
افحص ضميرك ، ورز حملتك ، ان قدرت كانت به . فهمت ! لا تعلق
ولا تعلقنا .

– ما فهمت .

– افهم على مهلك .

– يعني ؟

– يعني : إما خوري مليح ، وإما لا . البيت متعود على خوارنة أوادم .

(١) أحاديث القرية ص ١٢٣ .

(٢) فارس اغا ص ٣٢ .

ان سب أبوك لحيتك يسب الغريب لحيتك وإكليتك . مارون يا مارون ،
اصح يا ابني . علماني خائف الله أحسن من مطران بلا شئمة (١) .

والدة مارون قاننة متدينة ترى أقل تهاون بالواجبات الدينية خطيئة
عظيمة . يقول :

« وكانت والدتي أشد حرارة من جدي - وهو عمها في جهتين - لأنها بنت
خوري وكنة خوري ، وكلاهما زميتان محافظان على الصلوات ، الخمس يقيانها في
أوقاتها ومواعيدها .

وينشأ ناشيء الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

تمودت المرحومة أن تضع الشمعة وعلبة النار حد فرشة أبيها الخوري وعند
رأسه ، حتى إذا ما نهض ليصلي صلاة الليل ، والكل نائمون ، أضاء هو الشمعة
وقام بصلاته على موسيقى شخير أولاده .

ولما انتقلت بنته إلى بيتنا ، بيت أخيه ، ظلت تعامل عمها الخوري معاملة
والدها ، ثم ظلت على تلك العادة ، فكانت إذا ما أمسى عندنا خوري تضع له
الشمعة وعلبة النار حد رأسه .

وجاءنا أحد هؤلاء الكهنة الذين لا يُصَلِّون ، فاخترت له الوالدة شمعة
جديدة ، ولم كانت خبيثتها مرة حين لاح لها النهار ورأت أن بكاراة الشمعة لم
تفرض ، فنادت والدي وهي تولول ، فهرول ظاناً أن في الفراش حية لدغتها ،
وما دنا منها حتى صاحت متعجبة : تفرج يا حنا ، الشمعة بقيت كما هي !!
يه يه يه !!

(١) أحاديث القرية ص ١٢٢ .

- بلايه وبلا بلوط ... اليوم صار البيع بالجملة . أيام أيبك وعمك راحت
يا كاترينا^(١) .

وإذا كانت الوالدة متدينة تمارس واجباتها الدينية دون تقاعس ، فإنها
كانت تمل طول الصلاة يقول :

« كانت أمي ، نبيح الله نفسها ، من القانتات تحب الصلاة كثيراً ، كيف
لا وهي بنت الخوري موسى الذي كان يتوسل إلى ربه بصلاة أطول من يوم
الجوع ، ليرفض عنه الشباب الذين يسهرون عند بناته الكثيرات ... وقد
سماهن كلهن على وزن واحد ، وإليك اسم المرحومة الوالدة « كاترين » لتعلمه
وتقيس عليه ... ولكنها ، أي أمي ، كانت تهوم متى قامت الصلاة ، فتأخذ
بالسجود اللاشعوري ، ثم لا تنفك تفعل ذلك حتى يرفع الوالد عقيرته مرتلاً
(طلبة السيدة) . وكثيراً ما كان ينكمها إذا لم توقظها أول كيرباليسون^(٢) ..

(١) أحاديث القرية ص ١٦٦ .

(٢) رواد النهضة الحديثة ص ٧ .

جده

كانت لجد مارون عبود ، الخوري حنا عبود الأثر الأكبر في حياته . وقد برزت صورة الجد في معظم أدبه ، فقلما تقرأ نصاً من ذكريات طفولته إلا وتبرز صورة ذلك الكاهن الجليل الذي كان من علماء زمانه .

وقد عايش مارون جده حقبة قصيرة من الزمن ، ولكن هذه الحقبة طبعت شخصيته بطابع خاص تحت تأثير عوامل عدة أكثرها بروزاً تأثير جده عليه ، فما أن فتح عينيه على الوجود حتى كان الجد يجانبه ، وكانت علاقته به مغايرة لعلاقته بسائر أفراد العائلة . ولعل مرد ذلك إلى أن الخوري يوحنا عبود كان كبير العيلة . وصاحب الرأي في تسييره وتسيير أمورها ، كما أنه كان يبدى اهتماماً خاصاً بحفيده .

ورافق الجد حفيده في مرحلة طفولته ، فكان مارون كالظل لشيخه الخوري ، حتى تخال صورته في كتابات مارون عبود كمزارع ، زرع نبتة في الأرض ووقف إلى جانبها يسهر عليها ليل نهار ، ليقوم عودها ويعتني بها ، ويفرح بثمارها . هكذا رعى الجد حفيده ، منذ ولادته حتى شب ، يسمع منه أخبار الأيام الخوالي . وكثيراً ما كان الجد يتمتع بحفيده ، يقوم أخلاقه كما يقوم ريشة قلمه ، وقد برز تأثيره بجدته إلى حد أنه ما تذكر شيئاً عن طفولته إلا وبرزت فيه صورة ذلك الشيخ الجليل الذي رأى فيه صورة الإنسان المثالي . فلا عجب إذا كتب مارون عبود :

« كان الحوري يوحنا عبود جدي ومعلمي ، وهو أول شخص لزمته في فجر الحياة ، فما أحسنت قراءة السريانية ، حتى حملني على الصلاة معه ، فكنا نقيمها أينما اتفق ، في البيت ، قدام الباب ، على البيدر ، في الحقل ، في الكنيسة ، كلانا يحمل (شحيمة) فكنا (خورسا) متنقلاً نقيم الصلاة حيث تدر كنا ، وكانت صبوتي صلوات متتابعة ، فكأنني كنت كاهناً (بالقلوب)^(١) .

وكان جده متديناً وزميتنا أكثر من والديه . والأكثر من هذا كله هو أن الشيخ كان يعيش إيمانه . كان يؤمن إيمان بطرس ، ويمارس هذا الإيمان بأعماله ، بتصرفاته ، بحياته . فأبى جانب صلواته ، وإلى جانب ممارسته الدينية يقول عنه مارون وعن حياته المقعمة بالإيمان والتقوى :

« وكثيراً ما كان جدي ، في جمعة الآلام ، يفطر على ورق البصل ، ولا يذوق طعاماً أدامه الزيت . ويتعشى راس ثوم بعد أن يشويه ، ويتعلى بالتين المطبوخ بالدبس بعد أن يعود من صلاة الحاش والآلام ، ويكون قد شبع من سب اليهود الذي لم يبطل ولا يزال ، ولكن المصلين بتلك الحرارة قد فقدوا .

كان رحمه الله يقول : « قال الله لعبيده : كن حاراً أو بارداً ، ولا تكن فاتراً » .

ولذلك كان هو حاراً ، وخصوصاً حين كان يضربنا بمعكازه إذا قصرنا في واجباتنا الدينية^(٢) .

ولكثرة تدينه لم يكن يمارس واجباته الدينية بممارسة سطحية ، بل كان يعيشها في أعماقه متأثراً بها يقول :

(١) أحاديث القرية ص ١٤٥ .

(٢) وجوه وحكايات ص ١١٤ .

« كاهن شيخ خدم المذبح ٦٥ عاماً ، ما تمثل له مأساة سيده الشاب عند مغيب شمس العمر حتى خال انه يراها بعينه في اورشليم سنة ٢٣ مسيحية .

انفطر قلبه التباعاً ، فكان يحسب كل زهرة تلقى على الصليب الدفين من أيدي المؤمنين حربة مسمومة . وأمست كل كلمة يسمعا من (السنكسار) عن آلام الابن الوحيد ومهاتته تهيج شجونه . فكم صرف بأنيابه حنقاً على قيافا ويوحنا ، وكم آله تذبذب بيلاطس البنطي . ويا لفجيعته إذا رأى السيد ، وحده ، بين الكهنة ورؤساء الكهنة والكتبة وأذناهم يبصقون بوجهه ويلطمونه ، وتلاميذه تركوه وخذلوه . تمنى لو أنه كان في ذلك الزمان لينصره ويموت معه شهيداً ، فيرث الملكوت بأقرب وسيلة وأضمنها .

هكذا كان الخوري عندما برح الهيكل . كان يسير في طريق بيته منكس الرأس ، مكسور الخاطر كأنه قبر أحد بنيه ، وسارت رعيته خلفه صامتين كأنهم عائدون من ماتم شاب في ميعة العمز ، ولا غرابة فكلهم مسيحيون تغلغل اليقين في قلوبهم حتى الصميم .

بلغ الخوري بيته وليس وراه غير بنيه ثلاثتهم ، لأن الناس ارفضوا عنه شيئاً فشيئاً ، فالوقت الظهر وكلهم صائمون ، وبيت الخوري في رأس الضيعة .

افطر الخوري وأولاده ، وودع الطبق إلى صباح الأحد . تلك كانت عادته في مثل ذلك اليوم كل عام ، يطوي هذين اليومين زهداً وإماتة نفس ابتغاء التعمية والاجر .

تغدى وعاد إلى الكنيسة ليزور قبر الفادي ويتعظ بفاجعة ابن الإنسان ، ويتأمل آلامه ، ويشبع مجاعته الروحية قبل الرحيل متزوداً لآخرته ما يشفع به عند الله^(١) .

(١) رجوه وحكايات ص ١١٤ .

وكان يحاسب نفسه على كل أعماله وتصرفاته ، لأنه كان يعيش في مخافة الرب ، يصوم ويصلي ويقتبط عندما تقبل صلواته من الرب .

وكما كان الجد صارماً في محاسبة نفسه ، كان صارماً في محاسبة الناس ، ينزعج لأي تقصير من الناس بواجباتهم الدينية .

وكان لهذا الجد ، إلى جانب دوره الديني ، دور اجتماعي في القرية ، فهو المصلح فيها ، ومرجع في كل حادثة . يعمل على إصلاح الحال بين أبنائها ، بالصلاة طوراً ، ويفك مصره أطواراً عديدة ، يكفل هذا ، ويعمل على تجنب أبناء القرية الدعاوى التي تخرب البيوت . هو أول من يدفع المسيرة ويساهم في جمعها من القرية .

وكان له أيضاً الدور الأول في تعليمه فهو أول من علمه الألف باء .

يقول مارون في ذكرياته عن مدرسته الأولى ، بعد أن أدخل مدرسة تحت السنديانة في القرية ومرت عليه أيام دون أن يتعلم شيئاً بأن جده هو الذي علمه الألف باء .

« وصبر جدي عليّ أياماً ، ولما رأني مصراً بمناد على البقاء حيث أنا ، أي ذنب الصف ، لم يرض بها حالة . أيكون حفيده في هذا التأخر المخزي !!

— قم يا مارون احمل ورقتك والحقني .

فقال المعلم : لا ، يا جدي الخوري ، اصبر علينا .

فأجاب جدي ، وهو ممتعض : آخذه جمعة وأرده . اتركني .

وقعد جدي على المصطبة ، وقرفت أنا أمامه ، فشرع يعلمني الألف باء ، فضحك والذي وقال لأبيه ، الصبي راضع حليب بقر... لا تتعب نفسك^(١)...

(١) رواد النهضة الحديثة ص ٢٣ .

وإذا كان الجد أول من علمه الألف باء ، وأول من علمه السريانية والمزامير والتراتيل البيمية ، فقد تفرس الولد بخدمة القديس وقراءة الرسائل ، رسائل مار بولس ، إلى جانب ذلك ظل يهتم بتعليمه ، فعندما أصبحت الضيعة بدون معلم قال الجد للوالد : (كما يقول مارون عبود) رُح دَبِّر مدرسة للصبي . فقال جدي لوالدي في إحدى ليالي الصيف :

« افكر بمدرسة كبيرة هذه المدرسات صارت صغيرة على الصبي وربما طلع منه شيء ، من يعلم »^(١) .

ولم يكن عمل الجد يقتصر على هذا فحسب بل كان مدرسة ، ولعلها ، من أهم المدارس التي تتلمذ فيها مارون عبود والتي كانت بالنسبة إليه أكثر افادة .

وإذا عدت صيفاً فلاكون في كنف شيخي أي من مدرسة ثابتة عنيفة إلى مدرسة متنقلة أعنف . كان رحمه الله يذاكرني في كل فن ومطلب في الإعراب والتصريف ورواية الشعر والنثر^(٢) .

وكانت هذه المدرسة ذات أهمية كبيرة ، فقد تجلّى تأثيرها على مارون ، في أكثر من مقام ، فجدّه الذي يعتبره من علماء عصره ، أطلق مجال الحوار حراً أمام مارون ، فكان يذاكره في كل فن ومطلب .

أسلوبه الوحيد ، هو أسلوب المعلمين الكبار ، لا يعتمد إلا على الحوار :

« كان جدي لوالدي ، رحمه الله ، من علماء زمانه . وكان يخشى أن يرفع العلم من بيته حين يخفض أو يرفع هو من هذه الدنيا . ولمس رأي في قبسا من ذكاء ، توهم أنه سيصير ثاراً آكلة ، فجعل وكده فيّ ، بعد خيبته في بنيه . وأخذ يناقشني في أمور فوق عقلي ، فكنت أجاريه في شوطه ، فيتفاهل ويتشاهم

(١) أحاديث القرية ص ١١٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ١١٣ .

مع رياح الأجوبة والأسئلة التي تهب عليه من ناحيتي . فالكلام بيتنا أخذ ورد ، وكيف يكون الحوار بين رجل خنق التسعين وابن أربعة عشر ،^(١) .

ولعل تتلمذ مارون لجده هو الذي أوصله إلى أسلوبه الأدبي الناجح بعد ان كان الناس في ذلك الزمان يعتمدون على اللغة البائدة ، وعلى ما قاله السلف ، يعتمدون على النقل دون الفهم ، وعلى اللغة المعقدة لا على اللغة البسيطة ، ظانين أن لغة الأدب هي غير لغة الناس .

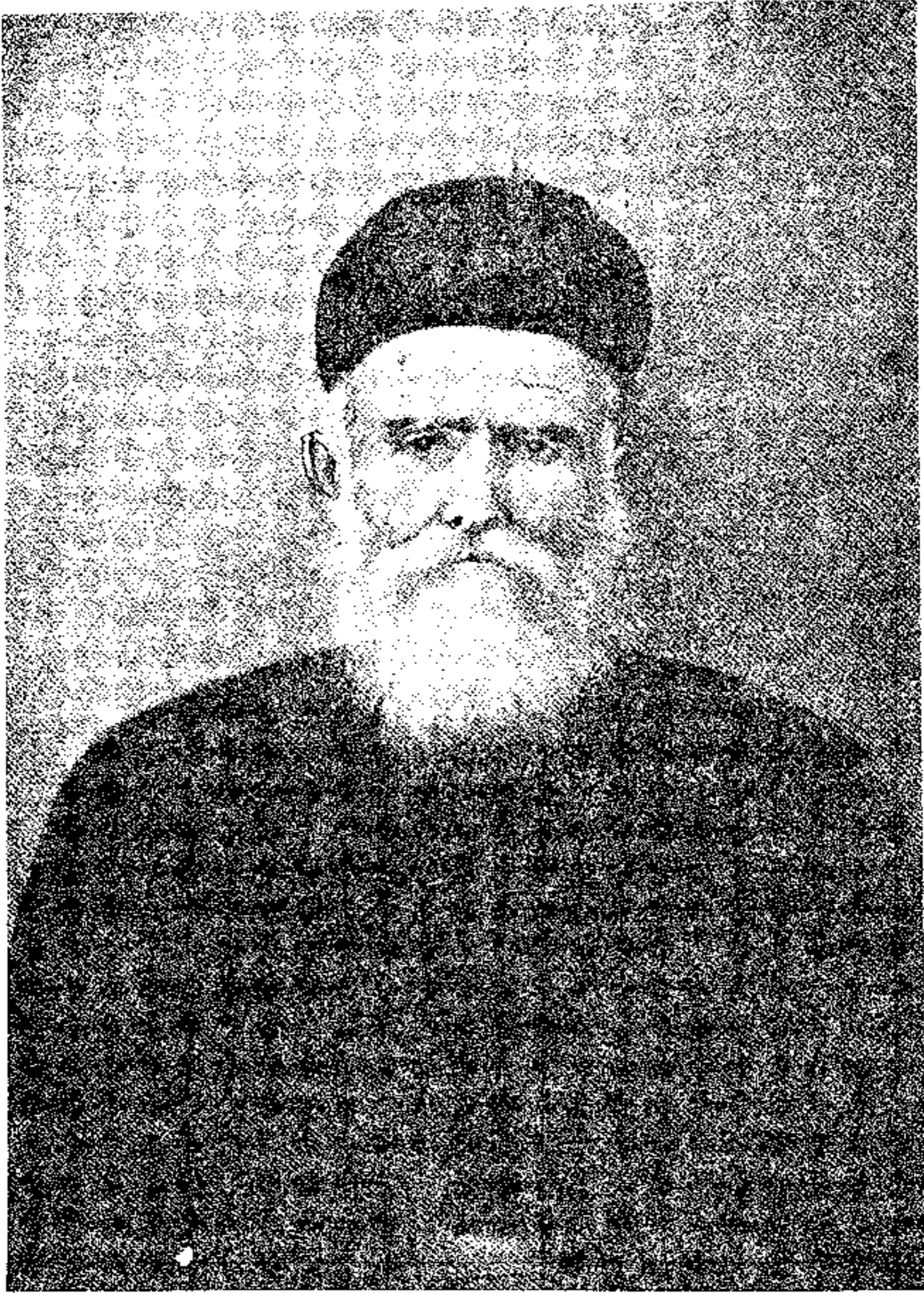
يتابع مارون في قصته : (أولى معارك الأدبية) حادثته الطريفة في تأبين أم أنطون ونستدل من هذا النص أن الجد كان يميل إلى اللغة البسيطة . لأنه كان واقعياً في حياته من ناحية عيشها ، وواقعيته لا تتنافى ومثالية الإيمان والتصرف ، بل ان الواقعية ، كما تترأى لنا ، هي ترجمة للبساطة بكل ما تحمل هذه البساطة من معنى .

ومن هذه البساطة قدرٌ لمارون أن يصل إلى الواقعية ، واقعية الحياة وواقعية الأسلوب ، لأن جده ، بالرغم من شيخوخته ، ظلت نفسه كما كانت وظل يذاكره في كل ما يعلم ، ويبيدي آراء كان مارون يعجب بها ويستغرب صدورها عن مثله .

وهذا ما جرى له مع جده في رثاء أم أنطون أي في (أولى معارك الأدبية) :

« ونعت الينا في منصف آب امرأة صاهرنا أحد أبنائها ، فقال لي جدي :
(شكراً لي رئيس مدرستك جرأتك ووقفك على المنبر ، وأنا أحب أن أسمعك

(١) أحاديث القرية ص ١١٢ .



(جده ، الخوري يوحنا عبود ، عن لوحة زيتية للفنان الراحل الأخ نعمة الله المعادي)

قبل غياب شمسي . هيه مرة تقولها غداً في المحفل ، وأحب أن أسممها
لأعطيك رأي فيها) .

وكانت علامة انصرافي من حضرته فتحة كتاب صلواته الخمس - الشحيمة -
فدخلت البيت ، وأنا أفكر إلى أي كتاب ألتجىء . إلى مجاني الأدب ، إلى
مجالي الفرر ، أم إلى الدرر لأديب اسحق ؟ تلك كانت كتب مطالعنا في ذلك
الزمان ، فتأبطتها مع كف ورق وقلم رصاص ، وقصدت موضع خلوتي
وانفرادي صخرة عالية في القرقة ، تحتها واد عميق استحليتها مقاماً للدينونة ،
حواليه منطقة تكسوها خضرة السنديان والآس وأشجار برية مختلفة .

هناك جلست على مقعدي الذي تعودت أن أقرأ ، وأنا عليه ، الكتب التي
أحبها . قرأت عدة تأبين لأديب اسحق وفيه :

كنت سمعت أن تغاريد الطيور تهيج القريجة فتمنيت لو يجيء الحسون
ويغرد بالقرب مني ، ولكنني ما سمعت إلا زقزقة عصافير غير ملهمة ، ثم
أخذت المجال تتكلم في الأحراج المناوحة ، فما نفعني ولا هاجت قريحتي ،
فصرت أقول : آه على الحسون ، أين الحسون الآن ؟ الحسون وحده يوقظ هذه
القريجة النائمة . واخيبتني عندك يا جدي ، ها قد مضت ساعة وساعتان ولم
أكتب شيئاً . فلا كتب . وكتبت :

كذا فليجل الخطب ... وقبل أن أتم البيت ، قلت : لا ، غداً عيد السيدة ،
وهذا عيد عظيم في البلاد كلها ، وخصوصاً في ضيعة المرحومة ، فكنيستهم على
اسم السيدة . إذن الأفضل أن أبدأ هكذا :

لبس الرجال جديدم في عيدهم ولبست حزن الامهات جديدا

الآن جرى القلم . فلنكتب على خيرة الله ، فكتبت :

انني في موقف حرج بين الموت والحياة ، تخنقني الزفرات ، وتفرقني أمواج
البليات ، قلبي مصاب بسهام الأحزان ، وصرت هدفاً لنوب الزمان .

– غاق ، غاق ، غاق . هذا غراب ينمق . لعن الله الغربان ؟ وزاد في الطين
بلة أنه فرد غراب ... وهكذا قطع الغراب مجرى الوحي والإلهام ، فطويت
ورقتي ودفنتها في عبي . وعدت إلى البيت ، فوجدت جدي قاعداً ينتظر ،
فحكيت له ما جرى فضحك ضحكة مرة ، وقال : قريحة تهيجها دقات حبل
ويهدا نقيق غراب ، ما هي قريحة ..

فقلت له : شر الصباح ولا خير المساء . غداً تسمع ما يعجبك .

فقال : اتكلنا على الله .

فقلت : وربما الليلة .

فقال : اذا فاض النهر وما طار غراب ..

وكانت الوالدة تسمع هذا الحديث ، وكأنها مرتبكة في حل رموزه ،
فأشارت بمدراها كصاحبة ابن أبي ربيعة : وقالت : ايش ؟ فقلت : ما شيء ،
بحياتك يا أمي اجلي زجاجة القنديل . وقصي قتيله .

بالك مشغول بجديشي مع جدي ؟ غداً تسمعين ما يرضيك . فانكبت على
إصلاح هندام المصباح وهي تردد ضاحكة : ما صبح إلا فتح :

وقعدنا على المصطبة قدام الباب ، وأصغى جدي ليسمع تأبيني لأم أنطون ،
فما أسمعته قولي : انني في موقف حرج بين الموت والحياة ، تفرقني أمواج
البليات ، حتى ضحك وقال : لا ، لا ، كثرتها يا ابني ، طيب قل ، فأتممت :
يحق لي ذرف الدموع ، وندب هاتيك الربوع ، ولعن الدهر الخؤون ، لأجل
ما يبقره مخلب المنون .

والتفتُ يجدي فرأيتُه يهـز برأسه ، فقلت : ما بك ، ان كانت
لا تعجبك أمزقها .

قال : كمل ، عافاك ، ولكنك زدت العيار . بعدئذ أعطيتك رأبي .
فقلت :

والدهر نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد
فقال : يختار منها ؟ قلت : الجياد .
قال : مليح .

ومضيت في قراءتي : هي الدنيا غرور ، وما بها من سرور ، ولكن تعزوا
بالمقول ، واذكروا كلام الرسول ، حين يقول : ان الذين يموتون بالرب لا ينبغي
أن تحزنوا عليهم كسائر الناس الذين لا رجاء لهم .

فاهتز جدي وبان الرضى في وجهه وقال : عال .. عال .

وكانت الوالدة كامنة وراء الزاوية تتنصت ، ولما رأت براعتي وضعت اصبعها
في أذنها ، وأسرعت إلى جارتنا تبشر بفصاحة إنهما ، فطار الخبر في الضيعة
ان مارون عامل خطبة متينة لأم أنطون .

قال جدي : كمل . فقلت : ان المرحومة كانت شجرة مشمرة بحقول الصلاح ،
تصطاد السائح والبراح .

قال جدي : ما قالوا البراح ، قالوا البارح .

فقلت : والسجعة . فقال : أهي فرض ؟ طيب ، اعملها هكذا : حط محل
(بحقول الصلاح) بالحقل الصالح فتستقيم لك السجعة .

فأعجبني منه ذلك ، ودونت ما قال . ومضيت حتى قلت : كانت المرحومة
درة نفيسة وعلطيسا كنيسة .

فاستغرب ما قلت وصاح : أخ ، أخ ، أخ ، ما معنى عظيميس ؟ لفظة ثقيلة
ما شاء الله ؟ ... أكثر من رطل .

قلت : قال معلنا أن معناها : العفيفة الحسنة القوام .

فقال : ومن يفهما من الناس ؟ اذا سمعوا كلمة عظيميس حسبوا أنك
تسبها . اضرب عليها . ثم ما معنى كنيصة ؟ .

قلت : المرأة الحسنة المستورة . قال : بعيد الشبه ألف مرة ، المرأة كنيصة ؟
ثم ما دخل الحسن في التأبين ؟ هل أنت تتغزل ؟ وهذي احذفها .

فحذفتها وأنا أقول : وبقي لفظة صار من الواجب حذفها . قال وما هي ؟
قلت : كانت المرحومة عجنجرة .

قال : وماذا قال معلمك عن عجنجرة ؟

قلت : المتكئة ، الخفيفة الروح .

قال : يا ابني أم أنطون مكتئة ؟ يا جدي أعمى أنت ؟ أم أنطون جلد
على عظم .

قلت : اذن اشطب على هذا ، وجرت القلم فوقها . ورحت أقرأ حق
بلغت قولي :

ولو كانت النساء كمن فقدن لفضلت النساء على الرجال

قال : وهذا كذب ، لا تفضل امرأة على الرجال مها كانت .

فقلت : ومريم العذراء ؟

فارتبك جدي وكز على أسنانه ، وقال : اقرأ قدامك ، كل . احذف
البيت . هذا كثير على واحدة مثل أم أنطون .

فقلت : ولا شك أنها ذهبت من دار الأتراح لتحل في الضراح .

فصرخ : ايش هو الضراح ؟ ما كفاك انك قتلتها بالسجع حق تهلكنا بهذه الألفاظ الوحشية ؟

فصرخ : وهذا أيضاً من فضل معلمك ؟ ليتني أعرفه لأحش لحيته ولو وقعت في (الحرم) من ذات الفعل ، لا يا جدي ، اكتب اكتب : ولا شك انها ذهبت من دار الفناء لتلقى ربها في دار البقاء .

فكتبت ما أملاه وقرأت : ان فقيدتنا الجليلة أم صالحه قديسة ، وستحل ، ولا شك ، بالمكان المعد لها من قديم الأجيال .

فرقصت لحية جدي الدبكة ودفعتني بيديه الثنتين ، فاستلقيت على ظهري ، وصرخ : قم عني يا ولد انت بابا حتى تثبت قديسين ؟ القداسة ؟ قضينا تسعين سنة بالصلاة والصوم وخوف الله ، وقلبنا يدق خوفاً من تلك الساعة ، وانت تثبت أم أنطون قديسة بشطحة قلم ؟ هذا رثاء ؟ هذا طق حنك ، سجع ومزع ، كلام فارغ مثل رأس الدين علموك .

فللمت قوامي المسفوح ، ونهضت متأثراً من تلك الحيبة المرة ، ومن هاتيك الساعة طلقت الغريب والسجع ، وهجرت الغلو ، واعتصمت بالواقع ،^(١)...

ولعل الجد كان مصدراً مهماً استقى منه مارون عبود معظم أخباره وأقاصيصه الأدبية . فمعظم القصص سمعها من جده عندما كان يرافقه في تنقلاته يخبره إياها بعد الصلاة ، وفي ذلك يقول :

« وفي ٨ شباط ، فرغنا من صلاة النهار وجلسنا على المصطبة الشرقية فقص

(١) أحاديث القرية ص ١١٤ .

علي جدي نبأ مارمارون وتلاميذه الثلاثة والحسين شهيداً ، وكانت تنهداته متتابعة حتى أجهش بالبكاء فخفت عليه ، ثم ذكر رهبان دير (القطين) وهو كهف عظيم ، قبالة قريتنا عين كفاع ، ولا تزال آثاره ماثلة وإن اقوت وطال عليها سالف الأمد .

وبعد ما حشى ذاكرتي بقصص أولئك النساك الحباء نهض قائلاً إلحقتني يا صبي . وعلى الطريقة المشائية التي اعتمدها أرسطو كانت يتتلمذ مارون لمعلمه وجده ، فيسمع أخبار الأيام الغابرة التي تتعلق بتاريخ لبنان في مرحلة من مراحل تاريخه خصوصاً في مرحلة الحكم الشهابي على أيام الأمير بشير ، ومنها ما يتعلق بأخبار دينية كان الجد قد حفظها ، أما من واقعه كقصة المطران اسطفان أو من (السنكسار) .

د كان شهر آب عام ١٩٠٠ يلفظ آخر نفس لما دعاني فلبيت . وتماشينا ، هو شيخ يحمل على منكبيه أثقال قرن ، وأنا غلام ظهره خفيف . وما جاز بيت أخيه الخوري موسى ، جدي لأمي ، حتى رأيتكم يكتم دمعة ويسترها ويقول :

م السابقون ونحن اللاحقون ، رافقتني عام أول لزيارة مار عبدا ليلة عيدهِ ، فأين هو اليوم وكأنه ذكر قول رسول الأمم : (ان الذين يموتون بالرب لا ينبغي أن تحزنوا عليهم كالناس الذين لا رجاء لهم ، فصلتْب ومشي يصلي . ولما توسطنا القرية نثر يده من يدي وما دريت لماذا حتى مال نظره إلى ردم فيه بهيمة ترعى ، فغضب ونادى صاحبها ، فأقبل هذا يصفق على فخذه وساقها بعد اعتذار طويل فاغتر له جدي زلة لم يتممدها .

ثم أخذ بيدي قائلاً : أتعرف اسم قديس هذا الهيكل ؟ فقلت : لا . قال :

اسمه برصوما ، وهذه الخربة أقدم كنائس البلاد ، كانت للروم والموارنة
والفاصل بينها حائط .

قلت : مثل بيتنا وبيت عمي . فابتسم للتشبيه وقال : تماماً .

قلت : واليوم لماذا لا تكون الكنائس هكذا ؟ قال : ما كانت الاخوة
يتفرقون في الزمان الماضي ما زال البيت واسماً ، واليوم يتفرقون عند (البلوغ)
راحت الألفة وكثر البغض .

وسألت أيضاً كعادتي ، فقال لا تكثر من السؤالات . أنا تعبنا والشمس
على الغياب .

ومشينا فأسرع نازلاً تسوقه الشيخوخة بعصاها ، فكان يجاهد نفسه فيبدو
نشيطاً رغم التسعين . ولما بلغنا الوطا ، انسابت حية فصرخت : حية حية؟؟
فوقف مضطرباً بهز عصاه ، ولما رآها هاربة تبسم ابتسامة غير مشرقة وقال لي:
خفت يا صبي ؟ نسيت قول انجيل اليوم ؟ (ها هو ذا أنا أعطيتكم سلطاناً أن
تدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ، فلا يضر بكم شيء) .

وطوبنا السهل فواجهنا رجلٌ في يده ورقة سوداء الحواشي ، فوقف جدي
وقال : الله يعطينا خيره . فدنا منه الرجل وقبل يده ، ودفع اليه الرسالة ،
فقرأها وقال : الله يرحمها ، كانت امرأة قاضلة ، ماتت ليلة عيد شفيعها ودفنها
يوم عيده . وأعاد الورقة إلى الرسول فأخذها بعد تقبيل يد الخوري ثانية وراح
في طريقه . وأخذنا في العقبة فانقطع الحديث . وبلغنا دير مار عبدا فما رأينا
هناك غير خمسة أنفار ، جزارين أمامها الضحايا ، ومكارين يحملون الشراب
والنقل للعيد .

ودخلنا الكنيسة المهجورة فصلى وصليت وراءه راكعين على الحصى والتراب
أكثر من نصف ساعة . قد يكون الوقت أقل وأنا توهمت كذلك ، لأن زيارة

الكنائس والصلوات كانت أثنمتي . وخرجنا فجلسنا في الدهليز على صسفة ،
فتنهح وقال : ستسمع مني الآن قصتين : قصة الدير وقديسه ، وقصة مطران
تخفى فيه . فتحركت يميناً وشمالاً وأحكمت قدمتي فقال :

ما ترك الزمان من هذا الدير الكبير إلا هذا القبو والدهليز الذي يلاصقه .
كان ذلك القبو مقام مار سمعان العامودي عليه السلام ، وهذا المكان كان ديراً
للراهبات ، وبقايا المعاصر والآبار تدل على أنه كان مسكوناً لا مزاراً على تلة .
كنا نعمل فيه رياضتنا الروحية قبلما فتح لنا الرهبان أبواب الدير . أما قديس
هذا الدير - مار عبدا - ففارسي الأصل من تلامذة يهوذا . فنخفت برأسي ،
فاستدرك قائلاً : يهوذا الرسول لا يوحنا اللعين . سام الخبر يهوذا مار عبدا
اسقفاً على مدينة خشكار بابل . فضحكت لها فقال : مالك ؟ أعجبتك كلمة
خشكار ؟ قلت وضحككتني .

فتابع حديثه : وكان مار عبدا كثير الصلاة يشتهي الكليل الشهادة جداً .
فقلت : مطران يشتهي الكليل الشهادة يا جدي ، أما كانت عنده قاج مثل
مطاريتنا اليوم ؟ فتغاضى عن كلمتي هذه وقال فسار إلى مدينة (نوا) في تخوم
الهند . فهزرت رأسي ونفخت ، فتعبس وزأرتني سائلاً : ما بك ؟ قلت كيف
يذهب مطران ماشياً ؟ ما رأيت مطراناً يمشي ! فالمطران ل . جاءنا على حصان
أحمر وألطف ... فزجرني قائلاً : هس يا صبي ، سماع . أما عجائب مار عبدا
فكثيرة جداً ، مر بمدينة كان سكانها كفاراً فطردوا القديس بالضرب والإهانة .

فقلت : وكيف يضربون المطران ، وأنا رأيت المطران بعيني يضرب بالعصا ،
فتتم ، يا ويلاه يا حالاه ، ولمسارأي كثرة الاعتراضات أسرع يعدد عجائب
القديس ، فقال شفى جملاً كان (يسكنه) شيطان ..

فقلت : ولماذا يسكن الشيطان جملاً ؟ أما علمتني أن أقول وقت التجربة :
يخزيك يا عدو البشر ! اذن الشيطان عدو الجمال أيضاً .

فتعلم وقال : وقتل تينياً وشفى مرضى كثيرين . قلت : واليوم ألا يشفي؟
قال : بلى . يشفي من البردية (حمى النفض) من يستشفعون به وينذرون له .
وحاول أن يواصل كلامه فقاطعته وإذا كانوا فقراء ولم ينذروا له شيئاً ألا يشفيهم
قال : بلى ، إذا صلوا بحرارة . قلت : وهل النذر يعني عن الصلاة ،
فأجاب : لا .

وكانه ضاق بي فحتم علي ألا أقاطعه ، وقال : فأمن أربعة آلاف فعمدم
وسام لهم كهنة وشمامسة . فقلت : وبرادطة وخوارنة أسقفين أما رسم؟
فأمرني بالصمت وقال : لا تقاطعني . ومضى يقول : وخرج من القرية فطلع عليه
ثعبان في الطريق ، فرسمه بالصليب فمات . فقلت : انت تخلصت منه بلا رسم
صليب ، فأزهي وما أبدى وقال : وعاد القديس إلى مدينة (نوا) فرآهم مالوا
إلى الكفر وهدموا الكنائس وطرودوا المسيحيين . وتشهد ، فتمثلت : طوبى
لكم إذا عيروكم واضطهدوكم .. فقال عافاك - وجرها جداً - ولكن اسكت
لا تقاطعني ولما علم أسقف البلد (بعودة) مار عبدا جاءه يخبره بقتل الكهنة
وهدم الكنائس ، فعزاه القديس .. ودخلوا المدينة فهاجمهم أهلها فصرى مار عبدا
فحدثت زلزلة زعزعت المدينة ، وتراءت ظلمة ونار في السماء فخضعوا جميعاً
قائلين : ارحمنا يا قديس الله فأسكت الرحمت بصلاته وشفى رجلاً مخرماً .

قلت مبتسماً : مثل سيدنا يسوع المسيح . فقال بنفرة : نعم . ما قلت لك
لا تقاطعني ؟ فأمررت يدي على فمي ، وتابع حديثه : ورجع الأسقف إلى
خشكار . فعاودني الضحك ، فاغتفرها لي ولكنه صبر علي لحظات وقال :
فوجدتم رجعوا إلى عبادة الأوثان ، فوعظهم فاضطهدوه وسجنوه . وفي السجن
عمل عجائب كثيرة ، وجاءه ملاك الرب في السجن وقعد يشدده ويعزيه .

قلت الملاك الذي بشر مريم ؟ قال : عند ربنا ملائكة كثير . . . وفي الغد
جلدوه حتى انتثر لحمه وبانت عظامه فدهنوه عسلاً ووضعوه في الشمس لتلذعه

الزنابير ، وأخيراً قطع الملك رأسه وقتل معه كهنة وشمامسة وبتولات . صلاته
تحفظنا . فقلت كالعتاد آمين .

وتحرك للنهوض قائلاً : يا مار عبدا . فحزنت وتمنيت لو يتمهل قليلاً لأشهد
العيد ، وخرجنا ... فردد الناس فيما بينهم لما رأوه : خوري حنا عين كفاع .
ودنوا منه فباركهم واحداً واحداً ، وكان يقبض على يد من لا يعرفه ويسأله :
ابن من انت ؟ ولو كان ابن ستين . وانصرف وهو يقول لهم : توقوا السكر
يا أولادي .

فوقفته لأطيل بقاءه ريثما أملاً عيني من مشاهد العيد فقلت له : وقصة
المطران ؟ فأجاب : امش . تسمعها في الطريق . ومشى وهو يبرر : كانت
الأعياد للصلاة والعبادة ، فصارت لشرب العرق والنبيد ، وأكل اللحم يوم
الجمعة ... وما بلغنا الوطا حتى دخلنا في العتمة . وأضرم الشباب النار في
الهشم - زينة الأعياد في القرى - فمشينا على ضوء نارهم حتى البيت .

وحدثني في الطريق عن فرار المطران يوسف اسطفان من وجه الأمير بشير
بعد عامية لحقد ، واختفائه مدة في هذا الدير ، لأنه اتهم بكتابة صك الاتحاد
بين الدروز والنصارى على أن لا يدفعوا للأمير إلا المال المعين .

وأقام المطران في الدير منتظراً صفح المير بشير ، ولما بلغه أن التوسط له لم
يجد ، عزم على الرحيل إلى إضاليا مسقط رأس المردة ، فلحق به الشيخ يعقوب
سمعان البيطار ، فأدركه عند نهر البارد ، وأبلغه صفو خاطر الأمير ، وأرجعه .
ومثل بين يدي أبي سعدى فسقاه القهوة القاضية ...

ولما أنهى جدي قصة المطران - كما لخصتها - أخذني من كفي وهزني
بعنف قائلاً : كيف يا مارون أما رأيت مطراناً يمشي .

قلت ولكن يا جدي هذا مطران : فقاطعني بنبرة قائلاً : ما هذا مطران ،
هذا يا جدي ، شهيد مثل مار عبدا .

وقلت : ولماذا خاص المطران المير حتى أصابه هكذا ، فالطارين اليوم
بألف خير ...

فقال بعدما حلق بي : هذه إرادة الله وستنا مريم العسرا ، ومتى اتفقنا نحن
والحكام يا ويل الشعب في لبنان . فمرقصنا - مرقص الكفاعي - الله يرحمه نهى
مير جبيل كثيراً عن ظلم الشعب فما سمع له . ولما حبسه باشا صيدا في البير ...
قلت : في البير ، قال : نعم في البير . طلب الاب مرقص فذهب إلى صيدا
فقال له : صل لأجلي يا محترم ، بلغ صراخ الشعب مسامع الرب الصاباوت كما
قلت لي مرات . ومتى رجعت خذ من زيتون الحكومة في وطأ عين كفاع ،
ما يعجبك ملكاً لديوك - دير معاد - وهكذا صار . وغداً في ذهابنا إلى
(النعوة) أدلك على الصليبان التي رسمها الاب مرقص في بدن الزيتون
الذي تملكه .

قلت : وماذا أصاب المير ؟ فأجاب خلصته صلاة القس مرقص ... ووقف
فجأة وقال : مارون أتعرف تعمل (مرثاية) المرأة التي جاءنا خبرها من أقاربنا ،
هذه امرأة فاضلة . وحدق إلي كمن يترقب الجواب . ولما أبطأت عليه قال لي
أحب أن أسمعك قبل أن أموت .

فقلت : العمر الطويل يا جدي ، فأجابني بفرح كالبكاء : ولك يا عيوني (١) .

(١) أحاديث القرية ص ١٥٤ ومايلها .

طفولته

الإنسان ، بشكل عام ، له نزعة حنين إلى الطفولة ، تتجلى في ذكريات تبقى عالقة بذهن صاحبها على مر الزمن ، وذلك لأسباب ؛ أهمها : ان صور هذه الفترة تنطبق في ذهن صاحبها وتبقى واضحة وجلية مهما طال أمدها بسبب تعلق الإنسان بهذه الفترة من الحياة التي تطفى عليها البراءة والبساطة ولا تخالطها مشاكل الحياة وتعقيداتها . وإذا كان تعلق الإنسان بطفولته مدلولات نفسية وإنسانية ، فإن أهم هذه المدلولات هو تعلق الإنسان بالبراءة والسعادة والمرح . لأن الطفل يعيش هذه المرحلة ، بإحساسه أكثر من عقله ، فكل تصرفاته تكون عفوية ، لا يفكر بما يقول ، ولا يهتم بما يعمل ، لا يهجم المجتمع بقدر ما يهجم إرضاء ذاته ، ولذا تتميز هذه المرحلة ، في حياة الإنسان ، بأنها حياة اللهو والمرح ، اللهو البريء والمرح المزوج بالسعادة وبراءة الطفولة .

وإذا كانت هذه حال الإنسان بشكل عام فلما روى عبود عن طفولته ذكريات ضمنها بعض كتبه ومنها نستطيع أن نربط تعلقه بالطفولة ، بالنزعة الانسانية التي هي حنين إلى البراءة والبساطة . ونلاحظ في ذكرياته عن طفولته منحيين مهمين : أحدهما عام ، يشارك فيه معظم الناس ، كاللهو والمرح والشيطنة وتقليد الكبار وفيه تتجلى أيضاً نزعة عقلية عامة عند الطفل في اعتبار والده على أنه أقوى الناس وأشدها بطشاً وهي نظرة مرتبطة بالتصور المثالي الذي غالباً ما يكنه الولد نحو أبيه . وثانيها خاص به ، وفيه تطالعنا أحداث بسيطة تعرض لها أو تعلق بأشياء لا يتعلق فيها الأولاد بشكل عام .

كانت مارون الصبي منذ حداثة سنه يحب الشيطنة ، والشيطنة تعني أن يكون الولد (ورشا) . غير رصين لا يهدأ ولا يستقر وإذا كانت الرصانة صفة رجولية بالنسبة للعقلية القروية فإنها تتنافى مع الطفولة لأن الطفل لا يتقيد بما يفرضه المجتمع من خَلقيات لا يكون قد تلقنها بعد . وبما أن المجتمع اللبناني هو مجتمع محافظ فهو يتنافى في بعض نواحيه مع العقلية الطفولية . فالطفل لا يخضع لسنن الحياة لأنه حر لا يفهم ولا يدرك القيود التي يفرضها المجتمع ، أما عقلية القرية اللبنانية فهي تتطلب من الطفل ما تتطلبه من الرجل اعتقاداً منها بأنها تعد الطفل ليكون رجلاً في حياته ومجتمعه وغالباً ما نرى هذا الصراع بين الطفولة والمجتمع وهو صراع بين الأجيال أو صراع بين عقليتين في المجتمع الواحد .

كان عند مارون ميل للشيطنة والمرح وكانت البيئة صارمة في تربيتها . جده ، والده ، أمه ، وإن تكن أقل صرامة ، الناس فيما يقولون ويعتقدون . ولذلك نراه بعد أن تحرر من كل هذه القيود ، يقول انه أضاع شبابه وبالتالي طفولته في رصانة لا قيمة لها .

منذ نعومة أظفاره كان مولماً بالشيطنة ، وعبثاً كانت والدته تحاول التخفيف من عبثه ، والحد من حركته ، فكانت تلجأ إلى تخويفه بالمسكري ، الذي كان يُرعب أهل الضيعة قال :

« كنت في صغري ولدأ ورشا ، للشيطنة عندي مقام جليل جداً . وكانت المرحومة أمي تعجز عن إيقافي عند حد من الرصانة التي تتمناها لغزالها ... فأخذت تخوفني بالمسكري ، ككل أم بروتوكولية . إذا تجاوزت الحد في لعبي قالت اهدأ يا مارون ، أقول للمسكري يأخذك . وإن طلبت مني حاجة لم أقضها ، خوفتني بالمسكري . وإن اعتديت على أحد رفاقي أدبتني بقضيب دقيق وقالت : الحبس قدامك . غداً يجيء المسكري^(١) . »

(١) فارس آغا ص ٢٠ .

وفي هذه الفترة من طفولة مارون عبود . وككل طفل في هذه المرحلة من العمر كان يهوى تقليد الكبار ، فخطر في باله أن يقيم مع رفاقه عرساً فكان له ما أراد ، وازدحم الأطفال في موكب العرس ، وضجت القرية بالغناء ، وعجز الأهلون عن وقف الموكب ، وإذا بالسكري بطل قصة (فارس آغا) قادم ، فخاف الأولاد وانفض الموكب وكان لمارون ما كان ؟

« وخطر لي ذات يوم أن أقيم ورفاقي عرساً فاجتمعنا جميعاً . بدأنا بالهداء ، والزجل صبيان «تروّده» وبنات تزغرد، فارتجت الضيعة . وحاول الشيوخ قمعنا فما قدروا . فزّعوننا بالسكري فلم نرتدع ، بل تمادينا في صياحنا ، وأخذنا نقيم كل يوم عرساً .

وأخيراً جاء السكري حقاً ، فانفض الموكب وعقب الغناء صراخ مزعج ، أما أنا فكنت كمن أبصر في نومه أن ذئباً يعدو وراءه . انبطحت على الأرض ، ونزل فارس آغا عن دابته وعدا نحوي ليقبلي من عنقي ، فاشتد صراخي . وما امتدت يدها إلي حتى أخذت أفحص بيدي ورجلي كالأرنب ولكنه لم يفلتني وحملي إلى البيت مدمى . وأفقت بعد حين فرأيتني في الأرجوحة ، ورأيت الآغا ووالدي جالسين إلى الطبلية يتحدثان ويشربان . وبنأكلان ، فتناومت . سمعت الآغا يقول : أمس كنا في قرية غرقين فأخذنا جمهوراً إلى الحبس منهم امرأة كانت أصل الشر فهدأت الضيعة » (١) .

ويتأدى ملرون عبود في الشيطنة ، فيصل إلى تقليد السكري مع نخبة من رفاقه ، فيشكلون فرقة عسكرية ويقلدون الحكام وينفذون حكمهم بالمجرم المفترض ويصل الضرر إلى أحد الرفاق :

« على هذه الطريق ، (طريق الوطا : الفرقفة) كانت تسير فرقتنا

(١) فارس آغا ص ٢٠ .

العسكرية وسيوفها من خشب ، وبنادقها من قصب . بقينا أياماً (.....)
نقلد فارس اغا وفرقته حتى مللنا ومل ، الناس حركاتنا ، وأزعجتهم ضوضاؤنا .
كنا نجعل منا شقياً تطارده الجنود ، حتى إذا قبضنا عليه ، يأمر المدير بحبسه ،
فندخله قبوا يقف على بابهِ أحدنا خفياً ، ولم تسترح القرية من سماجتنا البريئة
حتى كان ما يأتي :

سجنا أحدنا بعد محاكمته فصرخ الفتي بعد قليل صرخة قهقها لها ، ثم تعالى
صراخه المفزع ، ونحن لا نفتح له الباب ، فذعر جارنا طنوس حبقوق وأقبل
على استغاثته ، فإذا بالولد مغمى عليه حد حية تبتلع جرذا . فقتل الرجل الحية
وحمل الولد إلى بيته ، وعاد يتعقبنا واحداً واحداً ، فكانت تلك الفاجعة آخر
العهد بتجارب الحكم ...^(١) .

ولم يكتفِ الولد من شيطانات طفولته بتقليد العسكري ، وإقامة الأعراس ،
بل راح يقلد جده في إقامة الاحتفالات الدينية ، يعبث بكل شيء حتى بما هو من
المقدسات في سبيل تزوته الطفولية ، فكم كلفه ذلك الاحتفال الذي أقامه بمناسبة
أحد الوردية :

« ويعد أيام كان الأحد الأول من تشرين ، وهو العيد السنوي لأم يسوع ،
أحد - الوردية الكبيرة - يطاف به بأيقونتها حول الكنيسة باحتفال عظيم .
اجتمع الناس للصلاة ، وهي أطول صلاة عرفتها ، خمسة عشر بيتاً مقسمة ثلاثة
أقسام : خمسة أبيات للفرح ، وخمسة للحزن ، وخمسة للمجد . ولكل بيت من
الخمسة عشر نشيد خاص به . وبلي ذلك ما يليه ويسبقه من صلوات ودعوات
والتماسات ، وأخيراً الزياح الاحتفالي .

لفت نظري في هذا الموسم شكل الحلة البيعية : غفارة مخملية مزركشة

(١) فارس اغا ص ٤٢ .

بالقصب الذهبي ، ومثلها يهساء ما يتبعها من ثياب التقديس . أعجبني المشهد فوجدت فيه مرعى لصبوتي وأمانى المتوثبة . علقت أعمل الفكرة في إخراج هذا المشروع إخراجاً لائقاً ، كما أخرجت من قبل النظام العسكري ، فاتتهى بفاجعة كادت تكون أليمة .

فما انتهى مشهد الكنيسة البهيج حتى كنت بعد الظهر ، وحوالي من أعول عليهم في المهات الكبرى ، نبني كنيسة عند بيتنا . ولكنها ، ويا للأسف ، ما قامت حتى أعيت وسجدت كإمام العصابة النواسية . فنمنا على كدر ، وقت في الغد أجهد فكري فرأيت قدام بيتنا صخراً مجوفاً ما زال هذا الأثر التذكاري مصوناً حتى ابتلته طريق السيارات كأنه حنية مذبح فتحقق أملي المنشود .

فبنيت على مقربة منه دعامتين سميتها قبة ، وجعلت في القبة جرساً على شاكلتها - تنكة كاز - وقرعنا الجرس والناس يضحكون لنا ، والوالد يبتسم نصف ابتسامة قائلاً : صبي شيطان ، لا يهدأ أبداً . ونادى أم مارون لترى عبقرية المحروس ، فعادت منبسطة الوجه تردد : اسم الله حوله ، يقبر أمه ما أحلاه - والفرد بعين أمه غزال ، كما يقول المثل .

الكنيسة تمت والجرس تها ، أما الأواني الكنسية فأين نجدها يا ترى ؟ المبخرة لا يصلح لها إلا علبة البرشان لجدي الخوري . فانتظرت الغد ، موعد قطاف الزيتون ، فخلا البيت إلا مني ، فثقت علبة البرشان ثلاث ثقوب علقت في كل ثقب خيطاً من القنب فصارت مبخرة ... وأغرقت على الكنيسة فجئت بحفنة بخور . ورأيت المذبح يحتاج إلى تصاوير لم أجدها إلا في التوراة ، الكتاب العزيز على قلب جدي ، فانتزعت صور المجلد الأول جميعها وألصقتها بالمعجين على صدر تلك الحنية . بقيت الغفارة ، فترأت لي في فسطان أمي الحملي - فسطان عرسها - فانتفضت على صندوقها وانتزعت من بقج ثيابها . فصلت منه غفارة وبطرشيلاً ومنصفة وكمين . وجعلت تنورتها البيضاء كتونة ، وأمت زياحاً احتفالياً كان شمامسته رفاقي ، والشعب صبيان الضيعة وبناتها .

كان طوافنا حافلاً صارخاً بلغ به صياحنا مسامع القرى المجاورة ، وعاد جدي من الحقل فرآني أحتفل احتفالاً عظيماً بتقوى وخشوع ، كأنني ذاك ، كما يقول الأخطل . عزّ عليه جداً أن يقلده حفيده ووارث مجده المنتظر ، الأمرار والاحتفالات البيعية فتضاحك حتى أركنت إليه ، وما وقعت بين يديه حتى أهوى علي بعصاه السندية . طفق ينفضني تنفيض الشيخ ، وإن شئت تعبيراً جاهلياً ، فقل : يعصبي عصب السمة ، كما وعد الحجاج أصحابه في الأهواز .

وعجز أخيراً عن الضرب ، وهو يجبو إلى التسعين ، فجعل يركني ، ثم أخذ يدعس ويمرك . قتلة لا يزال طعمها تحت أضراسي كما نقول . فعل كل هذا وهو لا يدري أن علبة البرشان قد تعتمدها الله برحمته ورضوانه ، وأن صور التوراة وميزان الزمان صارت زينة لهيكلي .

وعادت الوالدة إلى البيت فرآني ممرغاً بالتراب باكياً ، ورأت صندوقها مفتوحاً ففزعت ، وغضبت لما رأت بقايا غفارتني وعرفت بها قماش فسطانها . وأراد الوالد أن يبيل يده بي فقال جدي : اتركه ، أنا شبعته . قلت لكم هذا مجنون ، خذوه إلى قصعيا .

وبعد ما استراح من عناء معركة التفت إلي وقال : كلب ، ما قدامك غير الحبس^(١) .

فهذه الأحداث التي يرويها لنا ، ومثيلاتها كثيرات ، تشهد على ما كانت تتوق إليه ذاته من خلال تقليده من هم أكبر منه سناً . ومثل هذا التوق إلى تقليد الكبار ومحاكاة فعالهم أمر طبيعي في طفولة كل منا ، غير أن مارون عبود ،

(١) فارس آغا ص ٤٦ .

ربما يكون قد غالى فيه قليلاً ، ومثل هذه المغالاة هي التي تفسر لنا الاصطلاح الذي طالما استخدمه يصف به تصرفاته في طفولته « الشيطنة » .

وتلبدي سمات أخرى كثيرة اتسمت بها ، طفولته ، منها : ميله الى المرح واستثنائه بكل مرح ضحوك . فهو في وصفه لأحد رجالات القرية الذين هاجروا يقول :

« كنت أحبه ، وأستأنس بحديثه ، لأنه كان ظريفاً ضحوكاً يداعب الصغار ويلاعبهم ويضحكهم^(١) » . ومنها احتلال أبيه في نظره صورة المثال الأعلى للرجل ، « كنت ككل صغير أحسب أن لا أحد يقدر على العم جرجس إلا والذي^(٢) » . ومن هذه السمات كذلك بروز عاطفة الخوف ورسوخها في ذاته ، فهو يخاف من العسكري ، وربما مرد ذلك إلى البيئة ، التي كانت عن غير قصد وعن غير دراية تفرس هذا الخوف في النفوس الطفلة ، مستعينة به على التربية والتوجيه ، ولعل في ما يقوله هو ما يصدق هذا الترجيح ، فبعد أن ملكه الخوف عندما رأى الاغا في بيت أبيه فتظاهر بالنوم هرباً منه وبما قد يحمله اليه من عقاب ، فرأى أمه تهزه مخففة عنه وتبشره قائلة :

(مارون مارون قم راح العسكري^(٣) .

فتفتحت عيني ، فرأيت والدتي تهز أرجوحتي ساهمة ساهية .

فزعت يا ابني ، تقبر أمك .

فأجابها الوالد بلهجة وابتسامة كان يغلبني بهما طول حياته ، كله منك .

(١) فارس اغا ص ٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢١ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٤ .

قلت لك يا شاطرة لا تفزعني الصبي . هربت قلبه . صار يخاف من خياله .
لا تخف يا صبي ايش هو العسكري ، كن مثل النمر^(١) .

وكما كانت لما روت عبود ولع خاص بالعصي ، والقضبان ، ينتقي أمثلها ،
ويعمد إلى شيتها ، وزخرفتها . وقد دفعه هذا الولع في اقتنائها إلى الوقوع في
حبائل قرياقوس ، بعد أن وعده بأن يعمل له قضيباً من شجر الزعرور يزيت به
بجموعته وهاك الحادثة كما يقصها علينا :

(كنت منذ الصغر ، كما أنا اليوم ، مولعاً بالعصي والقضبان . وكنت أتردد
على قرياقوس يغريني به شكله الغريب وحركاته ، ويلذ لي حديثه . وكان
قرياقوس ، أكولاً ، كما عرفت ، يجب كل شيء ، وخصوصاً البيض المقلي مبرداً
باللبن مع ورق البصل ، ولا دجاج عند قرياقوس لأن غارات الثعالب على بيته
المنفرد لا تنقطع . جثته يوماً وفي يدي قضيب زعرور محرق ، فقال لي : هذا
قضيب يا مارون ؟ قضبان عمك قرياقوس قضبان ... في كل قضيب ألف نقطة
ونقطة . ولا نقطة مثل نقطة .

قال هذا ومعه يشق صدر الأرض شقاً ، فهتجني وأغراني ، فتعلقت
بذيل قميصه الخلفاني أترجاه وأستمطفه . فصرخ بي : ابعده ، توقّ حالك ثم
انطلق عيار خفيف من قلعتة المحروسة ، فتراجعت مذعوراً ، فضحك والتفت
إلي ، وقال : قضيب من هذا الشكل يلزم لتنقيطه عشر بيضات ، وقنينة زيت ،
وسماق ناعم مثل الكحل ، وتين مطبوخ ، وبصل وتوم ، وعب تين من
تنتات بومارون . وكلها كثرت الأشكال ، وتبججت الكيبة ، كان القضيب
أحلى ، فهمت يا عيني ؟

(١) فارس اغاص ٢٥ .

- ثسلم عينك . نعم فهمت .

وسرت في طريق البيت ، وقرياقوس يناديني : خذ هذه ببصّ مثل قشرة الحية ، وجنته بما طلب فتغدى أحسن غداء ثم مسد على بطنه وقال لي : اغد علي خذ القضيب .

فعبست وأجهشت بالبكاء ولكني خفت الفضيحة فتجلدت وحبست دمعتي .
وكان موعد العشاء السري فلم تجد أمي بيضاً لتعشينا ، فاستعارت من عند الجيران وسكنت .

وكانت عينا علي في الصباح ، فرأتني غادياً أهملج في طريق بيت قرياقوس ، فاستنطقتني عند رجعتي من عنده فاعترفت ، فأشرفت علي قرياقوس وهو ينقب أرضه وصاحت به : القروود تأخذك يا قرياقوس . كثير قد الجمل ، تضحك علي ولد صغير ؟ ليطك تشتهي البيض اطلب حتى نعطيك .

- أهلا وسهلا بأم مارون . يشهد علي ربي ما قصدي الضحك علي الصبي . ضاعت ولقيناها يا أم مارون . ما صار شيء إلا وصار مثله . يفرجها الله . العسل قريب . يا ويل الذي عنده وما عند جاره .

وعادت أمي تطبطب وسرت هذه الهفوة علي ، ونجوت من قتلة مشبعة ، كما كان يتهددني أبي عند كل زلة ، وما كان أكثر زلاتي ،^(١) .

وبكلمة عامة : كانت طفولته صراعاً بين الجد والهزل ، جد متمثل في البيئة ، وهزل متمثل في مرح الطفولة وبراءتها وان يكن ، مارون عبود ، يعتبر أن طفولته هي من الزمن الضائع عندما يقول :

(١) فارس آغاص ٧٥ .

« فكل ما أعرفه هو أنني نشأت نشأة زميئة في كنف رجل يرى الضحك
جريرة ، فكان يهز لي العصا كلما خفت وقاري ، فأعود إلى الترصن وكان صباي
وشبابي رصانة لا قيمة لها ، لأنها مصطنعة وضد طبيعي فأضعت ذاتي زمناً
طويلاً ، ولم أعر عليها إلا في ظهر العمر » (١) .

ان هذه الطفولة يداً بيضاء على الأدب الذي خلفه لنا ، خاصة إذا عرفنا أن
معظم أقاصيصه منتزعة أحداثها وشخصياتها من هذه الفترة من حياته .

(١) سبل ومناج ص ١١ .

مدارسه

المدرسة الأولى : (١٨٩١ - ١٨٩٦) :

عين كفاع ، كبقية قرى لبنان ، عرفت التعليم في فجر انتشاره ، وآمن أهلها ، على أميتهم ، بقيمة العلم وبضرورة تحصيله ، وكانت أولى مدارسنا تتمثل بمدرسة تحت السنديانة وقد عرفت عين كفاع ، هذه المدرسة التي كانت أهل القرى يرسلون أولادهم إليها ليتعلموا مبادئ القراءة والكتابة والحساب . ولست أجد ما أني به هذه المدرسة حقها ، خيراً مما قاله فيها مارون عبود مقدماً لنا وصفاً رائعاً لمدرسته الأولى ، مقاعد التلاميذ ، طريقة التعليم ، ولم ينس المعلم فوصف هيئته ، حركاته ، ثيابه ، قضيب الرمان ، القصاص ، معاشه ، علاقته بالأهل ، كما وصف التلاميذ أثناء القراءة ، والفرص ، ومشيتهم في الطريق عند الانصراف الى البيت ، وتقديم التحية الى المارة . فيقول :

« مدرسة ضاهت الجامعات بمن خرجت . لم أقل بمن أخرجت لأنها قائمة في العراء ، ولا باب لها فيخرج منه . فحد الهيكل ، في ظل السنديانة ، كنا نقعد نتعلم . وإذا ما أنهل المطر هرولنا إلى صحن الكنيسة ، نقيم الدروس فيها إذا خلا (بيت الجسد) من القربان . أما اذا كان القربان (مصودا) ، وكنا نتمنى ذلك ، فنكر الى بيوتنا راكضين ، كما تكرر الى أوطانها البقر . . . وتسقط عنا كلفة المشي على الدرب مكتفين . كان يأمرنا المعلم ألا نتلفت يمينا وشمالاً ، ففسر وكان كل واحد منا حصان عربية مكدون . علينا (أن نَمَسِّي ونُصَبِّح

كل من نراه على رمية حجر ، ليقال انا (تلاميذ مدرسة) . أما تحية الظهر كانت : الحمد لله . وجوابها : دائماً لله ، وكثيرون كانوا يختزلون الرد فيكون : (دائماً) فقط ... ليستطيعوا رد سهامنا المتلاحقة . أما توس يد الأب والأم والخال والعم وكل نسيب حتى الدرجة الخامسة فكان من أقدس الواجبات ...

كانت مقاعدنا فروة ، شتاءً ، وعلى الأرض أو الحجارة صيفاً . وللمعلم كرسي الكنيسة الدهري ، وهو من خشب التوت المعمر . كان المعلم يحمل تلاميذه خطأً مستقيماً ، حسب مرتبتهم العلمية ، لكيما يصحح المتقدم خطأ المتأخر ، ولا يعود إلى المعلم إلا كبش الكتيبة ...

وقبل أن نصف المدرسة وطلابها ، علينا أن نعرفك بالمعلم ، سيدها الجبار المسيطر . السحنة معروفة ، فلا نستطيع تحديد الشخصية وتصويرها لأننا لا نتكلم عن واحد بعينه . فالمعلم غالباً من أصحاب السمات . لبامه غنبار قاتم اللون . يشد وسطه بزئار يختلف عن الغنبار لونا ، ولكنه يظل أميل إلى السواد محافظة على الأبهة والوقار . وإذا لم يكن المعلم ملتجياً فهو لا يخلق ذقنه إلا نادراً . عليه أن يظل معبساً ليذب الرعب في قلوب تلاميذه فيحول تجهمه دون شيطنتهم . وكان يزيد في أبيته تلك ، ذلك الطربوش المدور الأحمر - المغربي - الملفوفة عليه شملة سوداء من الحوير الخاص ، ذات خطوط متواضعة اللون . أما (شرّابة) طربوشه فحريرية زرقاء ، خيطانها أنعم من صوف الحررة ، وكثيراً ما كان يقترض منها الليقة لدوائه النحاسية المشكوك في زناره . تلك كانت سمة (المعلم) ولعل شرّابة الجامعيين اليوم مأخوذة من هاتيك (الشرّابة) ... ولا فرق بينها إلا أن شرّابة هؤلاء من قدام ، وشرّابة جامعة تحت السنديانة فكانت من خلف .

كان بعض المعلمون يخبثون تلك الشرّابة ، ومنهم من كان يحور عليها

فيستأصل دابرها ... ولا يبقى إلا تلك الهناة التي تعلق بها ، فنتصب فوق قلة رأسه كأنها اصبع يشير إلى السماء موحداً المعلم ... الله أكبر .

يجلس على عرش غضبه ، ومن حوله قضبان رمان ، اذا مات منها سيد قام سيد . فالرمانة حد الكنيسة ، والسعيد من من كان يكلفه المعلم قطع القضبان منها ، متى استهلك ما عنده ، أما (الفلق) وهو شر ما خلق ، فلا يلجأ اليه إلا في الجنايات الكبرى . والحيانة العظمى تكون حين نضحك من المعلم اذا كان معوها ، وكثيراً ما يكون ذا عامة . كنا نصطف خطأ مستقيماً حد حيط الكنيسة ، كما مر ، في اليمين المدل ، وفي اليسرى ورقة الالفباء ، أو الأيحد ، أو القدوس ، مكتوبة بخط يد المعلم الطاهرة ، مشكوة بعود مفروض ، له مسند تتكئ الورقة عليه . أما حملة الكتب ، أي المتقدمون في الأخوة ، فهؤلاء يقرأون بلا مدل ، لأنهم (لقطوا) الحرف ، ويقرأون كرجا .

يبدأ الدرس ، دائماً ، بالصلاة ، وإن كنا خرجنا اليه من القداس توأ . ثم علينا أن نقرأ جميعاً بجماعة وحرارة ومن كان صوته جهورياً أكثر ، كان أشدنا اجتهاداً ، ما على المعلم إلا أن يراقب أفواهنا ليرى اذا كان فينا من لا يقرأ ، بينما نحن نرميه بطرفنا مزورين . وإذا ضحك أحدنا ، ولو في عبه ، جاءه قضيب الرمان ينخط في بدنه الرخص أثلاماً ...

ذاك كان أول واجبات معلمنا ، فهو يعرف الكلمة الماثورة : من ضحكك بكك ، ومن بكك بكك ، فكثيراً ما كان يحدثنا بنعمة قضيب المز ، مرصعاً خطبته التربوية بقول ابن سيراخ - كما يزعم - من أحب ابنه فليهيء له القضبان حزمياً حزمياً . وإذا تجاسر ولد وأفلت من برائته ساعة التأديب ، أرسلنا جميعاً خلفه لنعود به اليه محمولاً على الأكتاف والأعناق ، كأنه أحد زعمه هذا الزمان .. وهذا ما كان يطلق عليه اسم (الزياح) .

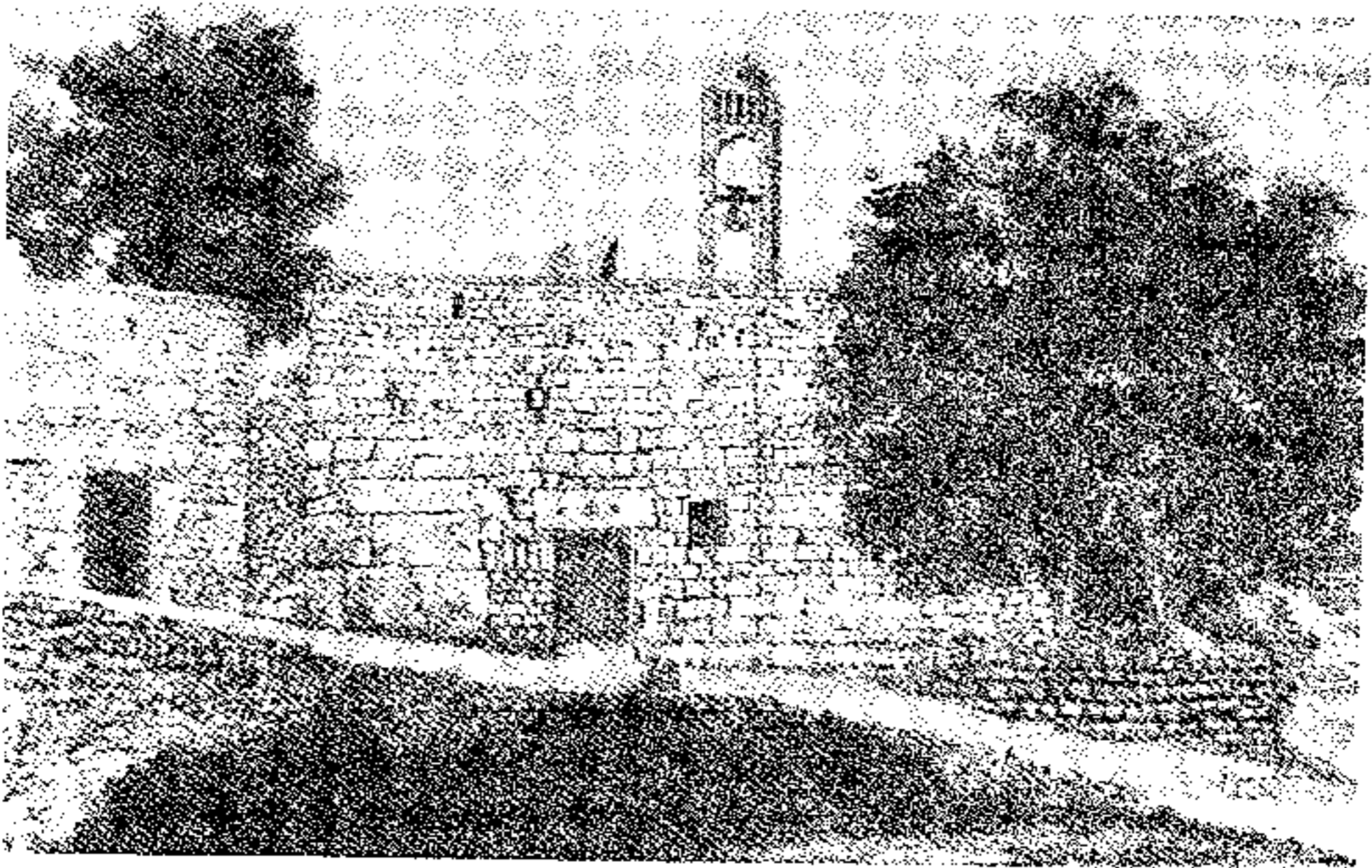
أما القصاص فكان يختلف باختلاف الجرائم ، فمن ضرب بالقضيب أو الخففة

- الطبخة - على بطن الراحة ، أو على رؤوس الأنامل بمجموعة ... الى الركوع على الحصى . وكما أن آخر الدواء الكي كذلك كان آخر القصاص (الفلق) .

وهناك قصاص أمر ، وهو تزيين صدر المقصر بورقة مكتوب عليها (حمار الصف) . وإذا قصر أحد ، عند الامتحان ، في قراءة كلمة ، أمر المعلم من فوقه أن يضربه كفاً ، أو يفرك أذنه الخ .

أما ما كان يتقاضاه المعلم - عدا المرتب الذي يتناوله من الوقف - فهو (سمحة نفس) ، بضعة أرغفة من الخبز ، ويضع بيضات ... إلى آخر ما هنالك ، مما تجود به عليه الأم الحنون ليرأف بابنها العزيز ويشمله بالنظر السامي ، فكان كل الأمهات كن يعرفن قول الشاعر :

ان المعلم والطبيب كليهما لا يخلصان النصح ما لم يكرما



(كنيصة عين كفاع والسنديانة التي كانت أولى مدارسه عن لوحة زيتية للفنان اشيل انجليني)

وكانوا يعزمون عليه متى كان عند ذوي الطالب أكلة طيبة فيأكل
هنيئاً مريئاً ...

كثيراً ما كانت تلهينا (اوركسترا) المصافير الدورية حين تعزف ،
فيكشها المعلم اما مصفقا وإما مطبطيناً ، ثم يعدو إذا لم تطر ، فنضحك حين
ينفجر ثغر غنباره ويبدو سرواله الأزرق المفتوح ، فيظن ذلك استحساناً ، ثم
يتهالك على كرسيه بعد أن أدّى واجبه . وعند الفطور كان يهيب بنا : يا لله ،
(هوشة الترويقة) فيعلو صياحنا ويشتد ، فيقصر لنا الوقت بقدر عياطنا ...
وكذلك كان يفعل عند بعثة الغذاء . و (الهوشة الكبرى) تكون عند اخلاء
السبيل قرب الدغيشة .

بقي أمر خطير لم أخبرك عنه ، ألا وهو الخروج لقضاء الحاجة ... كان
علينا أن نستأذن قائلين : دستور يا معلمي . فيتناول جلالتة - قبل اعلان
الدستور - صولجان الرمان ، ثم يقول : افتح يدك . ويضرب السائل اما قضيباً
أو قضيبين قائلاً : ان تعوقت (تاكلها) ... قهقها مرة جميعاً ، قطار الينا
يخناحي غنباره المهيضين ، فعثر بها ووقع ، فكر كرنا في الضحك ، فانشق من
الغيظ وسقانا كاس قضيبه دورين .

وكان بعض الكسالي يطيلون الإقامة في ذلك الموضع ... عندما يُمنحون
(الدستور) فلكي يستعجلهم كان يبرزق على حجر ، و الموعد قبل أن تجف تلك
البصقة ، والويل لمن لا يسبقها . أما الجبناء من التلاميذ فكانوا (يقضونها) في
ثيابهم ، ولا يجرؤون على طلب (الدستور) فيمسي شغل أهمم الشاغل إعداد
التياب وشراء الصابون .

يا ليتك رأيت التلميذ ماثلاً أمام المعلم ، فاتحاً يده ليسلم عليه القضيب سلام

الأحباب . التلميذ يقدمها ويؤخرها ، وجوارحه تتضح خوفاً وذعراً . والمعلم يتبها كيلا يخطيء الهدف .

التلميذ يتوجع ويبكي سلفاً ، ماداً يده نصف مد ، والمعلم يكثر ويصرخ :
افتح يدك .

أما الرفاق فيتفرجون ، حتى اذا ما انتهت تلك المعركة عادت مياه المدرسة الى مجاريها ، وقال المعلم بعد النصر المبين : العصا علمت الدب يرقص . ادرسوا يا أولادي،^(١) .

وكان نصيب مارون عبود أن يرسل الى هذه المدرسة وهو في الخامسة من عمره ، وقد أمضى فيها خمس سنوات منذ ١٨٩١ - ١٨٩٦ .

عندما ادخل المدرسة صعبت عليه (الزربة) الانضباط في بداية الأمر ، وقد بذل جده قصارى جهده حتى علمه الألف باء . ثم دفعه إلى المعلم طنوس حنا الياس ، وهناك ما حصل له في أيامه الأولى .

« ارسلت الى مدرسة تحت السنديانة ابن خمس ، فكنت ذنب الصف طبعاً . قعدت أول يوم ولا شغل لي إلا كش الذبان ، وتأمل رفاقي ، وسؤال الله أن يفك أمري . ومر اليوم الثاني كالأول وكذلك راح الثالث ... رأني ابن عمي على تلك الحال فضحك ، أما أنا فأجهشت ، وقلت بانكسار: يا فارس ابن عمي . قل لأمي ، مارون (بدو يا كل) .

وبلغ الخبر الوالدة فصاحت : تقبر المدارس ... يا جرمتنا . به ، به ، به .

وصبر جدي الخوري علي أياماً ، ولما رأني مصراً بعناد على البقاء حيث أنا ،

(١) رواد النهضة الحديثة طبعة ١٩٦٦ ص ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ .

أي ذنب الصف ، لم يرض بها حالة . أياكون حفيده في هذا التأخر الخزي .
جرتب أولاده ولم يوفق إلى من يخلفه ، وما ان بوارق اخفاقه تلوح في جو الخيبة
من جديد ، فما عساه يعمل ؟

— قم يا مارون احمل ورقتك والحقني .

وما أصبحنا وأمسينا حتى كنت تعلمت : الألف والأيجد والقدوس . فتهلل
جدي للفتح الجليل ... فبجاه بالمزامير وشرع يعلمني (الطوبى) (ولماذا) .
وبعد جمعة صرت في المزمور الثامن :

(أيها الرب ربنا ما أعجب اسمك في كل الأرض) . فشكر جدي الله ،
وأخذ بيدي كما يأخذ الراعي بأذن شاته ، وما بلغنا سنديانة الكنيسة حتى
دفعني دفعا فوقعت في حضن المعلم ، فقال له جدي افحصه . ولما رأني جدي ،
عند الامتحان ، كما يهد قال للأولاد : وشعوا له .

أما كيف تعلم مارون في هذه المدرسة وماذا تعلم في هذه المرحلة التي توازي
المرحلة الابتدائية والتي تقصر دروسها على الألف باء والمزامير :

أما كيف كانوا يعلمون ويتعلمون فأليك الخبر كما رواه :

(يكتب المعلم الألف باء على ورقة يشكها الولد بنخشة مفروضة لها متكا ،
ويأخذ مدلا وهو عود رفيع يدل به على كل حرف تعلمه ، ومتى عرف الألف
باء طردا وعكسا وانتقاء ، كتب له القسيس الأيجد ثم ينقله إلى القدوس)
وغاية الغايات كانت مزامير داود يقرأونه ولا يفهمونه .

هذه هي المرحلة الأولى التي قد يقف عندها الاكثرون وهي تضاهي الشهادة
الابتدائية اليوم .

قضى مارون عبود في مدرسته الأولى خمس سنوات تلقى العلم على يد المعلم
طنوس ولما هاجر هذا الأخير ، خلفه معلم آخر ثم مات ، ولم يتفق أهل القرية

على معلم جديد ، وأقفلت المدرسة ، فنقل الخوري حفيده الى مدرسة خارج
القرية لتابعة التحصيل العلمي :

« وهاجر المعلم طنوس ، فعلى محله غيره ، ثم مات هذا فكان عيداً كبيراً
عندنا . وفتشوا عن آخر فما اتفقت كلمتهم على واحد ، لأنهم كانوا حزبيين ،
فكان ذلك عيداً أكبر وظلت الضيعة بلا معلم ، فقال جدي لوالدي : رح دبر
مدرسة للصبي . وانتقلت من مدرسة تحت السنديانة إلى مدرسة حولها
سنديانات ، ومنها إلى مدرسة في غابة من هذا الشجر المبارك - مار يوحنا
مارون - ثم كانت خاتمة المطاف في مدرسة الحكمة .

ما صعب علي شيء في مدرسة غير بري القلم ، ومع ذلك قلت في وصفه حين
نظمت الشعر : تعلم بطش الأسد في ضفة النهر .

(١) رواد النهضة الحديثة ص ٢٥ و ٢٦ و ٣٠ .

المدرسة الثانية

من مدرسة عين كفاع ومن تحت سنداياتها انتقل مارون عبود إلى مدرسة في قرية مجاورة هي مار يوسف يجه أستاذها الخوري يوسف جبور سعادته (١٨٨٠) وبقيت تمارس التعليم حتى عام ١٩١٩ .

أستاذ الأدب الفرنسي - الخوري اسقف نعمة الله أبي نادر ، خريج جامعة السربون .

أستاذ اللغة العربية - الخوري اسقف بولس سعادته ، خريج مدرسة عين ورقة .

أستاذ البيان - الخوري يوسف الحداد ، من عين كفاع .

أستاذ اللغة الفرنسية - الخوري حنا ديب ، من قرية غلبون .

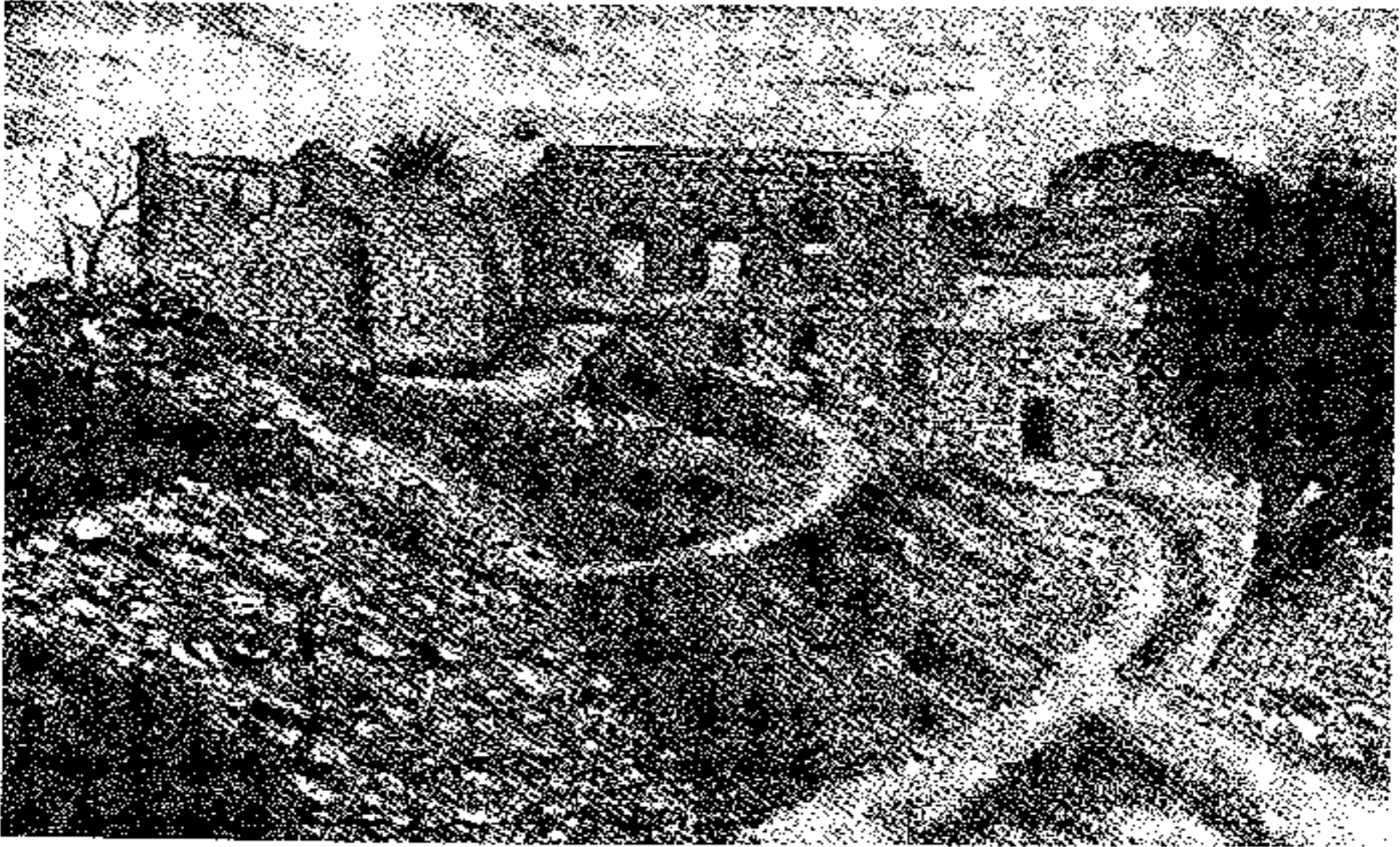
أستاذ الحساب الفرنسي واللغة الفرنسية - جاك من فرنسا .

أستاذ الحساب العربي ومناظر - أنطوان فاعور ، من قرية قيتولي .

وتعد هذه المدرسة من أكبر مدارس المنطقة فقد خرجت نحواً من ٧٣ كاهناً .

وقد بقي في هذه المدرسة سنة واحدة ١٨٩٧ - ١٨٩٨ .

والأرجح انه ارسل إلى هذه المدرسة لأنه لم يجد لمدرسة الضيعة معلم . ولم يترك مارون عبود أي أثر يذكر عن هذه المدرسة . كما انه لم يتعلم فيها أشياء جديدة .



(مدرسة القديس يوسف في قرية بجه ، عن لوحة زيتية للفنان اشيل انجليتي)

المدرسة الثالثة

بعد مدرسة بحه انتقل مارون عبود إلى مدرسة مار ساسين في مزرعة تابعة لقرية فغال من قضاء جبيل وكانت أول مدرسة داخلية ، حيث تعلم فيها سنة دراسية كاملة (١٨٩٨ - ١٨٩٩) وقد حدثنا عن الصعوبات الأولى التي واجهته فقال :

« أذكر ولا أنسى أبداً أنني بكيت أول ليلة بكاءً مرأً حتى بللت دموعي مخدتي وتمكرت من القيظ عيناى ، كما قال داوود بعد فعلته تلك . كنت كالغريب في تلك المدرسة ، فاستوحشت جداً وعللت النفس بالسوء ، فإذا بي في الغد ، ألتفت صوب بيتنا ، فأبكي . سخر منى رفاقي وسموني البكّاء . ولكني فقتهم درساً حين نسيت ملاعب صبوتي ، فراح ذلك الامم .

ومرت الأيام فجاء أحد المرفع ، فتذكرت الحروف الذي ذبحناه عام أول ، وارتمينا بشحمه ولحمه كعدارى امرى القيس . تذكرت الكبة النية والمهريسة والكروش المحشوة وجميع أصناف المآكل اللبنانية ، فبكيت في فراشي حتى درى أحد رفاقي فقال لي : تبكي يا مارون ؟ فأجبتة لا . باصر بنومي . فضحك وضحكك .

وسمع حديثنا الراعي ، أي الناظر العام ، فلم يزد على قوله : شر الصباح ولا خير المساء . قاموا .

ما غمضت لي عين تلك الليلة . أحاول النوم ولا أقرار على زأر من الأسد .
ان شبح القصاص رهيب ، أخاف على جلدي ، فكل شيء إلا العصا . ولكنها
مضت على خير^(١) .

في مدرسة مارساين . وكان قد أصبح في الثالثة عشرة من عمره وهي
بداية فترة المراهقة ، كانت شخصيته تتطور باتجاهين ، في الاتجاه الأول أصبح
يحب أنه أكثر مسؤولية ، لذلك أصبح أكثر وعياً بالنسبة لتحصيله العلمي ،
لا يفوته الاستفادة حتى من رفاقه . فبدأ في هذه المرحلة يعمل بجدية أكثر .
أصبح يحب المطالعة ، وقد حدثني رفيق له في هذه المدرسة ، انهم عندما كانوا
يذهبون كل أحد في تزهة خارج المدرسة ، كانت مارون يصطحب معه أحد
الكتب وعندما يتفرق التلاميذ للعب ، كان يتفياً ظل سندية ويطلع في
كتابه إلى وقت العودة ، ولعله قد تأثر بهذه الفترة بأحد زملائه المدعو نخلة
يوسف كما يحدثنا في ذكرياته عن هذه المدرسة . ولعل موهبته الأدبية بدأت
تتفتح في هذه المدرسة المتواضعة التي كانت تضم أساتذة أكثر اطلاعاً من
مدارسه السابقة .

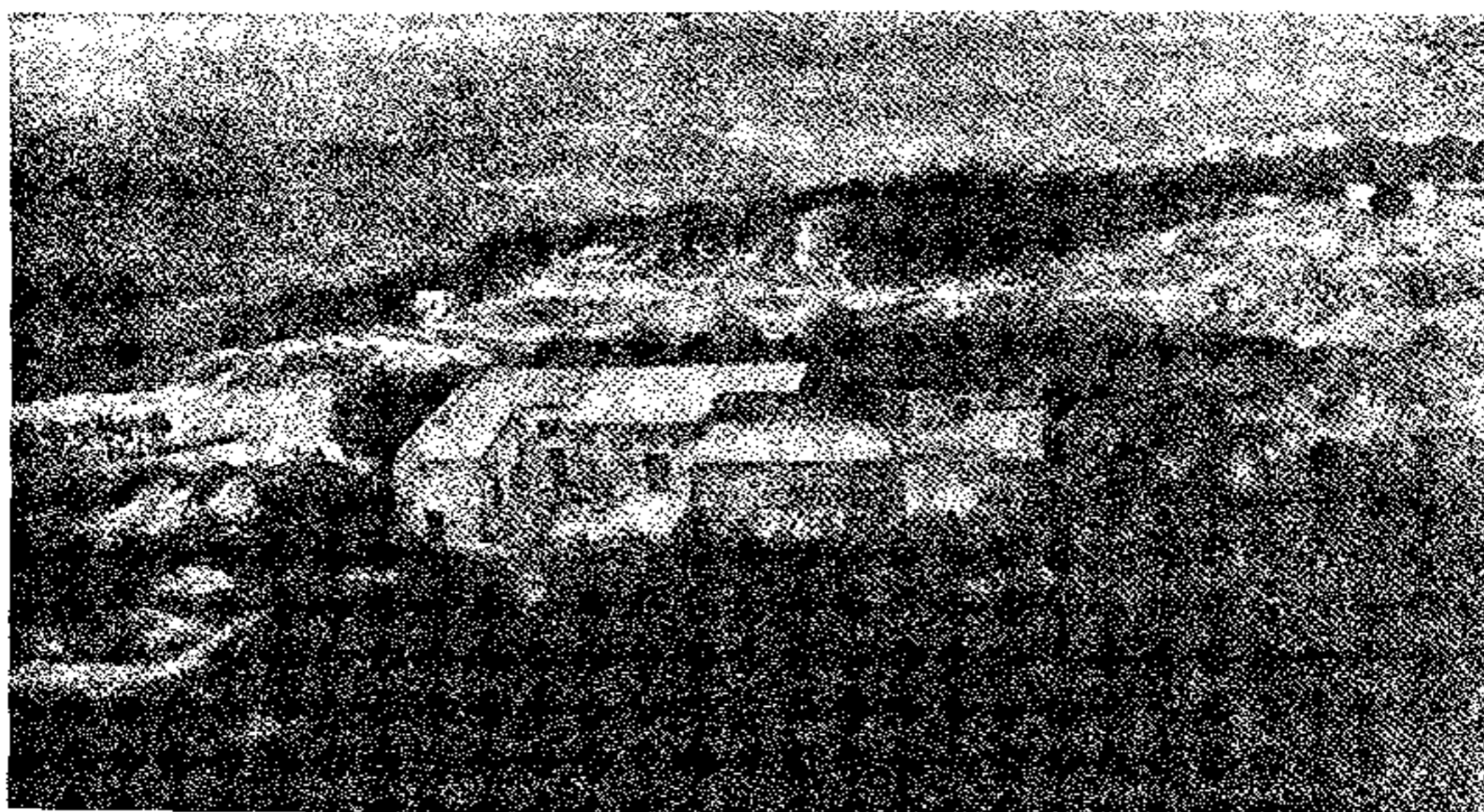
« في مدرسة أكثر من متواضعة ، نشأ المونسنيور نجايل الفغالي حيث نشأ
قبله ، أخوه المطران بطرس ، تلك المدرسة الصغيرة الجماعمة على كنف جسر
المدفون ، في مزرعة ، تابعة لفغال ، كانت ملعب صبانا .

كان نخلة يوسف - أي المونسنيور فغالي - أكبر مني قليلاً ، فكنا صديقين
صغيرين ، وعشنا كذلك كبيرين ، والرأي مختلف .

لا تبارح تخيلتي صورة صديريته الديما - من حياكة فغال - ذات صفين من

(١) أحاديث القرية ص ٩٨ .

الززار الزجاجية الرخيصة . ولست أنسى شراويلنا البيض المصنوعة من المقصور ، وكانت بذلة الأحد والميد غنبار من الجوخ الرصاصي شتاءً ، ومن الحرير المحاك في بيت شباب أو السقي كروزا صيفاً . أما اللباس الفرنسي فلم يكن له أثر .



(مدرسة مار ساسين ، فقال ، عن لوحة زيتية للفنان اشيل انجليني)

كان يرعانا ويعلمنا كاهن جليل اسمه الخوري مارون شكور ، وهو ابن كفر عبيدا ، ضيعة نخلة يوسف . كان معلمنا ، رحمه الله ، عارفاً بأصول العربية معرفة دقيقة ، بارعاً في (الليثيات) أي لماذا رفعوا اسم كان ، ونصبوا اسم أن ، مثلاً ، فكان يحملنا من تلك الاثقال ما استطاع لا ما نستطيع . وكان نخلة

يوسف في الصف الأعلى ، فكنت أستفتيه فيما يشكل علي من مسائل ، وما يفوتني من (دور الليثيات) . وكان صديقي كريم الاخلاق لا يستثقل أن يجيب علي أسئلة طالب في الثالثة عشرة . لم أكن في ذلك العهد أحسن درس الأخلاق ومع ذلك كنت أعجب بهدوء نخلة يوسف ورزاقته ، وأحاول أن أحرص مثله فلا أقدر .

كانت ابتسامته حائرة ولكنها صافية خالية من كل معنى إلا معنى المحبة . وكان قدوتنا في اجتهاده ، فلا يخلو من كتاب ، ان لم يكن في يده ، فهو تحت ابطه أو في جيبه .

ومات في تلك السنة - ١٨٩٩ - البطريرك يوحنا الحاج فهب شعراء المدرسة يرثونه ويتفجعون عليه ، خائفين على الطائفة بعده . . . وانتخب المطران الياس الحويك بطرركا ، وكان هو رئيس المدرسة - الخوري بطرس بوصعب - مع المطران أبي نجم فعمرت المدرسة موجة ، ياس وخسرنا (الفادوس) . ثم كان الرضى والتسليم فاقترح معلمنا وراعينا ، علي الشعراء من كبار التلامذة ، أن يهتوا صاحب الغبطة الجديد ، فقال الكثيرون منهم شعراً . قال معلمي الأول طنوس حنا الياس من عين كفاع :

قد سدت يا بدر السعادة والهدى وبدا ضياك لكل مغوفاهتدى

وقال الخوري مارون شكور ، مدرس البيان في مدرسة مار ساسين فقال :

احن إلى النظم الرقيق توددا وقلبي بحب الفيد لن يتقيدا

وقال نخلة يوسف كفر عبيدا :

ألا أيها النشوان من خمرة الذعر أفق لا تخف أمنت من نوب الدهر

هذا هو المونسنيور فغالي في مار ساسين فقال . وافترقنا سنة ، ثم اجتمعنا في مدرسة مار يوحنا مارون الاكليريكية . وهناك في الغسابة التي تلف دير كفرحي التاريخي جددت مع صديقي نخلة يوسف ذكرى سنديانات مار ساسين فقال . كنت كبرت قليلا وأصبحت أقدر على إدراك معاني الحياة فصارت عشرتي ألد . كانت لنا حركات تستفد الأساتذة وتضعك التلامذة ، فكان المرحوم نخلة يفوز من حركاتي بالغنم وأفوز أنا بالغنم (١) .

وفي الاتجاه الثاني بدأت تبرز في شخصية مارون عبود روحه الساخرة كما ظهرت عنده نزعة التمرد والتحرر ، يقدم على فعل كل ما يحلو له للذة في نفسه لا يخاف العقاب منها كان ... تحت هذا الباب يمكننا حصر مكابדתه أساتذته وتدخينه في قاعة المطالعة ، وهجاء رفاقه .

(لم أكن أبالي بما عند جبابرة الأساتذة من بطش في سبيل توطيد عرشهم ... خاطروني مرة في مدرسة مار ساسين على التدخين في قاعة الدرس فدخنت . وكانت الجالس سعيداً على عرش (المناظرة) حنا الخوري حائل - الخوري نخبيل الخوري ، كاهن رعية مار مارون ، في بيروت سابقاً - فأنزلوا بي عقاباً شديداً - اطعمت الخبز اليابس راکماً في المائدة ، مدة أسبوعين فقط ، ومع ذلك لم أثب فتركت في مار يوحنا مارون قصصاً خالدة ...

وأخيراً صح الصحيح ولبى صديقي نخلة دعوة نعمة روح القدس التي لم تحل علي .. فبعثوه إلى فرنسا حيث أتم دروسه الاكليريكية . وهكذا حدث عن ذلك الدرب وافترقنا ، ثم اجتمعت به بعد الكهنوت أكثر من مرة ، وتبادلنا (النظريات) في حياتنا ، وكان آخر اجتماع في مكبي في

(١) جدد وقدماء ص ٢٢١ طبعة دار الثقافة ١٩٧٢ .

عاليه . جلسنا ساعات نتذاكر الماضي ونستعرض شريط حياتنا الماضية ، فعشنا
بها هنية ،^(١) .

أما تركه لهذه المدرسة فكان بمسبب هجائه مطبخ المدرسة ، فاتهم بهجاء
الدين ، فنقل إلى مدرسة رابعة يقول :

(عندما كنت طالباً عملت جنازاً للطبخ في مدرسة مار يوحنا مارون ،
فغضب الرئيس وأكلت قتلة مشبعة بحجة أني استهزأت بالطقوس الدينية ، أما
الحقيقة فهي اني هجوت المطبخ)^(٢) .

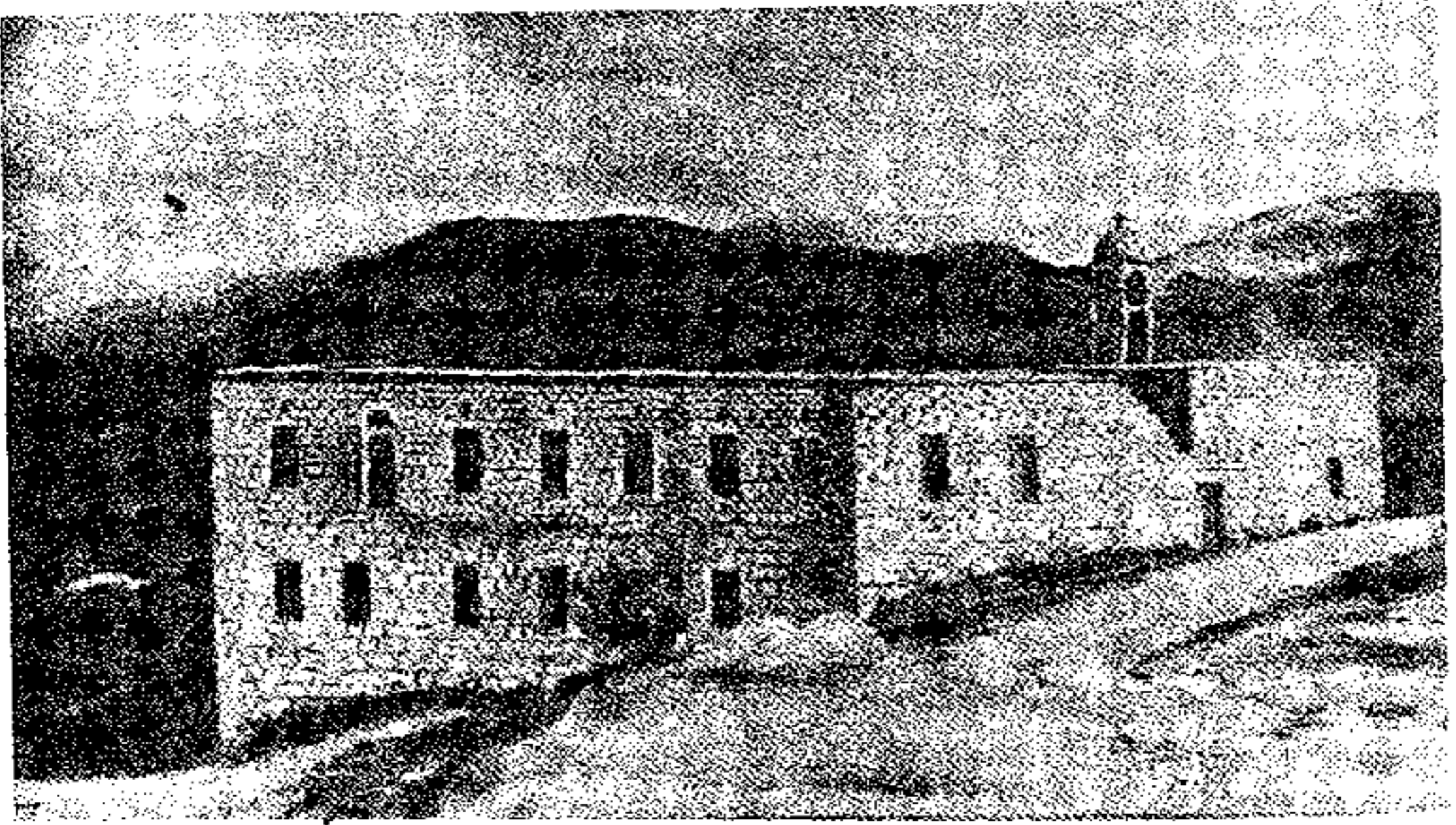
(١) جدد وقدماء ص ٢٢١ .

(٢) الشعر العامي طبعة دار مارون عبود ص ٧٣ .

المدرسة الرابعة

مدرسة النصر :

دخل مارون عبود مدرسة النصر الداخلية في قرية كفيفان من أعمال البترون ودرس فيها سنة ١٨٩٩ - ١٩٠٠ وفي هذه المدرسة وقعت له حادثة إذ سقط عن السطح مع المهدلة فشح رأسه وظل يذكر هذه الحادثة طوال حياته .



(مدرسة النصر (كفيفان) المدرسة الرابعة عن لوحة زيتية للفنان أشيل انجليني)

المدرسة الخامسة

مار يوحنا مارون - كفرحي - (١٩٠١ - ١٩٠٤) :

انتقل مارون عبود بعد أن أنهى علوم مدرسته السابقة ، إلى مدرسة الكليريكية هي مدرسة مار يوحنا مارون في قرية كفرحي (البترون) ، حيث تلقى علومه من سنة ١٩٠١ - ١٩٠٤ وكانت الغاية من إدخاله هذه المدرسة أن يعيد المجد الى بيت لاوي على حد تعبيره ، أي أن يخلف جده في الكهنوت كما كان يشتهي له أبوه وجده . غير أن الحديث عن الدعوة الكهنوتية تردد في أخباره قبل هذه الفترة ويبدو أن فكرة الكهنوت كانت تراود العائلة منذ بدأ مارون بالتعلم وكانت المدارس التي أدخل إليها سابقاً تعد فيها تعد رجال الاكليروس نستدل على ذلك من حديثه عن مدرسته السابقة ومن ذكرياته مع زميله نخلة يوسف الذي أصبح فيما بعد المونسنيور فغالي ... الذي زامله مارون في مدرسة مار ساسين ، « وقد لبى الفغالي دعوة الروح القدس » كما يقول عنه قبل أن يلتقيا مجدداً في هذه المدرسة الاكليريكية وفي هذه المدرسة تابع مارون تمرده بينما ظل يخفي عن أهله فكرة ترده ، بالنسبة لدعوته الكهنوتية وأما القصة التي بدأها في المدرسة السابقة فقد ترك مثلها أكثر خلوداً كما يقول ، في هذه المدرسة .

أما قصة الدعوة الكهنوتية فأغلب الظن أن مارون لم يكن مقتنعاً بها كل الاقتناع لاسيما بعد أن أصبح يعي صعوبات الحياة ومشقاتها . لقد بدأ منذ

مرحلة تعلمه في مدرسة مار ساسين ، حملته على الكهنة فأخذ ينتقدم ويسخر من بعض تصرفاتهم ، ومنذ ذلك الحين رافقته هذه النزعة التهكية ولعل عدوله عن دعوته الكهنوتية كان نتيجة لما شاهده بأب عينيه من تصرفات أولئك الكهنة التي تتنافى مع مثالية الرسالة التي انتدبوا إليها خاصة وقد اتخذ من جده الخوري حنا عبود مقيماً لرجال الدين ، ومثله قليل . أما السبب الذي يوضحه مارون بهذا الصدد فهو انه انتدب لهذا الأمر بالرغم من إرادته وطوعاً لمشيئة جده ووالده . وقد يكون مارون أحس بأدى الأمر بدعوة من نوع آخر شعر بوهبته الأدبية تفتق وتبرعم فكانت هذه من طبيعه . فتبعها تاركاً كل شيء .

« لقد صدق الذين قالوا : أدركته حرفة الأدب فهي محنة ليس مثلها محنة . يعيش صاحبها في إقلال وكأنه صاحب حور وقصور . ليس في الأمر تشويق ولا ترغيب ولكنه الطبع يسوق صاحبه بعصاه إلى حيث يرغب ، وإلى حيث لا يرغب ، وهو في كلتا الحالتين راض ،^(١) .

كانت حرفة الأدب من طبيعه وإن تكن محنة وهي دعوة طغت على دعوته الكهنوتية ليس لأنه فضل الأدب على الكهنوت بقدر ما كان يحس أن طبيعه يتلاءم مع هذه ولا يتلاءم مع تلك خاصة ، والمهمة صعبة وهو يعلم كل العلم كما كانت تقول أمه إما خوري مليح وإما لا .

يقول مارون انه كان مسيراً بالنسبة لدعوته الكهنوتية بينما النية لم تكن كذلك كانوا يعدونه ليكون راعياً للقطيع فكسر العصا وتمرد .

« علموني فتعلمت ، وساقوني فانسقت ، ولكن اختلفت نية الجمل والجمال ، وقد بدت طلائع ذلك في مبرزغ الشباب . ها نحن في مدرسة مار يوحنا مارون ،

(١) زوابع ص ٢٩٤ .

المدرسة معدة لتهيء للقطيع رعاة ، وقد كنت أنا من المرشحين لتلك المهمة ، ولكنني كسرت العصا قبل أن أمس بها على الغنم ،^(١) .

قد يخيل لبعضهم أن مارون عبود ، بقي على صمته بالنسبة لرفضه الدعوة الكهنوتية ، ريثما يتعلم ، خاصة ، وأنه من الشائع لليوم ، أن أصحاب هذه الدعوات يتعلمون بطريقة شبه مجانية أو قل مجانية على حساب الاكليروس ولكن مارون عبود يقر ويصر أنه لم يتعلم على حساب أحد ويعيد فضيل تعلمه إلى دودة القز وإلى شجرة التوت التي كان يعني بها والده :

« ان لدودة القز محبة في قلبي وجميلاً في عنقي ، فلولاها لما تعلمت ، فأنا لم أتعلم على حساب أحد ، كان عرق جبين جدي ووالدي يغنيني عن طلب معونة الأوقاف والقنصليات وكل ذلك بفضل دودة الحرير . »

لا أنسى عندما كنت أقطع توتة تضايق زاوية البيت ، فجاء إلي والدي وقال ، مارون : هذا جزء الفضل عندك ... هذي علمتك ، صار من الحق أن تغيروا القول القديم ، فتقولوا ، من علمني حرفاً صرت له قصاباً .

قصّب يا ابني قصّب ... الذي تتعب عليه الأيدي لا تحزن عليه القلوب .

قال هذا وانفتل ، ولعله راح يخفي دمعة . فألقيت الفأس من يدي وتبعته واسترضيته بالقبلات والنكات وبقيت أعالجه حتى تبسم ،^(٢) .

في مدرسة مار يوحنا مارون كانت المدرسة تلقن إلى جانب العربية اللغة السريانية وكما كان مارون ضليعاً بالعربية حتى انه كان ينظم الشعر كذلك كان باللغة السريانية :

(١) زوابع ص ٢٩٤ .

(٢) قبل انفجار البركان ص ٨٢ .

« عندما كنا في مدرسة مار يوحنا مارون نتلقى الدروس السريانية ، حمي الجدل في مجلة (المشرق) (راجع السنة الثالثة ص ١١٠٣ ، والخامسة ١٤٤) حول عبارة سريانية من الشعر الرمزي ، وهي : (شوشافو شلامونيتو . الخ ...) وردت في الشيحة - كتاب الصلوات الخمس اليومية للخوري الماروني - فاختلّفوا في تفسيرها ، وأخيراً تقرر أن الشاعر السرياني عنى بقوله (المنديل السلياني في أرض داود العطشى) أم الله مريم بنت داود ، مشيراً بهذا الرمز إلى قول الشاعر سليمان في سفر الأمثال : من حصر المياه في منديل .

فالمسيح هو الماء الحي الذي حصر في أحشاء مريم البتول ،^(١) ..

والأهم في حياة مارون عبود ، في هذه الفترة ، أمور نريد التأكيد عليها : الأول هو نزعة التحررية ، فقد تزعم في هذه الفترة حركة تمرد ضد الاخوة المريميين الفرنسيين الذين تسلموا المدرسة ، وحدث ما أثار الطلاب ضدهم فقاد مارون الحملة ضد الرهبان التي أسفرت عن حجزهم في المراحيض إلى أن هرع سكان القرى المجاورة على الصباح ففكوا أسرهم . وقد أورد هذا الحديث أحد زملاء مارون عبود في تلك المدرسة وهو الخوري يوسف سليم اده في إحدى الرسائل^(٢) .

والثاني هو مثابرة على تغذية موهبته الأدبية فبدأ بنظم الشعر ، الذي يمكن نشره ، فنظم قصيدة (قتيل الغرام) التي نشرها في جريدة الروضة وكانت هذه الحادثة لتقيم القيامة عليه من رئيس المدرسة آنذاك ، فاستدعاه وأنبه ولعقب التأنيب بالقصاص .

والثالث ان نزعة السخرية أخذت تبرز إلى جانب نباهة تتجلى عنده في

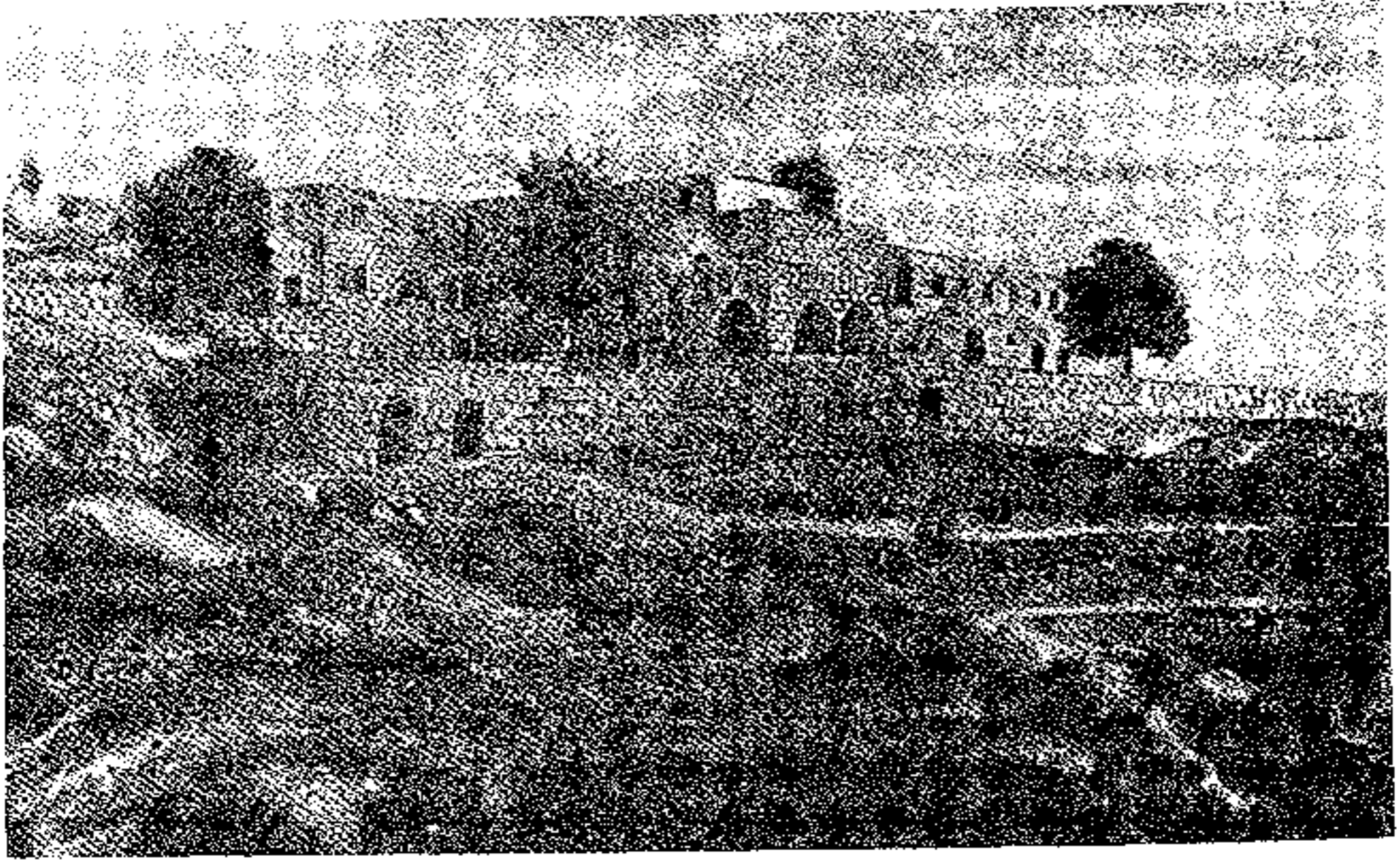
(١) على الملح ص ٩٩ .

(٢) مارون عبود الناقد الدكتور اسعد اسكان ص ٧٠ .

المواقف الدقيقة والحرجة كمثل ما جرى بينه وبين رئيس مدرسة مار يوحنا
مارون بعد الحادثة التي ذكرنا :

« ها نحن في درس اللغة العربية ، وها هو أستاذنا الخوري الياس زيادة يعلمنا
قرض الشعر ، وها هو رئيس المدرسة الصالح المونسنيور بطرس ارسانيوس
يقرع الباب غاضباً : سمع سيادته أستاذنا يمي علينا هذين البيتين لنشطرهما :

ولم أنس المليحة حين راحت إلى قاضي الهبة تشتكيني
فقلت لها ارحمي ضعفي فقالت وهل في الحب يا امي ارحميني



(مدرسة مار يوحنا مارون - كفرحبي - البترون - عن لوحة للفنان اشيل انجليني)

فصاح به ، وهو يفتح الباب : يا خوري الياس ، ايش بك اليوم ؟!

فابتسم المعلم ابتسامته الزعفرانية ، وارتجفت لحية المونسنيور ارمانيوس
فغعلنا كل شعرة ترقص وحدها . وانتهت المعركة الصامتة ، ففهمنا أن مثل هذا
الشعر لا يليق بالثوب الأسود ، فرغبت فيه ، أي في ذاك الشعر لا في الثوب .

ورحنا نقرزم حتى استحالنا الغابة القائمة على كتف مار يوحنا مارون إلى
شعر ... ففي عيد رأس السنة حفلة تهنئة للرئيس العام الجديد لا تسمع فيها غير
الشعر ، وفي عيد مار بطرس حفلة شعر له أيضاً . ناهيك بأن لكل أستاذ عيداً ،
ولا بد من القيام بالواجب نحو حضرته شعراً . فالعيد بلا شعر كالسفرة بلا جبن
وزيتون . وهكذا دواليك حتى صرنا تنام ونقوم ونلعب في جو من الشعر ،
وها هو أحدها يقول على المائدة :

خلطنا برغلا مع بنت لوب نصولها بشوكات الحديد

يعني ببنت لوب الفاصوليا حبيبة قلب التلاميذ ومعشوقتهم الأزلية ...

وها هو رفيق لي يهنئ معلماً له بقصيدة كلها من هذا الطراز المعلم :

متغزلا في مدح انطون التقي في مدح انطون التقي متغزلا ،

ما لنا ولهذا ، فلنعد إلى مارون عبود عن لي أن أشطر قصيدة كان يرويها

أكثر أبناء صفى ، ومن أشهر أبياتها :

شبكت عشري على رأسي وقلت له يا راهب الدير ، هل مرت بك الابل؟

وراهب الدير بالناقوس منشفل

يا حسرتي في وقوفي عند بابكم تقول سكانه من أنت يا رجل؟

فشطرت تلك القصيدة ثم ذيلتها ببضعة أبيات فصارت قصة سميتها

(قتيل الغريم) وأطلعت معلمي - الخوري الياس - عليها فأعجب بها ،
فضيت في تنقيحها حتى صارت شعراً ، كما كنت أفهم الشعر في ذلك الزمان ...
وظفاني الشيطان فبعثت بها إلى جريدة الروضة فنشرتها . وذاع خبرها فاتصل
بسيادة المونسنيور فدعاني إلى زيارته ... خيل إليّ أولاً أنه معجب بها وأن
الأمر ينتهي عند لوم وتوبيخ ، فإذا به يصفح خدي الأيمن فحولت له الأيسر ،
ووقفت أمامه مكتوف اليدين مظهراً أقصى الطاعة ... فصاح بي : قتيل
الغرام . كيف تموت الناس من الغرام يا مارون ، يا حسرتي ، ضاع تعب خالتنا
خوري حنا عبود .

وأخذ القصيدة بيد ترتجف وقرأ :

وظبية من ظبائي قد شغفت بها ترنو إليّ وسائر القرب ينسدل
ايش هي هذي الظبية يا مارون ، ومن هي يا ابني ؟

ثم قرأ :

رفعت صوتاً جهيراً قرب صومعة يا راهب الدير هل مرت بك الابل

فقال : نعم الراهب ناطور عشاق . ثم قرأ : وراهب الدير بالناقوس منشغل .
فقال : لا ، شغل الراهب مثل شغلك يا كلب .

ولما بلغ هذا البيت :

يا حسرتي في وقوفي عند بابكم تقول مكانه من أنت يا رجل

استولى على امد الغضب وصرخ بي : انقبر من وجهي ، الله يخيبك ،
لا تقف ببابي .

فخرجت متعثراً بأذيال الخجل ، وشكرت الله على الانصراف ، ولكنه
استدعاني ليقول لي :

لولا كرامة جدك في قبره ، كنت طردتك الآن . قصاصك : ركوع جمعة على المائدة ، أكلك خبز وزيتون ، وصوم شهر . كتابة خمسة آلاف سطر من ديوان المطران - جرمانوس فرحات - ، لا ، بدل الكتابة تنظم قصيدة في مدح مريم العذراء ... نحن على أبواب شهر أيار . هيتها ، وإذا ما كانت قصيدة أحسن من هذه ألف مرة تعرف ماذا يصير .

ولما رأيت أنه لان قلت له : ولكن ما زائدة بعد كان ، فأجابني : وأنت زائد في هذه المدرسة وبعد أيام دعاني وسألني ان كنت أتمت القصاص ، فأومأت برأسي ان نعم . - والقصيدة نظمها ؟ فأجبت : نعم ولما قرأت له عنوانها - باقة أزهار لملكة ايار - ابتهج جداً . ومضيت في تلاوة القصيدة فأعجبه وصف الربيع والمناظرة بين الزهور : الورد ، والرنجس ، والبنفسج ، والزنبق والشقيق . وابتسم لي حين رأي أنني وقفت بين الزهور كلها وجمعتها في اضمامة واحدة وسرت بها إلى الهيكل كثعلب لافونتين ...

ثم قدمتها لأظهر أم قد تسمى مقامها في النساء

فد لي يده لأقبلها ، وقال في تلك الأثناء : الله يبارك عليك . الماضي مضى ، حسن حالك . وكتب هو الى صاحب جريدة الروضة نشرها في الصفحة والحقل حيث نشر (قتل الغرام) . وهكذا ذقت أول لوعات الغرام قبل أن أعرفه ،^(١) .

وقبل أن ننهي عهد التلميذ مارون عبود في مدرسة مار يوحنا مارون - كفرحي - تجدر الإشارة بنا أن نذكر انه منذ حادثة سنة كان ناقداً ساخراً لا يترك حادثة تمر إلا ويتبعها بنكتة قد تكون لاذعة لها معنى عنده ، وبينما كان تلميذاً في المدرسة المذكورة حدثت معه الطرفة التالية :

(١) زوابع ص ٢٩٤ .

« كنا تلاميذ في قاعة ، وإذا يجحش يطل علينا من الباب ، فهرج التلاميذ ومرجوا ، وقاموا اليه فتعنفص وراح . فقلت الآية الانجيلية - جاء الى خاصته وخاصته لم تقبله . فظنوا اني أهزأ بالملخص ، وقامت القيامة عليّ ، وخرجت من تلك المعركة بعد حبس وركوع مدة أسبوعين »^(١) .

ونشير هنا إلى أن الطالب الطموح قد بدأ الكتابة في عهد مبكر فأصدر وهو لم يزل تلميذاً في المدرسة المذكورة مجلة انتقادية هي (الصاعقة) وكتب تحتها شعراً :

اياك ترفع هامة تهوي عليك الصاعقة

« وبعد عام أصدرت مجلة مدرسية سميتها (الصاعقة) وطبعتها على (الجلاتين) فكانت معرضاً لأول بضاعتي المشؤومة ، فرفعت شكوى من بعض من تدرت عليهم إلى رئيس المدرسة المونسنيور بطرس ارسانيوس ، فاستدعاني اليه وكانت أول كلمة بادرني بها : ضب لسانك أو ضب فرشتك . صواعق ما بدنا في المدرسة ، اما خليفة تشيل الرأس ، يا ذل خوري حنا عبود - بعدك واقف ، اركع واستغفر .

فركعت واستغفرت ، ولكني ما تبت ولم يكن في نيتي أن أتوب ، وظللت سائراً في طريقي ، هائماً على وجهي ، حتى رأيتني ، بعد عامين أحرر جريدة الروضة ثم جريدة النصير^(٢) .

وكان عام ١٩٠٣ - ١٩٠٤ آخر أعوامه المدرسية في مدرسة «ماريوحنا» مارون وفي صيف هذا العام عاد الى عين كفاع وفي نفسه آلام يحملها وفي نيته تترجج دعوته الكهنوتية ولكنه ظل يتربث لإطلاع ذويه على الأمر الذين كانوا

(١) نقداً عابر من ٢٨١ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

يودون ارساله من جديد إلى المدرسة نفسها بالرغم من أنه أنهى دروسها . ولكن
لاحت له بوادر الفرج إذ رأى امم مدرسة الدبس يتردد على الألسنة ورأى
الفرصة سانحة فأصر على موقفه ، كان والده مصراً أيضاً ، خوفاً من بيروت
وجو بيروت ، ولعل تعنت الوالد في موقفه هو أنه كان خائفاً على ولده من أن
يطلت الكهنوت ، وقد جرى بينه وبين ذويه شبه معركة قبيل انتقاله إلى
مدرسة الحكمة التي ستكون المرحلة الأخيرة في تعليمه .

ها هو يروي لنا ما جرى بينه وبين والده ووالدته وكيف استطاع اقناع
والده بالذهاب إلى بيروت :

« رأيت عيني شاردة ، وهو يربأ بالكهنوت ان يهان في الدهر العتيد ، فغضب
غضبة بينها وبين حسان بن ثابت أقرب النسب .

سب ، رحمه الله ، دين لحيتي سلفاً ، فعلق على صدري وساماً مرصعاً يوم
كانت تحلم العائلة بالطيب النازل على لحية هارون ، وبعودة المجد إلى بيت لاوي ...
فالكاهن لا يقل شرفاً عن الملائكة ، أولئك يسبحون الحمل المقبول ، وهذا يوم
عليه بكرة ، ويسبحه عشياً .

أغضبناه ، دفاً الله ضريحه ، ولم نكن عند ظنه فسب تلك العوسجة قبل أن
تنبت . أنذرتنا ، عظم الله أجره ، بالخطر الأشمط ، فأدر كنا في تلك اللحظة من
العمر أننا منتصب هدفاً سياراً على صدرنا ترميه ألسنة الغاضبين ، أولهم والدنا
الفاضل ، كلما احوجت الضرورة .

إذا كنت ممن سمعوا بنجر التينة التي يبست لساعتها لأن المسيح لعنها ، فلا
تعجب ، هكذا أصاب لحيتي قبل أن يجبل بها في البطن .

والمسيح ، لإسمه السجود ، وأبي ، سامحه الله ، استعجلا الشيء قبل أوانه ،
طلب مني أبي تعفف الكاهن البتول ، وأنا شرخ كقوم الجنة ، لم أذق بعدد

طعم الدنيا وحلاوتها . والسيد له المجد ، عن له التين في غير ابانه ، فعوقب
بحرمانه ، وماتت التينة شهيدة مظلومة ، كما قضى كهنوتي مأسوفاً على
شبابه الروحي .

ما تقول اني فعلت اذ هبت على غابتي هذه العاصفة الهوجاء ؟ لا شيء . مرّ
في خاطري ان أرجعها أدراجها فلاحت لعيني الوصية الرابعة ، كما ظهرت إشارة
الصليب لذلك الملك ، فانتصر بها... وخفت أن يقصر عمري اذا قلت له أف ! ،
فأحجمت . وكان سكوت عميق شوّشه ضحك اخوتي الصغار ، فهروا الى
فراشي ابل مخدتي بدموعي حتى تعكرت من الغيظ عينايا ، كما قال داود . ولو
فعلت مثله لقلت هذا جزائي ، ولكني لم أزن ولم أقتل . اغضبت والذي نظرة
فابتسامه ، ذقت غيبها شتيمة مبكرة ، فعملت بالمثل القاتل : نصف الدرب
ولا كلها .

يا لك ليلة لم أنم فيها ، ومن أين يحيثني النوم بعد تلك الإهانة العبقورية التي
تضحكني كلما تذكرتها . ولكنني لا أجد يدها البيضاء عندي ، وحسي انها
فتحت لي باب الحبس المؤبد . . .

وكيف يغفون في عنفوانه وقد أوتر أبوه قوسه ورماه في صميم أمله ؟
« وفيما أنا ألتمس فرجاً لهذه الأزمة ، اذا بيد تمتد الى جيبني ، فعرفت أنها يد
أمي فتأففت وقلت لها : مالك ومالي ، اتركيني في مصيبي .

فما نبست رحمة الله ، وسكتنا بضع دقائق كنت أحس فيها أنها تبكي فقلت
لها وأين راح ؟

فارتفع صوتي وقلت بحزم : بشريه ، الرجعة لما ريوحنا مارون مستحيلة .
فأجابت كمن يضحك ، ويبيكي : تقبرها بشاره . والخورنة يا ابني ؟
قلت : تفكر فيها .

فقلت كمن يشجعني ، ويفتح لي باب الصيرة التي رفع سياجها الشائك حولي :
افحص ضميرك ، ورز حملتك ، ان قدرت كان به . فهمت ، لا تعلق ولا تعلقنا .
- ما فهمت .

- افهم على مهلك .

- يعني : اما خوري مليح ، وإما لا . البيت متعود على خوارنة أوادم .
ان سب أبوك لحيتك يسب الغريب لحيتك وإكليلك . مارون يا مارون ، اصح
يا بني . علماني خائف الله أحسن من مطران بلا شئمة .

قلت : وقضية المدرسة ؟ هو لا يرضى إلا مار يوحنا مارون .

- ومار يوحنا مارون مليحة يا ابني ، أين تعلم ابن عمك وخالك ؟

قلت : ولكني ختمت دروسها ...

- فسكنت هنية ثم قالت : لعله يقنع ، أبوك يحمي ويهب ، ولكن قلبه
طيب . أية مدرسة تريد ؟

- ما كنت سامعة أمس ؟ نسيت الحكيم عن مدرسة الدبس ؟

- لا ، ما نسيت ، ولكن أبوك يخاف من بيروت . قال : اذا علمناه بيروت
خسرنا الخورنة للأبد .

- ولكن ، أنا أربح .

فضحكت وقالت : من يكره الربح ؟ هات خبرني عن ربحك .

قلت : علم وخبرة . خوري متفتح أحسن من خوري أعمى .

فقهت وقالت : متفتح أم مفلطح ؟

فتباهت كمن لم يسمع وقلت بهوس : تلميذ مدرسة الدبس غير تلميذ مار يوحنا
مارون ، وتلميذ بيروت غير تلميذ كفرحي .

يا ما أحلى كفرحي ، لا دبس ولا عمل ، كل المدارس تعلم . المليح مليح
أينما كنت .

جدك تعلم تحت السنديانة وكان أحسن خوري . صلّ ونم على خيرة الله .
شر الصباح ولا خير المساء . ثم قامت ترسم اشارة الصليب في الهواء فوق رأسي .
وصليت كما شئت ، فتمت نوماً لذيذاً ورأيت أحلاماً اقاحية كنت أتلفت فيها
عن يمين وعن شمال لأرى إذا كان أبي ينظرني ويسب لحيتي مرة ثانية .

وكان في الضيعة رجل داهية من أقاربنا . فقير الحال ، ولكنه ابن جلا .
نبيه ، كلمته مسموعة ، جاء يسهر عندنا مع الساهرين . وذكروا المدارس ،
فامتدح مدرسة الدبس جداً ، ثم وجه الكلام الى والدي قائلاً :

إذا كنا نريد أن يقوم منا خوري مثل البشر ، ابعث مارون إلى
مدرسة الدبس .

وأمن ابن عمي على كلام خاله هذا وقال : عمي حنا رجل مكفي مارون
مليح . من يعلم ، ربما صار مطراناً ...

وما زال أبي حتى انتحى وتبسم ، والتفت بي وبوالدي كأنه تذكر تلك الآية
التي هبطت عليه أول أمس وقال : طيب ، مدرسة الدبس ، مدرسة الدبس .
ابشري يا أم مارون . جهزي حوائج ابنك .

فتهلل وجه الأم لهذا الفوز العاجل ، وبعد أسبوع كنت في مدرسة الحكمة
بين تلاميذ من كل البلاد^(١) .

(١) أحاديث القرية ص ١٢١ ومايلها .

المدرسة السادسة

مدرسة الحكمة « الدبس » ١٩٠٤ - ١٩٠٦ :

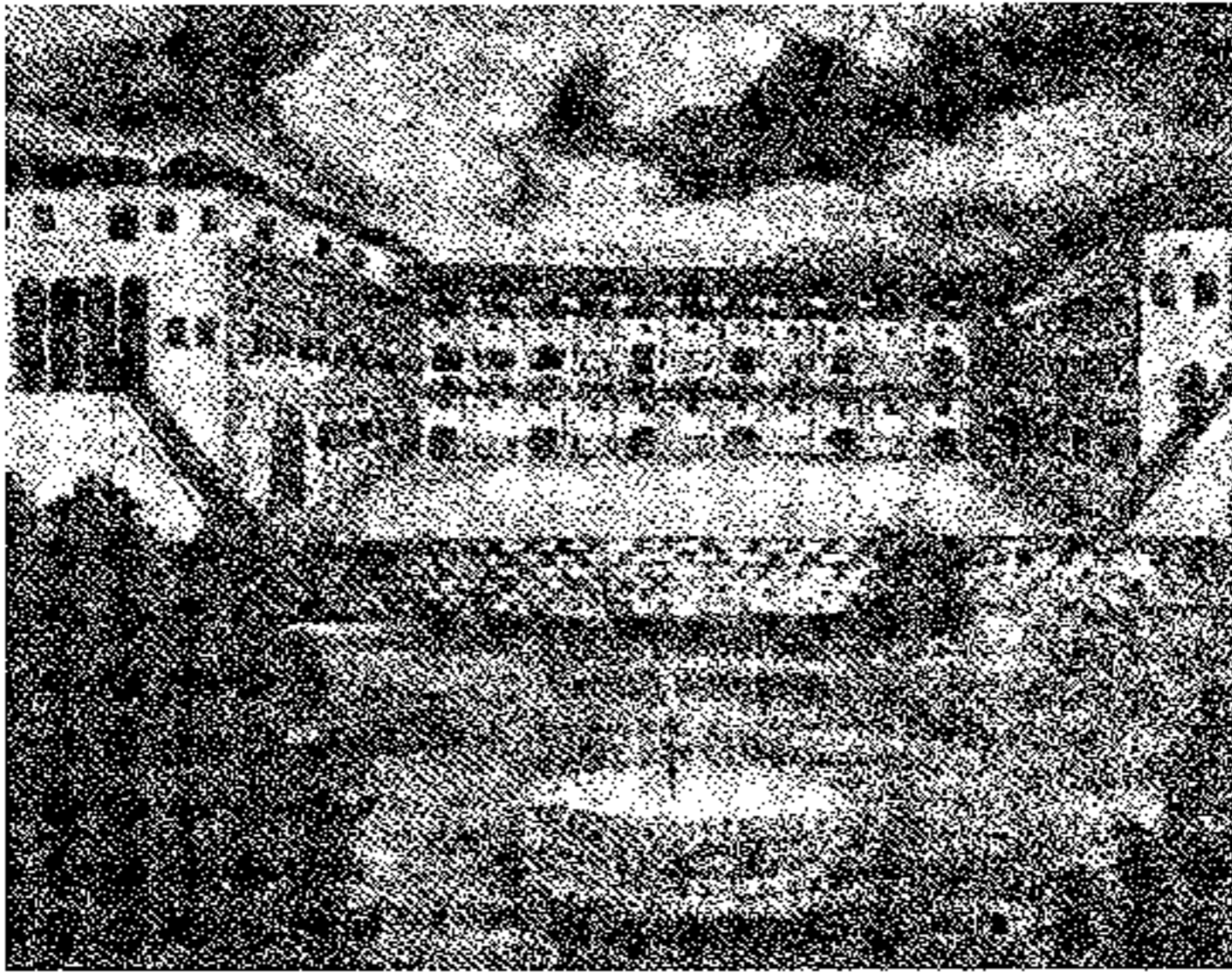
في صيف ١٩٠٤ وفي شهر تشرين الأول كان مارون عبود يحاول إقناع والده بإرساله الى مدرسة الدبس ، أي : مدرسة الحكمة ، وهي أشهر مدرسة في ذلك العصر . واقتنع الوالد بالرغم من الوساموس التي اعترته ، بالنسبة لمصير ابنه ، وكأنه أدرك بالحدس ، أن دعوته الكهنوتية ولّت إلى غير رجعة وطلب من « الست كاترين والدة مارون » التي كان لها فضل في إقناع الوالد إلى جانب أحد أقاربه الداهية : « ابشري يا أم مارون جهزي حوائج ابنك » .

وبعد أسبوع كان مارون في مدرسة الدبس ، ومدرسة الدبس ، مدرسة تختلف عن معظم المدارس التي دخلها مارون عبود سابقاً هنالك اختلاف في البيئة ، فالمدارس السابقة كانت أديرة منزوية في هضبات جبيل والبترون ، أما مدرسة الحكمة فقائمة في وسط العاصمة بكل ما فيها من تطور ومن بهرجة في الحياة . محيط جديد لاقى صعوبة في مؤالفته فن تغيّر في الزي إلى تغيّر في العقلية . ولذلك كانت السنة الأولى صعبة :

« كانت السنة الأولى ثقيلة عليّ » ، وما قولك بمن ينتقل من مدرسة تكتنفها غابة في برية إلى معهد يشرف على بيروت وما فيها ؟ بيد أنتي ألفت محيطي بعد عناء ، ولا بسته بعد ضيق بالزي الفرنجي . لم تعد تدهشني قصور بيت سرسق ، وبسترس ، وقويني ، ولا مقبرة الأشرفية وتمائيلها النافخة في الأبواق

مشيرة إلى فوق ، ولا البناءات الضخمة ولا النسر اللازق يجبين بيت ثابت ، ولا البواخر ولا البوارج والأساطيل . لم أعد أستغرب شيئاً حق الصدور العارية ولا الجمال المعروض على الناس في الطرقات ، ولا الققط والكلاب المضطجعة في أحضان السيدات المترفات ، في عجلاتهن ذات التولقد البلورية ،^(١) .

وألف مارون محيطه البيروتي وأصبح كالجبل ، يفهم كل شيء ، يفهم تعقيدات الحياة بعد عيشة لا يستهان بها في بساطة القرية وفي جو من الصرامة كان يخيم على مدارسه الأولى كل شيء تغير في ناظره حق الكهنة . يرى منهم المتحرر كأستاذه الخوري الياس زياده ، ومنهم من يعتبر أقل هفوة ، خطيئة لا تفتقر كمدير مدرسته السابقة المونسنيور ارسانيوس أو كمدير مدرسة الحكمة .



(مدرسة الحكمة انذاك عن لوحة زيتية للفنان اشيل النجليني)

(١) أحاديث القرية ص ١٢٨ .

في مدرسة الحكمة انتقل مارون عبود من جو الى آخر فانتفتح ، كما قال لأمه ،
وأصبح كما كان يتوقع « تلميذ مدرسة الدبس غير تلميذ كفرحي » .

وما نلاحظه في هذه الفترة أن مارون عبود قد بدأ منعطفاً جديداً في حياته
ولعله رأى في مدرسة الحكمة ما كان ينشده منذ الصغر ، كان غير متعصب ،
فرأى في مدرسته الجديدة تلامذة من كل الملل ، فصادق الكثيرين منهم . ومشى
الدرزي والماروني جنباً إلى جنب بعد أن كانت الدرزي مفرعة . وكما كانت
مدرسة الحكمة منطلقاً لمارون ومنتفساً لكل طموحاته كذلك صارت مختبراً
لشعره بعد أن استطاع أن يرخي لقريحته العنان ، فبعد أن كان يقاصص على
كلمة أو على قصيدة أصبح في جو عابق بروح المدنية ، يتقبل الشعر الذي يخرج
عن نطاق الاجتماعات الكنسية ، فجو الحكمة عابق بالشعر فيه يهتر الملائط ،
وفيه يتسلى الطلاب بالتأليف الشعري والنثري . أثر هذا الجو على مارون
عبود فتعلم من الحكمة أموراً كثيرة حتى أصبح معمل شعر ونثر وكذلك
أضحى أستاذاً كبيراً ، كما يقول ، ولكنه كتم عنه تواضعاً في تلك الفترة .

وأتيحت له الفرصة في هذا الجو بأن يرخي العنان لسخريته فأصبح يهجو :
« وصارت الدجاجة الغريبة كما يقول ، كالديك ينقر ويناقر ويهجو وتهجي ذقنه
السوداء الكثة الكالحة » .

وتجدر الإشارة إلى أن سخرية مارون عبود أخذت تصفو من بعض ما كان
يشوبها من مرارة وتجريح ، فعدت ايجابية هادفة ، تحقق هدف الساخرين العرب ،
الجاحظ ، (... ولم تدر ان المزاج جد اذا اجتلب لعله هي الجد -) .

أما بالنسبة للتعلم ، فقد تضيع مارون باللغة العربية ، على يد أساتذة بارعين ،
كالأستاذ سعيد الشرتوني ، كما استفاد كثيراً ، بالنسبة للغة الفرنسية على يد أستاذه
المير يوسف شهاب . حتى بات قادراً على النظم فيها ، وهذا ما جاء على لسانه في
هذه المرحلة يقول :

« وبعد أسبوع كنت في مدرسة الحكمة بين تلاميذ من كل البلاد ، حتى قبرص ... كدت أنكر نفسي بعد ما خلعت غنبازي الجوخ الاسود ، وشروالي الكتان ، وصدرية المخمل المزررة ، وزناري المقلم ، ولبست ثوباً افرنجياً أنيقاً ، راح الشدياق وجاء الأفتدي .



(مارون همود بالصدرية قبل دخوله الحكمة وهي عن لوحة زيتية للفنان اشيل انجليبي)

وكان الطوق المكوي يشد الزيار على رقبي الغليظة فأخال الياقة كأنها الختاق ، وأبدوا لعيني كأنني المهر المشنوق . بعد ذلك الشروال الرحراح ، وحرينه ، الواسعة النطاق ، لبست الثوب المزمك ، فشعرت كأن كلامني في حبس ، وصرت أسيراً مكبلاً كحرياء الأخطل . ولكنني فرحت بخلاصي ونجاتي من الفخ الذي نصبوه لي .

وشاع في المدرسة أنني أنظم الكلام الموزون المقفى الذي كانوا لا يزالون
يسهونه شعراً ، فتجمعوا عليّ كأنهم حول دب يرقص ، وكانت منهم رشيد
وأحمد تقي الدين ، ومرشد خاطر ، وحبيب جرجس - الدكتور حبيب
اسطفان - وسعيد عقل الشهيد ، وأمين رزق ، ابن صفى ، وغيرهم ممن نسيت
أسماءهم . استنشدوني فأنشدتهم بعض فرائدي الدرية في العذراء مريم وابنها
يسوع ، والقلبين الأقدسين ، ويوبيل الحبل بلادنس ، ثم تشطير :

لو كانت للأفلاك نطق أو فم لترنمت بمديحك يا مريم

وتخميس :

عجيب أنك العذراء حبيلى برب قد تعالى في المجائب

هذه كنا نرتلها كل أحد في صلاة (الأخوية) ، ثم باقة أزهار الملكة ايار .

فضحك رشيد تقي الدين ضحكته الصارخة ، كنكته وحزيبته ، وقال
لعصابتة الطاهرة : الشب مليح ، ولكن ينقصه علم .. دربوه يا شباب .

فتعلمت منهم ما ينقصني ... فطرت معهم في أفقهم وعرفوا بعدئذ اني
أستاذ كبير ... ولكنني كتمت عليّ تواضعاً ... وصرتا عصابة تهتز الأرض تحت
أرجلنا ، والويل لمن يعلق بلساننا . كانوا يلهبون كثيراً : بد (خدعوا بقولهم
حسناء) ، فوجدتني في نعم ، وشكرت ربي هلى حرية اضطهدت لأجلها ،
وتذكرت القصص الذي أنزله بي رئيس مدرستي السابقة - المونسنيور ارسانيوس -
لأجل قصيدة غزلية شطرتها .

وفي ذلك الزمان كان سيد الموقف الأستاذ شبلي الملائم ، فيروت كلها تتوه
به ، وموشحه (الجمال والكبرياء) ملء الأفواه ، وعلى لسان كل إنسان :

طفلة فوق سرير من خشب في زوايا بيت صياد قديم

بجمل الدهر عليها بالحسب والغنى والجاه والبيت الكريم

هذه القصيدة كانت آية زمانها ، بل الزاوية الأولى في تطور الشعر الحديث ، وكان صاحبها الملائم مثل الشعراء الأعلى ، ولأجلها لقبوه (الشاعر العصري) لخروجه على القديم وافتتاحهم بجديده الرائع ، وكان شبلي يمر في أروقة الحكمة كأنه أحد أعمدتها في شموخه ، وليس بين الأستاذ الجليل والسماء أكثر من شبر^(١) .

فبعد ان كانت السنة الأولى في بيروت ثقيلة عليه صار عملاقاً لا بل طوداً راسخاً :

« صرت جبلاً لا يهزني ربيع بعد ما كنت أخف من الريشة . . فأمسيت أمر بهذه الفرائب ، مرّ النسر في الجو ، لا أسأل عن شيء لأنني عرفت كل شيء ، فاسلحت وأرحت أعز أصحابي المرحوم مسعد كرم من سؤالاتي الكثيرة .

بعد ما كنت أحسب الدرزي غولاً يأكل الأولاد ، أصبح أكثر أصحابي دروزاً . فهذا الشيخ سليم حماده من غريفة ، القصير القامة يمشي بيني وبين مارون نطين الدرعوني ، فتخالنا صورة العائلة المقدسة تمشي على أرض مدرسة الحكمة ، وسليم يصرخ في ذلك الملعب : ما حال درزي بين مارونيين .

بعد ما كنت أفزع من الدرزي مثل مار ساسين ، صرت والأمير رفيق أرسلان على مركب واحد في بيعة الله تجمعنا وليمة القداس ، كل صباح ، عدا ما هنالك من هوردفر ، زياحات وصلوات وزيارة قربان بعد الغداء ، كانت سعادة المير كالزئبق الرجراج لا يستقر ولا يستكين ، وكثيراً ما كان نصيبي النقط السوداء والقصاص وينجو هو ، لأنني وعمرّ والأمير ألتقي مني وأكنيس ،

(١) أحاديث القرية ص ١٢٨ .

يعرف كيف يداوي جناحه . وقد كان يسبق النصارى إلى جائزة
التعليم المسيحي .

وبالاختصار لم يحتضر العام الدراسي حتى صارت الدجاجة الفريية ديكا
ينقر ويناقر ، ويهجو وتهجي ذقنه السوداء الكثة الكالحة كما يذكر كل الرفاق ،
أخص منهم الصديقين الأديبين : مراد أبي نادر والياس غانم .

فما أعظم أجرك يا والدي ، وأجزل احسانك . أنت الذي أرحمني منها .
كنت أهجو بلا رحمة ولا شفقة الخوارنة والعوام ، والتلاميذ والأساقذة .
أكتب هنا وهناك ، في الروضة والنصير والمنار والمشرق ، ولم أعفُ المقتطف
من هجوم .

الخلاصة : كنت معمل نثر وشعر . كنت لو قال واحد كيف حال الجناب ،
أجبتة نظماً « بخير نحن يا شيخ الشباب » . كنت غرا أحسق أحسب كل
ما يكتب أدبياً ، أخرجت كتباً لعنة الله عليها وقصائد أتمنى لأكثرها ما نزل
على صادوم وعمورة ... وليس الحق عليّ فهذا جو مدرسة الحكمة ، موئل
لغة الضاد ، ومحط الأدب والشعر ، فكأنها البصرة والكوفة معاً .

وكانت المدرسة تعلم اللغة الإنكليزية والتركية مع العربية والفرنسية
والسريانية ، وكانت تُدرّس الحقوق لمن يحب من العلمانيين ، واللاهوت
للإكليركيين . فتعلمت شهراً واحداً لغة إنكليزية فحفظت الوقتين الأولين من
الفعل المساعد وما زلت أذكر : (اي هاف نت هي) . وقد تكون غير
صحيحة . ما ندمت على شيء مثل تركي اللغة الإنكليزية ، وسبب ذلك معلم هذه
اللغة الخوري يوسف الخوري الذي أحفظ له ذكرى مرة . كان هذا الخوري
خفيفاً وقد أضحك التلاميذ مني يوم وصف لي ذروراً يذهب الشعر من وجنتي

الفاتنتين فأستغني عن المقاريض والملاقط . كان دواؤه هذا من الذي يستعمل في الحمامات ، فأثر ببشرتي الناعمة فسخطت على ذلك الأستاذ الكريم .

أما أستاذنا في اللغة الافرنسية المير يوسف شهاب فإكليريكي أيضاً ، ولكنه شدياق لاخوري ، بصير جداً بأصول هذه اللغة . كنا نداعبه بسهجة وكان يحنطننا . دخل يوماً الصف فرأى مكتوباً على اللوح بالقلم العريض حمار . فتوجه اليه بالبديهة وجعل شدة فوق الميم وقعد . فبلعنا بريقنا وتغامزنا ، وهكذا كان يرد كيدنا في نحرنا . ما كنا نسرره ، يرحمه الله ، إلا ساعة يعرض ذكر الأعمار لأنه بقي في الخامسة والأربعين ربع قرن ، وأخيراً قفز قفزة واحدة إلى الثمانين . وآخر مرة التقيت به في أحد مطاعم بيروت وقال لي : صرت في التسعين والمعلم عبد الله - البستاني - باق في الستين لا يتحلحل .

فرض علينا هذا الأستاذ نظم الشعر الافرنسي ففاتت أبيات أحدنا العشرين مقطعاً ، وأخطأ رفيقنا هذا تهجئة العنوان فجعله Ver دودة بدلاً من Vers شعر . فما وقعت عين الأستاذ على العنوان حتى غطى شاربيه بيسراه كعادته حين تحضره النكتة ، فأعرناه انتباهنا ، فقال : يا الياس ، يا حبيبي ، هذه دودة ؟ هذه أم أربعة وأربعين . فمعج الصف عجيماً وضحك حتى انبج . وجاء المدير الخوري بطرس مبارك ، على ضوضائنا فشاركنا بابتسامته الهادئة الساحرة الحائرة - أعجز عن وصفها - وانصرف .

وكان الخوري فرنسيس الشاهي يعلمنا التعليم المسيحي ، وكان لنا رفيق اكليريكي كلع يقعد حدي ، وكنت أتدر عليه . شرح لنا الخوري لماذا اختن المسيح فقلت له : انطون ، صحيح ان المسيح قد اختن ؟

فأجاب : ما سمعت الخوري ؟

قلت : وإيش عملوا بالقلفة .

فقال : رموها . ونظر ليري كيف كان وقع جوابه ، فرأى اني غير مطمئن
فقال : حقيقة يا مارون ، المسألة فيها نظر .

فقلت : اسأل المعلم .

فانتصب انطون كالمارد ودق على الطاولة ، فاستماذ الخوري بالله واضطرب
على كرسية لأن أسئلة انطون الغريبة كانت تفضمه . وطرح أنطون سؤاله ،
وعلا الضحك والضحيج ، وأخذ الخوري يضرب المنبر ويصيح : كلب ، تيس ،
يقصف عمرك . اقمدمطرحك يا بغل .

وأراد الشماس أن يدافع عن قضيته ، فلم يمهل المعلم الألتع بل صرخ به :
هت ، هت ، هت ، ثد ، بوزك . وبعد التحقيق الإداري ، كانت لي الحصنة الكبيرة من
القصاص ، وشتمني المدير بيني وبينه ، وقال لي : حتى على المسيح يا مارون ،
وقدام تلاميذ من كل الملل والشعوب ؟ هذا المنتظر من تلميذ مار يوحنا مارون ؟
هتيكة ، عيب . زيتن اسمك لثلا يصح فينا وفيك : يا ذلكم يا موارنة ان كان
هذا مارونكم . وخرجت من عنده خزيان ، خجلان أدعو على خصلة البدن التي
لا يغيرها غير الكفن .

أما أستاذنا الشيخ سعيد الشرتوني فلم يكن صاحب نكتة ، وإن حاولها
جاءت باردة . كانت السذاجة تكسو وجه ذلك العملاق ، والوقار يسود مجلسه ،
أحبيته كثيراً وأحبني حتى صرنا صديقين لا كلفة بيننا . كان أستاذاً عالماً كاتباً ،
اجتهاده يفوق ذكاه . يريد أن يقول الشعر فيخرجه كالنثر أو أرذل . كان
الشعر فاكهة كل حضرة ، وكانت المدرسة تعول على الملاحظ فيما يلم بها من مناصبات
فجائية . فيهدر ذلك الفعل كالبحر الزاخر ويبيض الوجه . وكان زعيم
المجددين ، كما قلنا ، وأثره واضح في توجيه الأدب لا يمحده إلا كافر . وإن
انتقدناه ، فنقدنا لا يضره شيئاً فالكمال للأديب الأزلي شيخ المشايخ ...

وكانت المدرسة على عهدنا حزبيين . حزب الرئيس الخوربسكبوس بولس
الديبس ، وحزب المدير الخوري بطرس مبارك . الشماليون بحزب الرئيس ،
والجنوبيون بحزب المدير ، والحد الفاصل جسر المعاملتين . وانتهت المعركة في
آخر السنة الأولى بقصائد هجاء طبعت ، أما أنا فما كنت لبولس ولا لافلوبل
له الذي انبت .

وعدت إلى البيت أطأ الثرى كأسد المتني ، أمتن على الأرض إن مشيت
عليها . أنا تلميذ مدرسة الديبس . يا أرض اشتدي ما أحد قدي ... ،^(١)

ثم يحدثنا ، برّد الله ثراه ، بما جناه من فوائد أدبية وتاريخية ونقدية من
اشراكه في الندوات الثقافية والتمثيلية الاجتماعية التي كانت تقام في المدرسة .
« وكيف غدت مواهب الطلاب الشعرية والنثرية » .

« شبلي تاريخ حقبة لبنانية ، وليس يستطاع تأريخ حقبة في مثل هذا المقام ،
ولكن لا بد مما يقال ، أو لا بد مما له علاقة بشعر الرجل وأدبه . فالمعركة
الأدبية التي نشبت حوله في هذا القرن أشبه بمعركة القرن التاسع عشر : الشدياق
وأعوانه ، واليازجي وأنصاره .

وإذا كانت هذه المعركة محلية ودون هاتيك ديمومة وحدة فقد انجلت عن
غنائم أدبية وكانت لنا مدرسة ثانية .

كنت يومئذ في مدرسة الحكمة . وكان يوم أحد ، فدعانا أستاذنا الملاط
ليمرتنا على تمثيل روايته « الذخيرة » ، ففادرتنا قاعة الدرس مبتهجين لأننا
استرحنا من رؤية وجه الراعي الحامض . وما توسطنا (اللبوان) حق رأينا
النمر غضبان ، ورأينا الأستاذ بشارة الخوري يصفّر ويخضّر ، والشيخ ابراهيم

(١) أحاديث القرية ص ١٢٩ .

المنذر يشير بيديه وعلى فمه ابتسامة حائرة . وهتف الملائكة بنا : امشوا . ومشى
ومشينا ، وراح المنذر وبشارة الخوري ، وكانت دقيقة لها ما بعدها في تاريخ
نهضتنا^(١) .

وفي موضع آخر يحدثنا مارون عن تعلق الطلاب بالشعر والشعراء ، إذ كانوا
يتبارون في رواية الأشعار والاشادة بقائلها ، فكان لكل شاعر أنصار يؤيدونه
ويروون أشعاره ويتباهون بحفظ القصائد الطوال ، وأذكت قرائحهم المساجلات
الشعرية ونثبت هنا نصاً لمارون عبود في هذا المضمار .

« فقي ضعى النهضة كنا في مدرسة الحكمة ، وكان لا يطينا غير الشعر
وقائليه . كنا ننظمه بلا ملل ، وتبارى فيه بلا وجل ، وكان شكيب أرسلان
لهوتنا . كان نجمه قد لمع . ثم طبع ديوان شوقي الأول وفي مقدمته ذكر
لشكيب فكبر في أعيننا حين قرأنا قول شوقي فيه :

« صعبت شكيباً برهة لم يفز بها سواي ، على ان الصحاب كثير ،

وضخم أمر الأمير شكيب في أذهانتنا حتى كنا نفضله على شوقي لولا قصيدة
شوقي (خدعوها) التي حفظناها جميعاً ، ولم نبال بتعنيف معلمنا الخوري (ص)
المحافظ على طهارة أجسادنا لنظل هيكلًا للروح القدس .

وأول ما أذكره من شعر شكيب هو رثاؤه للبارودي . استقبلني هذا الرثاء
عام دخولي مدرسة الحكمة ١٩٠٤ - ١٩٠٥ . وكان الشيخ رشيد قمي الدين ،
امام حلقتنا الصكاظية ، يتبجح بهذه القصيدة ويردد مطلعها :

يا ناظري الأيا تدر فان دما أمكذا عهدنا أنت نحفظ الذما

ويطفي رشيد إذ يبلغ هذا البيت ، حتى تخاله الفرات وقد زعزعته
رياح الصيف :

(١) جدد وقدماء ص ٢٦٦ .

فانعوا لنا الشعر والاداب قاطبة معه ، وقولوا الشوقي : انه يتنا
ثم ننتقل إلى قصيدة حافظ ابراهيم في رثاء محمود البارودي أيضاً
فنتمنطق بطلعها :

ردوا علي يساني بعد محمود اني عييت ، وأعيا الشعر مجهودي

فنرى في حافظ رشاقة كما رأينا في شكيب متانة ، ونرى في (لأيا) بطلع
قصيدة الأمير ما يذكرنا بالنابغة ، فتعلمو كفته على كفة حافظ ، تلك كانت
عقليتنا ... بل عقلية من علمونا . ويزداد شكيب علواً حين يروي لنا رشيد
بصوته العريض قصيدة البارودي لشكيب :

أدي الرسالة يا عصفورة الوادي وباكري الحي في قولي وإنشادي
لعل نعمة ود منك شائفة تهز عطف شكيب كوكب النادي
هو الهمام الذي أحيا بمنطقه لسان قوم أجادوا النطق بالضاد

ثم يهتف بنا شباب ، سمعتم هذه الشهادة ، بلا طق حنك يا مارون . سعيد ،
- سعيد عقل الشهيد - اسمع جواب المير شكيب :

هل تعلم العيس إذ يحدو بها الحادي ان السرى فوق أضلاع وأكباد
تحملوا ففؤادي منذ بينهم في إثرهم نضو تأويب واستاد
إلى أن يقول شكيب للبارودي ، رئيس النظار - الوزراء - المعزول :
ان يحجبوك فماضرت النجوم دجى ولا زرى السيف يوماً طي اغماد

وننتقل إلى مساجلة ثانية . وهي قصيدة كتبها محمود سامي من منفاه ، في
جزيرة سيلان ، إلى الأمير شكيب ، فنرى جميعنا أبيات البارودي الرائعة في
وصف الليل :

أرعى الكواكب في السماء كأن لي
زهر تالتق في السماء كأنما
والليل مرهوب الحمية قائم
متوشح بالنيرات كباسل
حسب النجوم تخلفت عن أمره
عند النجوم رهينة لم تدفع
حبب تردد في غدير مدرع
في مسحه كالراهب المتلفع
من نسل حمام باللجين مدرع
فوحى لهن من الهلال بأصبع

ويحتاج الشيخ رشيد القصيدة ، هادراً كنهر الباروك ، حتى يبلغ مدح
البارودي للأمير فيمشي الهوينا ، وعينه علي ، عند هذه الأبيات :

نبراس داجية ، وعقله شارد
صدق البيان اغص جرول باسمه
لم يتخذ بدر المقنع آية
أحيا رميم الشعر بعد هموده
وخطيب أندية ، وفارس مجمع
وثنى جريرا بالجرير الأطوع
بل جاء خاطره بآية يوشع
وأعاد للأيام عصر الاصمعي

وينتقل رشيد إلى إنشاد جواب الأمير ، فيروي وصفه المجرى والليل ، بل
يروى لنا فخره :

وطلمت أعر بالسيوف ولو درى
أيعول مهجتي الكفاة وما لهم
وترى تخون الخيل فارسها وهل
أو من لهم مثلي إذا عبس الوغى
وتشاجرت سمر القنا وتجادبت
ولقد بذرت السابقين فمن لهم
وبلغت من (سامي) الفخار وجاءني
أهل السيوف مقامتي لم افزع
فخر سواي إذا اغتدوا في جمع
يردى الحسين على يد المتشيع
وتضاحكت أنياب ثغر المصرع
بذوات ، والسيف شبه الأصلع
بوقوف سير بالكارم موضع
التقريظ من محمود سامي الارفع

خنديذ هذا الدهر ، واحد أهله مقدم حليته الأغسر الأبتع
القائل الفصحى التي عن مثلها يثني المقفع في بنات مقفع

ونظف سكارى بهذه المذاكرة حتى يصبح بنا هادم اللذات : (هوب ، لا ،
فو برله لاراب ،) Hop la Vous parlez L' arabe فنثر في بعض ألفاظ
فرنجية ، ويتفرق العشاق ...

وينقضي عامي الأول في مدرسة الحكمة فأتلمذ في عامي الثاني والأخير
للشيخ سعيد الشرتوني . ونأتي على ذكر أسلافنا الذين أخرجهم معقل الضاد ،
حتى إذا جاء ذكر شكيب انفتحت حدقتنا شيخنا سعيد وقال : المير
شكيب قفلة .

فقلت : وما معنى قفلة ؟ فأجاب شيخنا الجليل : أي يحفظ كل ما يسمع
ولا ينساه ، فكأنما يضعه في صندوق ويقفل عليه . ثم طفق يطري ثروة شكيب
اللغوية كل الاطراء ، وقال في شعره وشاعريته كلاماً كثيراً .

ولما أفلت من قفص المدرسة وزاولت الصحافة صرت أقرأ للأمير شعراً في
كل مناسبة خطيرة . انقلب شعره مطية سياسته ، فلم يمر حدث في الشرق
إلا تناولته قريحته بما حضر ، فشارك في كل معضلة بقلمه ورأيه ولسانه .

لم يمدح غير العظام ، وقلما قال شعراً في غير الحوادث الجسام ، وكثيراً
ما تلاقى مع شوقي ومطران وحافظ وبارهم في خطوب الشرق . وأول مرة
سمعت فيها ينشد كانت عام إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ ، بيد أنه لم يعنف ،
ولم يَلْسَمْ ولم يهاجم مثلنا . عدّ الدستور منة من جلاله السلطان ، وأوصى
بالتعلق بالعرش ، فلم ترق قصيدته للمتطرفين منا ،^(١) .

(١) رواد النهضة الحديثة ص ١٤١ .

كان مارون عبود من التلامذة المجلين في مدرسة الحكمة وكان يحثه لإكمال
علمه في هذه المدرسة بمنحة من المدرسة غير أنه ترك المدرسة في نهاية هذا العام
الدراسي دون أن يعود إليها مع أنه كان من المجلين في هذا العام ويشهد على ذلك
كتيب جوائز الحكمة المحفوظ بمكتبه ويشير إلى تفوقه في العلم حتى في
الفرنسي والخط والحساب بالإضافة إلى البيان والفصاحة الخ .

ونستدل على هذا من رسالة بعثها إلى ذويه في مطلع العام الدراسي ١٩٠٥
وهذا نصها :

سيدي العم دام سالماً

عن مدرسة الحكمة ١٢ تشرين الأول ١٩٠٥

مسكت القلم فسار على القرطاس وكتب ما يليه عليه حبه وينزله عليه
عرفان الجميل لشخصكم المحبوب وأنتم تعلمون منزلتكم في قلبي ولا حاجة إلى
التعليق أو التدليس فالقلوب على حسبها .

بارحتكم صباح الثلاثاء وثار حبهم يزيد اضطراباً على الفراق فوصلت بيروت
قرب العصر الساعة الرابعة بعد الظهر ونمت تلك الليلة في المدرسة خارجاً عن
منام التلاميذ في محل خصوصي للضيوف وصباح الأربعاء نزلت إلى المدينة أخذت
بعض أغراض لازمة في المدرسة ودخلت المدرسة بعد الظهر وتمينت صفوفي
هذا النهار الجمعة . في اللغة العربية حضرة العالم الفاضل الشيخ سعيد الشرتوني في
صف الفصاحة وفي الأفرنسية في الصف الرابع الجزء الأول عند بادري فرنساوي
لا يتكلم اللغة العربية . أما أنا فكان من الواجب أن أكون في الصف الخامس
الجزء الثاني لأنني كنت العام الماضي في الصف السادس الجزء الثاني ويستحيل على
كل تلميذ منها كان ذكياً وفطناً أن يعمل هكذا لأنه يوجد فرق عظيم بين تلامذة
الصف السادس والصف الرابع . ومن الأمر الطبيعي أن ابن خمس عشرة سنة
لا يكون قوياً في القوى العقلية والجسدية كإبن خمس وعشرين سنة وبهذه المسألة

توفّر عليّ سنة كاملة لكنني وعدت الأب العالم الفاضل مدير الدروس الخوري بطرس مبارك بالاجتهاد الزائد . فصلتوا دائماً لأجلي لأقوى وأسير على هذه الطريق وصفوف الانكليزية لم تترتب بعد و كذلك التركية والحساب .

في الطريق التقيت بأحد أولاد عمنا من عبرين ولا أخالك تعرفوه لأنه كان تلميذاً في مدرسة عينطورة والعام الماضي درّس بها اللغة الافرنسية وهذه السنة يدرّس اللغة الافرنسية في مدرسة مار بطرس النصر في جونيه واسمه سيمان خشان وبعدهما تحدثنا برهة في جبيل عن أحوالنا التقيت به ثانية في نهر ابراهيم ، وطلب إليّ إذا كنت أرغب في التدريس أي التعليم في اللغة العربية والأجرة خمس وعشرون ليرة فرنساوية ليس في المدرسة التي هو معلم بها هذه السنة ، بل في عينطورة ولعلمي حق العلم ان والدي لا يرضى أجبتة لا وأنا لم أزل قاصراً عن اللازم في اللغة الافرنسية أما إذا صدقت الظنون في السنة القادمة ان وفق الله نتعلم بلا دفع راتب ومق تقرر الأمر أخبرك عنه لتشاركني في فرحي لكنني أطلب منك ومن حضرة حرمة سيدي العم بعد طلب رضاها وإهدائها أذكي السلام أن تصلّيها لله وتضرعاً له لتوفيقني بهذا الأمر الباذل جهدي لتتميمه لأن به يسقط حمل ثقيل عن ضكبي أبي في الأتعاب التي يتكبدها والتي لو عرفت قدرها لوصلت الليل بالنهار^(١) .

(١) رسائل ماورون عبود ص ١٣٨ .

ودع مارون عبود مدرسة الحكمة بعد عامين دراسيين قضاها في رحابها :
« ثم كان عام ١٩٠٦ فودعت المدرسة وداعاً أخيراً ، ونظمت قصيدة
ودعت فيها (طبقي) وما قلت فيها :

ولا تقولي عجيب ما تقزّل بي من قبله شاعر أو بات مفتونا
فإن غيري بسلى عنك منشغل وما لسلى نصيب عند مارونا
فعمت هذه القصيدة على قصيدة (هللوا) وفارقت المدرسة بالتي هي أحسن
كما أوصى الشاعر... (١) .

وفاتح الوالد بنيته ترك المدرسة للعمل في التعليم وتحرير جريدة الروضة
ولكن الوالد استفسر عن الدعوة الكهنوتية فلم يلق جواباً فألقى الحق على
الست كاترين وكان لمارون ما كان وانتقل إلى الدنيا سلاحه أدبه يُعلّم ويحرّر
في الجرائد .

« وجس الوالد نبضي ليعلم أين تكمن الفكرة الكهنوتية وأين غورت ،
فرأى مني رجلاً رصيناً متكتماً ، بعيد القمر ، كأني أحد دهاة الانكليز .
وأخيراً قلت له : قبل ست سنين لا أستطيع الصعود إلى هذه الدرجة المقدسة ،
وفي ست سنين يموت ألف ويعيش ألف . فلنصبر .

فقتل وجهه عني وقال : على مهل . لا تستعجل . اياك لثلاث قع وتفك رقبتك .
السلم عال . ولا أدري كيف غلظت وتمثلت بهذا البيت .

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

فصفق كفاً على كف واستضحك وقال : اكتمل النقل بالزعرور . ثم طفق
بصيح : يا أم مارون ، اسمي ابنك البيروتي ، صار مثل الخوري نعمة الله
حنون . كنا بمصيبة صرنا بثنتين . هاتي من يترجم بيننا وبين الأفندي... (٢) .

(١) زرايع ص ٢٩٨ .

(٢) أحاديث القرية ص ١٣٥ .

الصحافي والمدرس

مارون عبود في الروضة والنصير ١٩٠٦ - ١٩٠٨

قد يحار الباحث المحدث في إيجاد تعليل منطقي مقنع، يمكنه أن يركن إليه، عندما يحاول أن يضع السبب الحقيقي لتترك مارون عبود مدرسة الحكمة قبل أن يتمّ دروسه الثانوية فيها خاصة ، بعد أن يقع على إشارة أوردتها نفسه في رسالة وجهها إلى عمه يعرب فيها عن سعيه الحثيث كي ينال منحة الاجتهاد من المدرسة نفسها والتي تعفيه من دفع الرسوم في العام الدراسي القادم وهو ١٩٠٦ - ١٩٠٧ وقد كان من المهلين كما مر في الفصل السابق .

غير ان هذه الحيرة قد تزول ، إذا عرفنا ان العروض التي تلقاها للعمل كانت مغرية لشاب في مثل سنه ، تواقع إلى أن يستقل ، ولو مادياً ، خاصة وأن والده الذي كان يتفق على تعليمه وإقامته في بيروت لم يكن عنده فضل من المال ، وكانت مارون عبود يسعى جاهداً ليخفف عن أبيه بعض الأعباء المادية ، أما لمّ لمّ يظفر بالمنحة ؟ فليس هناك ما يكشف لنا النقاب عن هذه القضية ، مع انه كان من المهلين حسب كتيب جوائز الحكمة ذلك العام. وليس لنا سوى أن نعول على الاستنتاج الذي يقودنا إلى أن علاقته بإدارة المدرسة لم تكن لتخلو من مشادات تعدت طور « الشيطنة » إلى المشاكسة :

عندما بلغت به سخريته درجة لم يعد مدير المدرسة يقبل بها ، وكان قد أصاب السيد المسيح بعضاً من تهكمه فقال له المدير: «حقى على المسيح يا مارون؟»

وقدام تلاميذ من كل الملل والتعوب ؟ هذا المنتظر من تلميذ مار يوحنا مارون ؟
هتيكة ، عيب . زيتن اسمك لتلا يصح فينا وفيك قول بعضهم يا ذلكم يا موارنة
ان كان هذا مارونكم ،^(١) .

فدخل مارون معترك الحياة ليتسلم تحرير جريدة « الروضة » لصاحبها
خليل طنوس باخوس التي كانت قد تأسست عام ١٨٩٤ ، والتي كانت لا تزال
في طور الصحافة الأدبية .

وظل في الروضة سنة وثلاثة أشهر .

وأول مقالة كتبها فيها كانت بعنوان (وقفة على ميناء بيروت) في العدد
٦٥٩ بتاريخ ٦ تشرين ، ومن خلال مقالاته في جريدة (الروضة) نرى أن
اهتماماته أخذت اتجاهات عدة ، منها نقده الاجتماعي ، وفيه مقالات إصلاحية
عالج فيها مشاكل اجتماعية ، وسياسية ، وخلقية ، كان لبنان يتخبط فيها
آنذاك ، ومنها مقالات تتضمن نقداً أدبياً ، كمقالة في الشعر والشعراء ، كما نشر
بعض قصائد من نظمه في هذه الحقبة . وكان آخر مقال حرره في جريدة
(الروضة) بعنوان - تشهد الأقلام - فنشر في العدد ٧٢١ بتاريخ ١٤ /
١٩٠٧ .

أما عمله في التدريس في هذه الفترة ، فقد بدأه في مدرسة الفرير في بيروت ،
كان يعلم اللغة العربية . وانقضى العام التدريسي الأول ، فأخذ يحرر ،
إلى جانب جريدة (الروضة) جريدة (النصير) . كما بدأ يعلم في كلية
القديس يوسف للآباء اليسوعيين منذ مطلع العام الدراسي ١٩٠٧ - ١٩٠٨ وكان
عمله في النصير سبباً لفصله عن (كلية القديس يوسف) ، وكذلك عن مدرسة
الفرير . وقد نوه مارون عبود بهذه الحادثة في مواضع عدة من مؤلفاته :

(١) أحاديث القرية ص ١٣٣ .

« وكنت قد فصلت من كلية اليسوعية ومدرسة الفرير لأنني محرر جريدة (النصير المطالبة بتأليف مجلس ملتي) لأبرشية بيروت المارونية^(١) .

(أيام عملت في كلية القديس يوسف أقل من ثلاثة أشهر ، وأخرجت منها بأمر نياقة القاصد الرسولي ، لأنني خطر على الطائفة المارونية والدين الكاثوليكي) .
ويقول في كتاب آخر عن الحادثة نفسها :

(فهبت الطائفة المارونية بزعامة يوسف الهاني تطلب أن يكون لها مجلس ملتي كغيرها من الطوائف الشرقية ، وكان يومئذ قد انتدبني الصديق عبود بك أبي راشد لتحرير جريدة (النصير) لسان حال المطالبين بالمجلس ، فأخرجت من كلية القديس يوسف والفرير .

ثم يقول :

« ثم كانت (الواقعة) وكانت النصير لسان حال الموارنة المطالبين بإنشاء مجلس ملتي تحت رئاسة مطران بيروت الجديد - بطرس شبلي - فأمر نياقة القاصد الآباء اليسوعيين بإخراجي من مدرستهم ، فأخرجوني آسفين - كذا قال لي الأب كاتين الرئيس ، وكبلاً تضيع عليه السنة أرادوا أن يفصلوه عن الهيئة التعليمية وعرضوا عليه إعطاء دروس خاصة فرفض أيضاً .

بعد ترك التدريس ، اتصل به صاحب مكتبة المعارف موسى صفيح ، وعرض عليه أن يقرأ كتاب مجمع المسرات لشاكر بك الخوري ، كما رواها لنا بقوله :

« قال لي موسى صفيح صاحب مكتبة المعارف : كلفني شاكر بك الخوري أن أفتش له عن واحد يقرأ عليه كتابه (مجمع المسرات) فيصحح له الخطأ النحوي والصرفي ، فخطرت أنت ببالي ، فما رأيك ؟

(١) رواد النهضة ص ١٤٨ .

وكنت قد فصلت من الكلية اليسوعية ومدرسة الفرير لأنني محرر جريدة
(النصير) المطالبة بتأليف مجلس ملتي ، لأبرشية بيروت المارونية ،
فأجبت : نعم .

فقال موسى : يدفع لك البيك عشر ذهبيات عثمانية عند النهاية .
فوجت ثم أجبت : لا بأس .

وبلغ الخبر أحد أصحابي فقال لي : شاكر بك (عملتَه ردية ، وهو مجيء)
قلما سلم من لسانه أحد ، كبيراً كان أم صغيراً ، فلا تعرض نفسك .
فقلت له : وأنا عندي ما عنده . أتخاف عليّ ؟

واجتمعنا أول يوم في دار البيك وشرعنا نقرأ ، فمرت كلمة (التقمص)
فقلت له : (التقمص) فتفكر قليلاً وقال التقمص مفهومة أكثر .

وبعد قراءة جملة أو جملتين ، مرت كلمة (تقاصصه) فقلت له : تقاصصه .
فقال : وهذي أضرب من هاتيك .

فقلت له : إذن ماذا تريد مني ؟ قال : إبداء الرأي ، وأنا أرى الموافق .
ثم جاء دور الشعر ، فعرض عليّ أبياتاً نظمها لتكتب تحت رسمه ، كما جرت
العادة في ذلك الوقت ، قال الدكتور :

لا بد من وبخته لقباحة يبيدي الغضب
أو من مدحت قريبه بزيادة عنه انوب

فهزرت رأسي ، فقال : ما لك انوربت أنت أيضاً ؟ فقلت : لو غيرنا هذا
الشرط الأخير ، فأوما برأسه إن لا ، وأنشد :

مها فعلت فانسني ما بين قومي في عتب
لي اسوة بمسبحنا فأقام ميتا وانصلب

وهنا وقعت الواقعة ، فأصررت أنا على القول : احيا لعازر وانصلي ،
وأصر هو . وأخيراً صاح بي :

افضل كسر الشعر مع حسن سمعه على نظم موزون لسامعه قتل

ثم كانت الكلمة الأخيرة له ، فعلت ان لا طب مع هذا الطبيب ، وإني
شاهد زور لا أكثر ولا أقل .

وكان الظهر فقمت ، فقال : اقمدي . خبزي اسود ولكنه صحي أكثر من
خبز السوق الأبيض . وأنا جبلي مثلك . تتعدى معي كل يوم ، وتأخذ أجرتك
وحبة مسك ...

فضحكت والتفت إلى (الكوميدينا) فأدرك حالاً وقال : يظهر انك
أخو راسي ...

ومضينا في عملنا ، فأنستني نظافة طعامه كل ما عداها .

كانت على المائدة يشرح لي أموراً كثيرة ويحدثني عن كتابه : (صحة
المتزوج وزواج العازب) ويصارحني بما يتعلق بي من موضوع الكتاب ، ويقول :
هذه دفعة ، قيدها . فيدق قلبي وأتذكر قول صديقه (في عملته) . ثم حدثني
عما ينفعني من كتابيه الآخرين (نائب الطبيب) و (صحة العين) وأفاض ،
ولما انتهى قال : هذه دفعة ثانية ، قيدها معك .

فقلت له : أنا لا أقبض (عملة حكي) هذي بضاعتي ، ولو كانت تجوز كنت
أغنى البشر .

فقال : قال لي صاحبنا موسى انهم خوفوك مني . لا تخف يا ابني . أنت
لست بمن أطمع فيهم . كل ملوخيا . كل لا تستح .

(١) رواد النهضة الحديثة ص ١٥٠ .

فقلت : أخاف أن (تلخ) رقبة حسابي ، فضحك وقال : خطيئتك في رقبتي . احرق دين (الجاط) كله كله . حسابك رقبته غليظة لا تنملخ ...

وكان شاكر يتنادر حتى على أولاده ، فلما دخل علينا ابن له طويل ، قال لي : تعرف ماذا انتقيت له وظيفة ؟ فَبِهَتْ . فقال : أن يضوي قناديل البلدية لأنه لا يحتاج إلى سلم . طول بلاغته .

وظللنا شهرين ثلاثة نقرأ ونتغدى ، وقبضنا أجرتنا علاوة

أما في جريدة النصير فقد كان مارون يحزر على منوال جريدة الروضة عدة مواضيع في الإصلاح الاجتماعي والسياسي والتربوي والتقدي. وأصدق صورة عنه في هذه الفترة ما كتبه هو عن هذه المرحلة :

« لم يكن في لبنان إلا أربع صحف : الروضة ، والنصير ، والصفاء ، ولبنان ، ويوم كان المراقب حاكماً بأمره . ومع ذلك كنت ألغم المقال الافتتاحي فيمر به على المراقب ولا يحس ، ثم لا ينفجر اللغم إلا بعد أيام من صدور العدد ، وهذا ما حصل في النصير أكثر من مرة . فنحتج بموافقة المراقب ونخلص بريشنا .

أجل كنت صحافياً نائراً يوم كان الصحافي منتوفاً بعد نهاره سعيداً إذا دعي إلى غداء أو عشاء ، وكانت العصي والحناجر ، مرفوعة ومسلوقة فوق رأسه وصدره . ومع ذلك عملت ما علي ولم أبال ، لا أرحم ولا أرحم ، وهكذا دواليك .

يقول المثل : من يفتقر يرجع إلى دفا تر جده العتاق ، وأنا ، والمجد للمعمل الذي أتجنني ، لم أفتقر بعد ، ولكنتي ، لكي أصدق ما قلته بي ، أعود إلى جريدة النصير لأنقل إلى القراء بعضاً من مقالة أولى أسقطت الأجزاء عن الكراسي ، وأرغمت يوسف باشا فرنقو على النزول عند إرادة الشعب ...

لقد لقيت غيب هذه المقالة ضرباً واضطهاداً ، فغادرت بيروت إلى جبيل لأحرر جريدة الحكمة . وهناك لم أسلم من غارة مسلحة بسبب مقال .

هكذا كانت الردود علينا في ذلك الزمان . كان خصومنا يحررون مقالاتهم بزئود رجائهم ، وكان حبرنا دم قلوبنا ، ومع ذلك لم نتراجع ولم نتثن .

قال المتنبي : وفي الماضي لمن بقي اعتبار ، وقال آخر ما أشبه الليلة بالبارحة ، ولست أدري أي القولين أصح في هذا الموقف . أما المقال فهذا بعضه :

« ما بين حانا ومانا ضاعت لحانا »

« ما بين خول مجلس الإدارة وارتشاء رجاله ، وتداخل رؤساء الدين بأحكام الدنيا ، وانقياد المأمورين إلى الوسطاء والتوصيات ، تلاشت حقوق لبنان وسقطت تحت صليبه الثقيل صارخاً من أعماق قلبه : اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي اقترعوا .

وما بين جدران الهيكل وتحت أقدام العرش ، سحقنا باسم الدين والحكومة ، فكان مثلنا ومثلهم كجزار يذكر الله ويذبح .

ومن تلك الأيدي الطويلة تسربت أموال الشعب وغارت في ضمطفات الجيوب الواسعة ، فأنبئت له الأرض شقاء وأثمرت ويلاً وبلاءً ، فأفلت من قبضة فرعون وطفر إلى أرض الميعاد الجديدة - أرض كولبوس - لا يقوده موسى جديد بل يقود بعضه كخراف فرّت من وجه الذئب .

قرون عديدة توالى على هذا الشعب ، وهو في قبضة دولة القوة والاستبداد ، لا يعرف النظام ليشتكي ويتألم ، لأن الشريعة كانت فم الحاكم . قد كان هذا صديماً ووصيه رؤساء دينه ، ونوابه الذين بددوا أمواله في سبيل أهوائهم وأغراضهم ، وضعوا بحقوقه على مذبح أنانيتهم وسيادتهم ، ولم يبقوا منها على

شيء لنقول لهم آية الكتاب : واتوا اليتامى أموالهم ... من عهد الاقطاعات المظلم ، إلى زمان المتصرفية ، ولبنان صبي قاصر تلعب به الأهواء والأغراض . لا يعرف ما ورثه عن أبيه ليطالب به من أنفقوه على ملذاتهم ، ليطالب أولئك الذين جعلوه خادهم مع انهم خدامه ، وأطعموه فضلاتهم وهو رب البيت ومن ماله يأكلون .

منذ أعوام ونحن في الظلمة ولم يطلع الفجر . منذ أعوام ونحن نحمل الحجارة على ظهورنا والطين على أكتافنا لنبني لهم القصور ، ولم نزل نسكن الأكواخ . منذ أعوام وهم يلعبون بنا لعب الصبي بالأكر ويفرقوتنا عصابات ليحفظوا سلطتهم ويوطدوا دعائم سيادتهم .

سدوا بوجهنا البحر فلم يعد لتجارتنا مخرج ، واحتكروا مياهه فصرنا نأكل طعامنا غير مملح وهم مملح الأرض وقد فسدوا ، وإذا فسد الملح فماذا يملح ؟

والتنباك والدخان قد احتكروهما كذلك ، وسدوا في وجهنا كل أبواب الارتفاق ووهبوا ملكنا لغيرنا والملك حق مقدس غير قابل الاغتصاب .

يرتفع الظالم على كرسي الحكم فيعمل في رقابنا سيف ظلمه فتتوجع قائلين : من يصبر إلى المنتهى يخلص ، وما نحن اليوم كما كنا في الأمس . فحق يكون المنتهى وأين الخلاص يا ترى ؟

أما اليوم فمن نطلب حقوقنا المهضومة ؟ أمن هؤلاء النائمين على الكراسي ؟ وهي لو شعرت بثقل ما تحمل لطرحتهم عنها ؟ من نطالب بكل ما سلب منا ؟ فقد أصبحنا عراة وهم يلبسون الحرير والديباج .

رحم الله عظام عمون عمون . فقد كان يعترض على المتصرف بكل ما يراه حقاً ، وكان عيد أبو حاتم يدافع عن حقوق الشعب ويحيب صوت الحق .

جاءه كاهن من أصدقاء عيد أبي حاتم وقال له : أوْمَل أن تفعل لي كذا ،
وكان الكهنوت في عز شبابه - فأجابه بخشونة : احك مثل لبسك ، أو البس
مثل حكيك .

فمن يفعل مثله اليوم يا ترى ؟ فوالله انهم داسوا ويدوسون الشعب إرضاء
لكل كبير ، ويقبلون أذياله .

ان لبنان اللبنانيين وليس لكم ، يا من خنتموه بأكلكم أمواله التي ائتمنكم
عليها . غرّم جهله فأضعتم كل حقوقه ، ولم تقرأوا التاريخ لتعلموا كيف تستفيق
الأمم المظلومة وتتأثر لنفسها . لم تظنوا ان الغد للحق والنور لترجعوا عن غيبيكم .

ان هذا الشعب كشمشون الجبار ، والخنونة هم هليلة التي خانتها وجزّت
شعره وألقته بين براثن الفلسطينيين . وكما استعاد شمشون قوته سيستعيدها
الشعب أيضاً وينتقم من خائنيه وظلامه . فكونوا على حذر أيها الخائتون ،
فيوم الحساب أشد ويلا على الظالم منه على المظلوم . والويل للذين افترسوا لبنان
وامتصوا دمه وصيروه ضعيفاً مهزولاً .

هكذا كتب لأولياء الأمر عندنا أن يكونوا مستبدين بالشعب ؟ وهكذا يظل
يوظف الجاهل الذي يساعده ذلك المقام وهذا الرئيس ؟ وهكذا يظل
الشعب ممجداً الخونة الذين باعوه وبييعونه كل يوم بشمن بخس ؟ أيبطل دائماً يلم
اليد التي صفعته على خديّه وملأت فمه دماً؟ مسكين هذا الشعب ، وأي مسكين ،
لا يزال يجهل ان أولياء أموره مسؤولون لديه ، لا لدى الدولة العظمى والدول
الست ، ويستطيع محاكمتهم متى حادوا عن الجادة المثلى . لا يزال يجهل ان كل
قوة ليس مصدرها الشعب لا تثبت أمام الحقيقة ، وكفانا بحالتنا الحاضرة دليلاً ،
فليعط إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، وبهذا صلاح الأمة .

كفانا ، يا قوم ، ما مضى ، فبين عبوسة النمر وابتسامة الذئب فني القطيع .

وأنت يا شعب لبنان أفق ، فقد استفاقت الروس . وتيقظ ، فقد
استيقظت بلاد فارس ، وأشعر ، فقد شعرت الصين بالوجود ، وانبعث من
ضريح الخول ، فقد بعث الدستور من قبره بعد ثلث قرن . ارفع صوتك وطالب
بمقوقك ، فما حك جلدك مثل ظفرك فتسوّل أنت جميع أمرك . ما ضررك لو
انضمت حزباً شعبياً واحداً ، وطلبت إسقاط كل مرتكب مها على مقامه ؟
قوي أنت أيها الشعب ، فاستعمل القوة وكن عادلاً .

اصرخ فلتسقط أسوار الاستبداد على رؤوس المستبدين ، فلتنقض صواعق
النميمة على الظلام المرتكبين ، واختر لك ولاية من رجال الوطنية الأحرار ،
فهؤلاء يخدمونك خدمة صادقة ، وما أشد احتياجك إلى الصادقين . سيجاب
طلبك إذا ميزت بين المجرم والبريء ، أما إذا رجوت إصلاحاً غير هذه الطريق
فصعباً تتعب .

فأقدم ولا تحش رئيساً أو عضواً - نائباً - أو قائماً أو مديراً أو قاضياً ،
بل اطلب إسقاط الخائنين كلهم .

عسى أن تستفيق ، يا لبنان ، من نومك العميق وتصرخ في المستبدين : الظلم
يولد الاستقلال والحرية .

النصير ، العدد ٢٣٠ اب ، ١٩٠٨/١٥ .

ولم يقتصر عمل مارون على المهرج العادي في جريدة النصير بل كانت يتولى
تحرير افتتاحيتها دائماً ، لا يتخلى عن هذه الافتتاحية لأفلاطون :

« كنت مستأثراً بالمقالة الافتتاحية لا أتنازل عنها لأفلاطون لو بُعث ، وقلما
وضعت كلمة لكاتب أو شاعر »^(١) .

(١) مجدودون ومجترون ص ١٥٤ .

إلى جانب التأليف ، كان مارون عبود في هذه الفترة بدأ يترجم روايتين (لثاقوريان ريفيه واتالا) ما بين ١٩٠٦ - ١٩٠٨ ويقول في مقدمة هذا الكتاب :

« هجرت مقعد المدرسة ، مدرسة الحكمة ، سنة ١٩٠٦ . تركت مائدة التلمذة لأجلس إلى مائدة التحرير ، إذ عهد إليّ حضرة الصحافي الرصين خليل أفندي باخوس بتحرير جريدة الروضة البهية ، فقضيت في تحريرها سنة وبضعة أشهر ، عربت في خلالها رواية اتالا . وفي أوائل سنة ١٩٠٨ عربت شقيقتها (رنه) حين كنت أحرر جريدة النصير الغراء لصاحبها الصحافي النشيط عبود بك أبي راشد . ثم طرحت الروايتين بين أوراق أنتظر الساعة التي أتوفق بها إلى إبرازهما إلى عالم الأدب والضياء »^(١) .

رأينا أن مارون عبود ، في هذه الفترة من حياته ، كان ممن حملوا راية الإصلاح ، فهو يحاول إصلاح الناس ، يدعو إلى التحرر ، إلى مواكبة الحضارة والتقدم ، يحث اللبنانيين على العمل لما فيه صلاحهم ، كان صوته عالياً ، وكان من وراء الدعاء للسلطان يمرر كلامه على الرقابة ، ولكن كتاباته لم ترق لبعضهم ، فتعرض لكثير من التهديدات ، ذلك ان من لم يرقهم ما كتبه كانوا يردون عليه « بدبابيس أزلامهم » ، وقد ورد في النصوص السابقة ما يؤكد قولنا وان تكن هذه الفترة في حياة مارون عبود هي بداية تأليفه ، فقد كتب في ميادين عديدة كان معمل شعر ونثر ، على حد قوله .

غير ان أسلوبه في هذه المرحلة لم يكن قد اتضح بعد ، فهو تارة يلجأ إلى الرموز وطوراً ، يصرخ صرخات عالية مخاطباً شعب لبنان ، داعياً للتحرر بأسلوب ينضح خيالاً وتصويراً ، وطوراً يكتب برزائمه المعروفة ، وعقله

الراجح ، ومعرفة الواسعة ، غير ان ذكرياته في هذه الفترة تدلنا على نشاطه الدائب والمستمر . ولكنه إلى جانب هذا الكد ، كانت تتخلل حياته بعض ساعات اللهو والمرح حيث يترك العنان لسخريته ولقرينته ، ويروح يتسلى مع بعض أصدقائه .

وللقارئ واحدة من ذكرياته في ذلك الزمان :

« كنا ثلاثنا ، أنا وفليكس وداود مجاعص ، أما الرابع وهو الشيخ شاهين فكان معنا كشاهد زور ، كنا في مسرح « التريانو » ، كان موقعه شرقي ساحة البرج محل قهوة الجمهورية أو تحتها بقليل ، وكانت هناك غانية مفضية راقصة كوحيد ابن الرومي .

البنات نسوية التبعية ، سحر جمالها بيروت فأقبل على لياليها كبار الموسرين ، فاحترنا نحن الأدباء في ذلك العهد - والطفر يعمي البصر - كيف تنعم بجمالها ، والجيب فارغ .

حضرتني حيلة لا اعدم مثلها في كل ساعة حتى بعد هذا التقهر الجسماني أو الجسداني كما يقول رجال الدين ، فأنكرت أنني أفهم العربية أو الافرنسية ، ثم هبط الوحي وتطورت الفكرة فإذا أنا أمير سرياني ، فعرّفوها إليّ كذلك فهزّت المحروسة كتفها ، واشتد بها الفضول إلى سماع اللغة السريانية ، وأومها فليكس أنني ذو ثروة جبارة ، وكالمرحوم ابن أبي ربيعة أتبع الجمال .

صدقت المسكينة انني ازجي الليرات التي تكرج على حفافها لا التي تطير في الهواء ... فانجذبت نحوي وألحت إلحاحاً عنيماً استفدت منه قليلاً ...

ثم تركتنا على أن تعود بعد نهاية الحفلة لتتمتع بفصاحتي السريانية ... وفي نيتها أن تتعمق وتغوص في جيبي حيث الكنز الذي لا يفنى ... ذلك الذي اختارت مثله المجدلية دون أختها المهتمة بأمور كثيرة ...

وكان نصف الليل ، فما أخلفت الأنسة الميعاد ، رأى الناس تلك الجميلة التي
تتدلل وتتغنج أمام آل بسترس وثابت ومرسوق وبيهم قاعدة حد محرر النصير ،
فاتجهت الأنظار صوبنا . وكان ترجماني داود مجاعص . تهجى داود الأيحد
سريانيا ، فتظاهرت انني فهمت ، وأجبت بالابانا ، ثم تهجى داود هوز فأجبتنه
بالسلام عليك يا مريم ، ثم ثم ...



(مارون عبود في النصير عام ١٩٠٨ عن لوحة في معرصة نعلين مارون عبود)

وأرادت الست أن تسمع اللحن السرياني فأنشدتها (ميمرا) من مار افرام بصوتي الذي جاء ذكره في الكتاب الكريم ، ثم آخر من مار يعقوب ، فقامت ترقص . ولم أحرمها نشيد الأموات فطفرت الدموع من عينيها ، فخلعت اننا في ماتم ، والدفن قد قرب ، وسيعقبه (شيل البخور) وأخذت تطرح عليّ أسئلة غريبة كأنها أحد علماء الأجناس ، فيومها ترجماني داود أنه يكلمني وهو لم يزد علي تهجئة حطي وكلن وسفص ، وهكذا قضينا سهرة غير قصيرة لم نسقها في خلالها كأس ماء بارد ...

ولا تسل كم كانت خيبتها مرة إذ ودعتها بالفرنسية وداعاً مقروناً بعبارات اكبار للطفها ، وإعجاب يحالها الساحر ، فاصفرت وتبسمت قائلة: أنت وحدك غلبتنا ، كنت أخيب وأدهى منا ، سأنتقم منك في الليالي القادمة .

فأجبتها : لا يا سيدي ، لأنك لا ترينني . قليلاً ما أجد في كيسي بدل الدخول ...

فأنستها هذه الكلمة ألمها وامتعضها ، وقالت : تعال علي حسابي ، شرط أن تفعل ما هو أطف ، فهذه النكتة تزعج ، ولا سيما ان عرفت بها زميلاتي . فقلت : انك تزعجين بلاداً بأسرها ، فما عليك لو غلبك واحد منها ، وآخذ بثأرم من دولتك ... انت ما دفعت حق جمالك . أمسيحية أنت ؟

فأجابت بعبارة التعظيم المسيحي بالحرف : نعم بنعمة الله أنا مسيحية . قلت والمسيح قال سبحانه أخذتم مجاناً اعطوا ، أنا لم آخذ من رأس مالك شيئاً . وإن كنت وثنية فمثلك تذهب إلى الهيكل وأنا ابن بلد ادونيس ... ورأيتها بعد ذلك مرات ، فكانت تقابلني بإبتسامة وهز السبابة ، ولكنها لم تعلق علي الدبق .

وظل فليكس طول حياته يسألني كلما التقينا : كيف السريانية في هذه

الأيام ؟ .. فتنقبض أسرتي وأمرته ، ونقبع كلانا في الزاوية كالرتلاء في بيتها
تنتظر ذبابة مارقة لتدعوها إليه ...^(١) .

في نهاية صيف ١٩٠٨ كان مارون عبود لا يزال محرر جريدة التصير البيروتية ،
وكان من آخر مقالاته فيها مقال بعنوان (يا شهب لبنان) .

وقد نشر في العدد ٢٨٢ الصادر بتاريخ ٣١/١٠/١٩٠٨ .

ومما يذكره - رحمه الله - في هذا المقال ثورة ٢٤ تموز حيث بشيد بالدستور
الذي اضطر عبد الحميد إلى إعلان العمل به تحت ضغط حركة أنور ونيازي .
فيقول في ذكرياته عن هذه الحقبة :

« اعلن الدستور وقطعت الأقلام ارسائها فابتدأنا بولانا السلطان وانتهينا
بآخر باشكاتب في دواوين المتصرفية . وقعدت أتمشى ذات ليلة في مطعم
المسكوبي على البرج وأنثر أحاديثي على الملتفين حولي ، ممن أعجبهم مقالي ، « بين
حانا ومانا ضاعت لحانا » ، في جريدة التصير التي كنت أحررها يومئذ . فشغل
بالي جلف قبع في الزاوية وكان يزأرنى كأنه يريد أن يأكلني بعينه . فقلت في
قلبي - هذا رجل في وجهه شر . يقتل شاربيه كقرني التيس ولكنه لا يكاد
يقيمها حتى يناما . يحط دبوسه ويشيله بلا شعور . يتحلحل ثم يجمد . ولما قت
قام . ومشينا فكان يقف إذا وقفت ، ويمشي إذا مشيت كأنه ينتظر خلوة حتى
يبوح لي بعواطفه ... فقلت في نفسي : الأوفق أن نفقأ الدم على عيون الناس ،
فلا أقل من أن يتقدم واحد من أصحاب المروءة فيرده عني . وأعجبني رأيي
فعدت إليه فجأة وقلت لأستولي على المبادرة - ماذا تريد مني ؟ قل .

وحرك يده فهبط قلبي في بطني ، ولكنه ما حركها إلا ليقول : (بدني
فك رقبته) ، إذا كتبت بعد كلمة واحدة عن سيدنا الشيخ .

فقلت : وإذا لم أكتب .

(١) مجدنون ومجترون ص ١٦٣ .

قال : يسلم جلدك عليك .

فقلت في نفسي إذا كان فك الرقبة بعد حين فالقضية محلولة وعلى هذا تقارقنا ، وهكذا كان .

وبعد أسبوعين توجهنا إلى بتدين وأكرهنا دولة المتصرف يوسف فرنكو باشا على حلف بين الاخلاص ، للدستور ، وعلى إسقاط الموظفين من مديريين وقائمايين حتى رئيس مجلس المير قبلان بللمع ، فأسقطهم المتصرف مؤقتاً ، .

هذا هو دور مارون عبود المناضل في سبيل الحرية . والتمسك بحرية لبنان وبالدستور الذي يؤمن للبنانيين وللشعب بعض الامتيازات التي نعرفها اليوم بالحقوق والواجبات .

ولم يسلم من تهديدات (الأزام) أزام من كانت تضايقتهم مقالاته الحفية .

بعد توقيف النصير لم يجد مارون عبود المتبر الحمر الذي يطل من خلاله بأرائه ومقالاته فانتقل إلى جبيل في نهاية ١٩٠٨ ليشارك مع سليم وهبة في تأسيس جريدة (الحكمة) أملاً أن تؤمن له المناخات الملائمة لقلمه التي لم تكن بيروت لتؤمنها له ، ولكن النتيجة كانت غير ما كان يتوقع :

« لقد لقيت غيب هذه المقالة ضرباً واضطهاداً ، ففادرت بيروت- إلى جبيل لأحرر جريدة الحكمة . وهناك لم أسلم من غارة مسلحة بسبب مقال .

هكذا كانت الردود علينا في ذلك الزمان ،^(١) .

(١) من الجراب ص ٢١٦ .

مارون عبود في جبيل

(١٩٠٩ - ١٩١٤)

انتقل مارون عبود إلى جبيل قبيل نهاية عام ١٩٠٨ بقليل ، ولعل انتقاله إلى جبيل كان اضطرارياً ، وما يؤكد هذا القول ، رسالة بعث بها أحد أصدقاء مارون عبود ، نعوم أبي راشد ، أحد أقرباء عبود أبي راشد ، وصاحب المحل المعروف في سوق الطويلة . ففي هذه الرسالة يذكر الصديق بأنه علم أن مارون عبود غير (مبسوط) مرتاح في تلك الجهة ، أي جبيل ، ويعرض عليه أن يجد له عملاً أو مركزاً يوافقه في عالم الآداب ... وتحمل هذه الرسالة تاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٠٩ ، وهذا مما يدلنا على ان مارون عبود ، كان قد انتقل إلى جبيل قبيل هذه الفترة ، بأشهر معدودة ، وإن اضطراره إلى العمل في جبيل كان بسبب مقالة كتبها :

« لقد لقيت غيب هذه المقالة ضرباً واضطهاداً ، فغادرت بيروت إلى جبيل لأؤنس جريدة الحكمة . وهناك لم أسلم من غارة مسلحة بسبب مقال » .

أما الرسالة التي أرسلها له صديقه نعوم أبي راشد فهذا نصها :

حضرة الصديق العزيز مارون أفندي عبود الأفخم :

تحيات وأشواق زائدة لما كنت أسأل عنك وعن أحوالك من وقت لآخر لأنه يعني أمرك كثيراً فتوصلت بطريقة غير مقصودة أن أعرف بأنك غير

مبسوط بوجودك في تلك الجهة فاغتنمت اليوم وجود أحد الأشخاص من عمشيت
 لأكتب اليك أسألك عن ذلك حتى إذا كان الأمر أكيد وتريد أن ترجع إلى
 بيروت عرفني وأيك بطريقة ترغبها لأجتهد إلى إيجاد مركز يوافقك ويحفظ
 لك مقامك بعالم (الآداب) ذلك حباً بالمحافظة عليك وقياماً بواجب الصداقة
 فانتظر جوابك بالقرب العاجل لأنه يوجد فرصة ومناسبة اتوفق بها إلى
 خدمتك إذ فإن الأصدقاء لبعضهم . وأخيراً أبشك معظم الأشواق وأدعو لك
 بالتوفيق والتجاح واسلم لصديقك أبي راشد .

الامضاء

حرف الشريف العزيمارون فخره عبود لوزم

شأن واشواق زائرة لما كنت أسألك عن ذلك من ردت لفر لونه بهي البركة
 كثيراً فتدعت رايته غير مفهومة ان اعرف بانك غير مبسوط بعد ذلك فتنس الجهة فاعنتت
 اليوم بعد امد لا يخفى ان كنت اسألك من ذلك عن ذلك مما اذا كان في بيروت
 وتريد ان ترجع الى بيروت وعنه رايته برفق بوجهه الى إيجاد مركز يوافقك ويحفظ
 لك مقامك بعالم (الآداب) ذلك حباً بالمحافظة عليك وقياماً بواجب الصداقة فانتظر
 جوابك بالقرب العاجل لأنه يوجد فرصة ومناسبة اتوفق بها إلى
 خدمتك إذ فإن الأصدقاء لبعضهم . وأخيراً أبشك معظم الأشواق وأدعو لك
 بالتوفيق والتجاح واسلم لصديقك أبي راشد .

الحمد
 الى الله
 كنه حرمه

لاقى مارون عبود في جبيل مجالاً أرحب للعمل ، فاوكل اليه صاحب
 جريدة الحكمة الأستاذ سليم وهبة أن يرأس تحرير هذه الجريدة التي أسسها مارون
 عبود في ١٩٠٩/٧/٢٣ وفي هذه الأثناء طلبت منه مدرسة الاخوة المرييين في
 جبيل (القرير) أن يعلم البيان ويدرس اللغة العربية فيها ، فانتقل الى جبيل
 حاملاً معه مكتبته كالصاحب بن عباد .

وشرع بالعمل في تلك المدينة ، بعيداً عن ضغوط السياسة والأزلام ، مهتماً
 بالتعليم الذي اعتبره أعظم رسالة يقوم بها إنسان ، فظل يعلم بكل أمانة
 وإخلاص في تلك المدرسة حتى توقفت الدروس فيها إبان الحرب العالمية الأولى
 سنة ١٩١٤ .

ولم يقتصر عمله المدرسي على التدريس فقط بل أنشأ للطلاب جريدة أسبوعية كان يشرف عليها ، ومنتدى شعرياً كانت الطلاب يتبارون فيه بما حفظوا من أشعار وبما استطاعت أقلامهم الطرية أن تخطه في هذا الحقل ، كما ولم يقتصر نشاطه على الأدب فحسب بل تخطاه إلى الفن ، فأنشأ فرقة مسرحية في المدرسة كانت تقوم بتمثيل بعض المسرحيات التي يؤلفها هو أو يترجمها أو يقتبسها .

أما في الحكمة فقد سخر قلمه لمناصرة الشعب وقضاياها ، حاملاً على الإقطاعية وعلى الحكم والحكام غير أنه لم يتوان عن الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي ، فكان المصلح الجريء ، والناقد الأدبي النزيه . فأطلق سهامه على السياسيين والاداريين منتقداً وناصحاً وموجهاً ، ولم يدع حادثة تمر إلا ويسجل فيها رأيه الخاص . وقد دافع في تلك الفترة عن حقوق طائفته أمام محاولات روما بكسب الوصاية عليها والتدخل في شؤونها ، وهذه بعض ذكرياته عن تلك الفترة :

« كانت رومية في كل فترة تحاول أن تعمل البطريرك الماروني كرديناً ، وكان البطريرك الماروني يابساً فتليجاً ، نكايه به ، إلى بطريرك أصغر طوائف لبنان الكاثوليكية وتسميه كرديناً ، ويظل البطريرك الماروني رافلاً بأرجوانه وصولجانه .

وجاء الأسطول الفرنسي إلى الشرق قبل الحرب الأولى ، ودرست دارعته وغواصاته في ميناء جونيه ، وأدّت التحية لسيد بكركي ، ثم استقبل البطريرك الياس عندما رد الزيارة للأميرال ، استقبال الملوك ، حتى سأل البابا بيوس العاشر المطران بطرس الفغالي ، عندما أوفده البطريرك الياس إلى رومية في إحدى الاحتفالات الدينية بقوله :

كيف حال البطريرك الملك ؟

وفي ذلك الزمان كتبت مقالاً في الجريدة التي كنت أحررها في جبيل
فحوهاها : لماذا لا يكون بطركنا كرديناً ، وهل البابوية ارث للطلبان ؟
فاستدعاني رحمه الله إلى بكركي وقال : (بدك تعطني كردينال يا مارون) ؟
فقلت : يا سيدي هذا حق .

فأجاب : هذا حق يا ابني ، ولكنه يضيع الحقوق ، تريد أن يصير بطرك
الموارنة ميرالاي مثل الشيخ بربر ؟ اليوم عيّنناه وبكره نقلناه من لبنان إلى
البندقية مثلاً ، وأخيراً أحلناه على التقاعد ،^(١) .

ولم يكن حظه في جبيل أكثر من حظه في بيروت من التهديدات فكانت
الدبابيس تتصدى للقلم الحر والرأي العنيد ، ولكن كل ذلك لم يكن ليثنيه عن
عزمه على المضي في طريقه ، يقوم بأعباء الرسالة التي نذر نفسه لأجلها .

فكما حصل له وهو يعمل في جريدة (النصير) كذلك حصل معه في جبيل
أثر مقال كتبه :

كنت في جبيل وكتبت مقالاً عن كاهن عنونته عوافي يا عم - عمبزوع
عدس - تاكل وجع ، انا وخبي سليمان .

فناظ المقال أهل بلدته فنزل إلى عمشيت منها سبعون رجلاً بالسلح الكامل .
أما أنا فكنت في جبيل بمدرسة الفرير ، فحانني العلم المثلث الألوان واليوزباشي
جرجس غسطين الذي جعلني أنتقل في الاسكفة كالتصرف . جنديان خلفي ،
وجنديان قدامي ، فأعجبتي هذه الأبهة ولكنها لم تدم . ما دام إلا رسائل
الوعيد التي كانت تنهال عليّ فتحرمني النوم ، وصار محسوبكم إذا رأى غير شيء
ظنّه رجلاً ...

(١) منوشات ص ١١٨ .

وهوّن الله أخيراً، والتفتت في سراي جونييه بالقبضاي الذي كان يتهددني،
فجاء صوبي وعرفني بذاته الكريمة ، وأخذ يهد ويقدر ، ففاجاه ابن عم لي علي
طرازه . وكان (المحترم) في السراي فجاء علي الصوت . ودخل ، رحمه الله ،
في الدعوى شخصاً رابحاً ، وقصالحنا باسم من قال : « من ضربك علي
خدك الأيمن ،

وقد يقول القاريء جرت كل هذه الحوادث يا عنتره ، وما أكلت كفاً .

لا يا مولاي خليها مستورة ، الماضي مضي ... لم يكن القتل دارجاً في
زماننا ... (١) .

(١) من الجراب ص ٢١٨ .

ظل يعمل في الحكمة الجبلية حتى عام ١٩١٤ إذ توقفت هذه الجريدة بعد أن نكل الأتراك بصاحبها .

وفي هذه الفترة أيضاً ، وبالتحديد في ٣٠ نيسان سنة ١٣٣١ هـ . أي في ٣٠ نيسان عام ١٩١٣ أوكلت إلى مارون عبود وظيفة حكومية إلى جانب عمله الصحفي وعمله في التدريس . ففي رسالة تحمل هذا التاريخ وتحمل امضاء قائمقام كسروان في ذلك الوقت اليوزباشي أمين أبي اللع بوكل فيها إلى مارون عبود بناء على مؤهلاته ونشاطه توزيع تذاكر النفوس على أهالي مديرتي جبيل السفلى ، وجبيل العليا . وهذا نص الرسالة :

قائمة كسروان رقم ٢٢١

إلى رفعتو مارون بك عبود مأمور تذاكر نفوس أهالي

مديرتي جبيل ، وجبيل العليا

رفعتو افندم :

انه بناء على اهليتك ونشاطك ، عيناكم مأموراً لتوزيع تذاكر النفوس على أهالي مديرتي جبيل وجبيل العليا فعليه يلزم أن توجهوا إلى جميع قرى المديرتين وتباشروا بكل همة ونشاط بتسليم كل الأهالي ذكراً أم أنثى كبيراً كان أم صغيراً تذكرة نفوس باسمه وتقبضوا ثمنها بدون أن تقبلوا منه تعليلاً لأحد قطعياً ومن يتأخر عن قبول تذكرته ودفع ثمنها وقفوه حالاً وإذا بقي مصرّاً على ذلك أرسلوه لهذا الجانب تحت الحفظ وينبغي أن توقفوه بنفسكم ، وقدفقوا بنفسكم بمدد أهالي كل قرية وعلى كل شيخ صلح أن يقدم لكم بياناً صحيحاً بالمدد على مسؤوليته لكي تتمكنوا من اعطاء الجميع تذاكر نفوس بحيث لا يبقى أحد بدون تذكرة وإذا تبين بالمستقبل حصول خلل بالبيان المحرر يجازى ذلك الشيخ من القانون بدون شفقة أو رحمة وحيث ان شيوخ القرى قد استلموا قبلاً من مديري الناحيتين المذكورتين تذاكر نفوس لأجل توزيعها على اهليهم فيلزم

أن تستعملوا أولاً من المديرين عن كمية التذاكر المسلمة منها لكل شيخ صلح وتوجبوا من ثم على هذا الشيخ اجراء المهاسبه معكم على التذاكر المرقومه فإن ظهر أنه باق شيء من ثمن التذاكر التي صرفها خذوه منه وخذوا أيضاً التذاكر الباقية عنده بلا تصريف وإن تمنع عن دفع الباقي ضمنه ارسلوه لهذا الجانب بدون تأخير لإجراء المقتضى بحقه. والحاصل ترغب منكم بذل قصارى جهدكم ونشاطكم للقيام بواجبات هذه المأمورية أحسن قيام وبفرصة وجيزة يجب أن يكون توزيع التذاكر تماماً بحيث ترسلوا كل أسبوع دفعة من مال التذاكر لهذا الجانب لتقديمها لصندوق المتصرفية الجبلي وفقاً لأمر دولته الكريم وبذلك تحققون ثقتنا بكم وطال بقاءكم.

٣٠ نيسان ١٣٣١

قائمقام كسروان

يوزباشي

الخاتم

أمين أبي المص

وبستدل من عدة رسائل صادرة عن مركز القانقامية حول هذا الموضوع وكيفية تحصيل الرسوم وتوزيع التذاكر ، انه ظل يعمل في هذه الوظيفة حتى ٢٠ (أغسطس) آب من السنة نفسها وفي رسالة تحمل هذا التاريخ نفسه يطلب من مارون عبود أن يسلم الوظيفة إلى شخص آخر بعد صدور أمر وكالة المتصرفية بقرار من مجلس الإدارة ويتبين من هذه الرسالة أنه عين عضواً في قوميون المغالقي المستجدة في قضاء جبيل :

تسليمها فهي تقضي بتحديد الضرائب والرسوم التي يمكن أن تتقاضاها الدولة عن البيوت أو المنشآت ، وهي شبيهة بما يعرف اليوم ، بالرسوم البلدية ، أو بما يدعى بـ «المسقطات» ، وهي ضريبة على المساكن ، كما يستدل من التسمية المشتقة من كلمة سقف ، وتشمل هذه الضريبة بيوت السكن والايجار والطواحين الجديدة والدكاكين ، والأقران والمعاصر ، والحانات والحانات ، والمقاهي وأماكن اللعب ، كما يستدل من رسالة قائلة ، توضح هذه الأمور وهي نسخة طبق الأصل ، عن مضبطة مجلس الادارة بهذا الصدد :

قائمة كسروان (٥٨٧)

لجناب أصحاب الرفعة الأمير فؤاد عامر أبي اللع وغطاس بك سليمان ومارون بك عبود قومسيون المغالقي المستجدة في القضاء المحترمين :

ورد أمر من مقام وكالة المتصرفية الجبلية مفاده الوسم ان قومسيون المغالقي المستجدة في قضاء المتن قدم عريضة استفهم بها عما يجب اجراؤه في بعض المسائل المتعلقة بالرسوم على البيوت المدة للأجرة فقرر مجلس الادارة ما يأتي :

أولاً : يجب عد البيوت المأجورة لهذا العام وغير المأجورة أيضاً بما هو معد للأجرة على الاطلاق .

ثانياً : يجب وضع الرسوم على البيوت المدة للأجرة على قدر الاستحقاق سواء كانت مأجورة أو غير مأجورة بحيث انه لا يجوز استيفاء رسوم على غير البيوت المأجورة ولا يجوز وضعها على معدل الأجر بهذه السنة لأن أجور هذه السنة لا تعتبر أجوراً قانونية بالنظر للظروف الحاضرة .

ثالثاً : لا مانع من إجراء تعديل عادل في وضع الرسوم بين البيوت الكبيرة والصغيرة وبشرط مراعاة موقعها لأنه يتفق أن يكون أجرة البيت الصغير أكثر من الكبير إذا كان موقع الصغير أجمل وأقرب إلى المنتفعات .

رابعاً : إذا تمتع الشيخ والمختارون والوجه عن الاشتراك مع القومسيون

بموجباً تؤذن التعليمات الموضوعية فملى القومسيون أن يبلغهم خطيباً وجوب حضورهم للاشتراك معه بواسطة اثنين يختارهم القومسيون فإن على هذين الاثنين أن يقدموا للقومسيون شهادة خطية بذلك يحفظها القومسيون عنده ويشير إلى ذلك في الضبط وذلك يكفي بتوقيع أعضاء القومسيون على أنه من اللازم أن يرفع القومسيون بعد ذلك عريضة إلى القانقامية بواقع الحال لإجراء المقتضيات القانونية بحق المتعين .

فعلية اقتضى ابلاغكم هذا القرار لتتسبوا على منواله وأفيدوا عن وصوله اليكم وطال بقاءكم .

قائمقام كسروان
الخاتم

٧ أيلول ١٣٣١
٥٨٧

لجانب ما جاء في رفعه القرار على المجلس وعضو من كسان ومارون الذي يجوز قومسيون الفاعلة المسجلة في القضاء القومية .

ورداً من مقام وزارة القومية بمجدي مفاداً البرسيم انه قومسيون الفاعلة المسجلة في قضاء النية قدم عريضة استقدم إلى مما يجبا جزوه في بعض المسائل المطلقة برسيم على البيوت المصدة للخدمة قدر مجلس الادارة ما يأتي .

او تدبج عد البيوت المجهورة برسيم العام وغير المجهورة ايضاً ما هو معد للخدمة على اطلاقه .

ثانياً يجب وضع الرسيم على البيوت المصدة للخدمة على قدر الاحتياق سواء كانت مأجورة او غير مأجورة حيث ان المجهورة منسقة رسيم على غير البيوت المجهورة ولا يجوز وصل على معدن المجهورة هذه السنة دون المجهورة هذه السنة لا تصير مأجورة قانونية بل في المصلحة العامة .

ثالثاً لو ما نزع من اعد تصدي عادل في وضع الرسيم بين البيوت المصدة للصحة ليرطو معاملة معدن له لانه يتقون ان يكون اجرة البيت الصغير اكد منه الكبير اذا لا في موقع الضمير ومن اوجب

الاستفسات .

رابعاً اذا تمع البيع والشراء وانه الرسيم عن الاشارة مع القومسيون يجباً تؤذن التعليمات الموضوعية فملى القومسيون ان يبلغهم خطيباً وجوب حضورهم بذلك مع مبدئية ائتمارها القومسيون فانه يجوز هذه الاشارة ليقوم القومسيون سرادة خطية بذلك يحفظها القومسيون عنده ويشير إلى ذلك في الضبط وذلك يكفي بتوقيع أعضاء القومسيون على أنه من اللازم أن يرفع القومسيون بعد ذلك عريضة إلى القانقامية بواقع الحال لإجراء المقتضيات القانونية . ففد انتم بلونكم هذا القرار لتتسبوا على منواله وأفيدوا عن وصوله اليكم وطال بقاءكم .

قائمقام
كسروان

٧ أيلول ١٣٣١

وهكذا نرى أن مارون عبود تسلم ، خلال عام ١٩١٣ ، وظيفتين حكوميتين فعيّن في نيسان من ذلك العام مأموراً لتذاكر النفوس ، ثم عضواً في قوميون المغالقي المستجدة ، وليس ما يشير ، كما في السابق ، إلى تاريخ توقف العمل في هذه الوظيفة الجديدة ، ولعله بقي يعمل فيها حتى نهاية العام ، فقد ورد في رسالة بتاريخ ٢٩ كانون الأول ١٩١٦ أمر متصرفي إلى أعضاء قوميون المغالقي المستجدة يحدد لهم العمل الذي كان ينبغي أن ينتهي في تشرين الثاني ، أي نهاية الشهر التالي .

ولعل ، مارون عبود ، توقف عن العمل الرسمي في هذه الفترة أو بقي في منصبه حتى شهر أيلول من السنة التالية ، حيث نعلم بأنه عيّن نائباً لرئيس بلدية غرزوز وملحقاتها ، وقد تسلم فيما بعد منصب الرئاسة فيها كما يستدل من الرسالتين التاليتين إحداهما صادرة عن مدير ناحية جبيل بتاريخ ١٣ أيلول ١٩١٦ .

عدد ٨٥٧ ؛ والثانية بتاريخ ٢٧ أغسطس ١٩١٦ وتحت رقم ٢٧٢ وهذا نصها :

لجناب رفعتو مارون بك عبود نائب رئيس بلدية غرزوز وتوابعها

رفعتو بك :

حيث لم يصدر الأمر الكريم إلى الآن بتعيين رئيس بلدية غرزوز وملحقاتها وكانت الأعمال لا تقوم بدون رئيس للضبط والانتظام ، ودعوة الهيئة للجلسات عند الاقتضاء ، وتنفيذ القرارات إلى غير ذلك مما هو منوط بالرئاسة ، وبالنظر إلى ما هو معهود بكم من الدراية للكافية ، والأهلية التامة ، نكلفكم بأن تقوموا مقام الرئيس إلى أن يتم تعيين الأصيل وذلك بناء على أمر سعادتكم وأفيدونا عن طريق مباشرتكم في العمل أقدم .

أيلول ١٩١٦

فتاوى

حي لم يرد اليه الكرم الى الله سبحانه وتعالى لبلدية غرزوز ومختلفا والبلديات التي لا تقوم به في
رئيس البلدية والبلديات والبلديات والبلديات والبلديات والبلديات والبلديات والبلديات والبلديات والبلديات
منطوقا الى ما هو ضروري في كل وقت والبلديات والبلديات والبلديات والبلديات والبلديات والبلديات
مقام رئيس البلدية في منطوقا والبلديات والبلديات والبلديات والبلديات والبلديات والبلديات
البلديات والبلديات والبلديات والبلديات والبلديات والبلديات والبلديات والبلديات والبلديات



والرسالة الثانية .

قائمة رقم ٣٧٢

الى رفعتو مارون بك عبود رئيس بلدية غرزوز وملحقاتها المحترم :

بناء على اهليتك ونشاطك وقدرتك بالأعمال قدمنا الان ، لمقام المتصرفية
الجليلة بتعيينكم رئيساً لبلدية غرزوز وملحقاتها فوررد الجواب بالايجاب فاقضى
تليفكم الكيفية لكي تقوموا باعباء هذه الوظيفة حق القيام ، وتطبقوا اشغال
البلدية على منطوق القوانين والتعليقات كما هو المهود بهتمكم ورأيكم ودام .

قائمة كسروان

٢٧ أغسطس ٣٣٢

٤٧٢

الى رفعتو مارون بك عبود رئيس بلدية غرزوز وملحقاتها المحترم

بناءً على اهليتك ونشاطك وقدرتك بالأعمال قدمنا الان ، لمقام المتصرفية
رئيساً لبلدية غرزوز وملحقاتها فوررد الجواب بالايجاب فاقضى بتليفكم الكيفية لكي
تقوموا باعباء هذه الوظيفة حق القيام وتطبقوا اشغال البلدية على منطوق
القوانين والتعليقات كما هو المهود بهتمكم ورأيكم ودام

قائمة كسروان

٤٧٢



في عين كفاع

(١٩١٥ - ١٩١٩)

اندلعت نار الحرب العالمية الأولى في أوروبا عام ١٩١٤ ، فامتدت
ألسنتها الى سائر أنحاء العالم ، تحرق أمامها الأخضر واليابس ، فدخلتها تركيا
في تشرين أول من السنة نفسها الى جانب ألمانيا. وفي هذه الأثناء ظهر جمال باشا الأول
الذي لُقّبَ بالسفاح ، لتدبيره المذابح الأرمنية في دمشق . وكان جمال باشا
هذا قائداً أعلى للجيش الرابع ، وحاكماً عسكرياً للمنطقة ، فسارع الى احتلال
لبنان ، وإلغاء استقلاله وإقامة حكم عسكري رزح اللبنانيون تحت وطأته ،
وقالهم الكثير من ظلمه واستبداده ، وفي صيف سنة ١٩١٥ أُجبرَ هذا السفاح ،
آخرَ متصرفٍ لجبل لبنان ، او هانس باشا ، على الامتقالة ، وبعده حلّ مجلس
الادارة ، وعيّنَ علي منيف التركي متصرفاً لجبل لبنان ، وألغى الامتيازات
الأجنبية في لبنان ، فتلاشت كل الأعمال الادارية ، وتوقفت كل الأعمال ، كما
انتهت مهمة مارون عبّود كرئيس بلدية غرزوز وملحقاتها فعاد الى مسقط
رأسه ، عين كفاع ، يعمل على تدبير أمره حيال ويلات تلك الحرب الضروس
التي كانت قاسية على لبنان عامة ، وعلى منطقة جبل لبنان خاصة ، والتي من
ضمنها عين كفاع ...

كانت ويلات الحرب هائلة ومفجعة على اللبنانيين ، إذ فرضَ الحلفاء
حصاراً على الساحل اللبناني ، فتعطلت التجارة ، وقطعت المساعدات

الخارجية ، وتوقفت معظم المصالح الاقتصادية ، وفرضت السخرة على شباب لبنان ورجاله . وما زاد في بلاء اللبنانيين اجتياح الجراد لأرضهم عام ١٩١٥ ، وتضييق السلطات المصطنعة عليهم ، فمن لم يموت من الظلم ، مات من المرض والجوع . وبكلمات ثلاث اختصر مارون عبود أثر الحرب على اللبنانيين ، إذ كتب الى أحد أقاربه في المهجر : « ظلم وجوع وموت » ...

أما الظلم فهو الاستبداد العثماني الذي أذاق اللبنانيين عامة ، وسكان الجبل خاصة ، الأمرين ، إذ ساق من لا شبهة عليه إلى السخرة ، وأخذ البعض بالظنون ، إذ منع عنهم المساعدات ، فلم يترك لهم حبة من الحنطة ولا ما يؤكل ، وجاء الجراد ، ففقدوا على ما تبقى ، إذ جرد الأخضر واليابس ممسأ ، أما الجوع فقليلون هم الذين استطاعوا النجاة من غضته ، حتى أن اللبنانيين أكلوا ما لا يؤكل ، حتى اللحم البشري ، !... .

لم يكف جمال باشا بذلك ، بل راح يتعقب المفكرين اللبنانيين والأدباء ، فيسجن منهم من يسجن وينفي من ينفي ، ثم عمد إلى شتى الكثيرين ممن يفخر الوطن بهم وبأمثالهم ، فكان شتمهم خسارة على الوطن لا تعوض ، فضلاً عما ارتكبه وأعوانه من فظائع ، حتى ان الهواء فسد منها ...

أما الموت فلم يعف إلا عن طويل العمر ، إذ من لم يموت مجرداً وراء المعسكر التركية بين بر الشام واسطنبول مات جوعاً ، ومن نجى من براثن الجوع جاء الهواء الأصفر يقتني أثره ، وإن لم يحده الهواء الأصفر أدركته الحمى الإسبانية وهكذا دواليك ... حتى قول الشاعر :

من لم يموت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والموت واحد !

وقد كان لوقوع هذه الحرب وطأة أليمة على مارون عبود لأنه عايشها ورأى بأم عينيه ويلاتها وآثرها ، فتركت مسؤوليات كثيرة على عاتقه ، وفتحت عينيه على

ظلم الانسان للإنسان ؛ ففي كتاباته نجد ومضة موجهة وذكرى أليمة لتلك الحرب القاسية . وهو ان تكلم عنها فيختصر أكثر ما يمكنه الاختصار لكي لا يستعيد في ذهنه صور المآسي التي خلفتها . فيقول بإيجازه المعهود :

« عم الجوع الأقليم المسيحي في لبنان (جبل لبنان) فأكل الناس ما لا يؤكل ولا اسمي ما أكلوه لثلا يتقزز القاريء . ما عفوا عن شيء حتى الجيف وما في الفرت من حبات شعير غير مهضومة . لم تعطهم الدولة العلية بل صادرت كل شيء عندهم إلا الحبوب لأنها ليست عندهم ... صادرت البقر وصادرت الخيل والبغال والحير والزيت واللبس وبكلمة عامة أخذت ما أبقاه الجراد في تلك الحرب^(١) ... »

ويقول في موقع آخر :

« كانت الحرب التي مضت حرباً مفترسة ، غرزت أنيابها في القرية اللبنانية ، فأثخنها بالجراح ، فهاتيك البيوت المنهدمة افواه من جهاد ، تشهد أن البشر أشد فتكاً من اخوانهم في اللحم والعظم^(٢) ... »

تعطلت جميع الأعمال في هذا الجو الذي خلا من كل شيء إلا من الموت ، فبدأ ، مارون عبود العمل من أجل الحياة ، ولقمة العيش ، التي عزت آنذاك ، في الحقل يزرع الأرض ليؤمن قوت والديه واخواته وبعض انسابه الذين هاجر ذووم ، ولم يتمكنوا من إرسال المال اليهم . فكفلهم في غياب أهلهم ، بدافع العطف والحنان ، وهكذا وقع على عاتق مارون عبود عبء ثقيل ، لذلك راح يعمل بالزراعة لتأمين الحاجات الضرورية لهذه الأسرة الكبيرة .

فاهتم بتطوير الزراعة لزيادة الانتاج ، فجلب بعض الكتب التي تعلم الزراعة

(١) فارس آغا ص ٢٧٣ .

(٢) وجوه وحكايات ص ١٦٢ .

الحديثة من أوروبا وترجمها إلى العربية وطبق عمله على أساس علمي ، ولا تزال
المخطوطة محفوظة في معرضه . لكن العمل الزراعي في الأراضي الجبلية
لا يكفي ، وأمام الجماعة الرهيبية التي عشت بآنيائها معظم السكان ، لم يقف
مكتوف اليدين ، بل عمل بتجارة بعض المواد الغذائية ، منتقلا بين قرى جبل
لبنان ومدن الساحل كجيبيل ، وبيروت ، تاجر بالخمور التي كانت يستقطنها
ويخمرها بنفسه ، وقد برع في تقطيرها وتخميرها ، فكانت إلى جانب المنتجات
الزراعية مصدر رزق يدفع به شبح الجوع عن أهل وأقربائه . وفي رسالة
موجهة إلى مارون عبود في ٢٩ تشرين الأول ، نستدل انه كان يولي تصنيع
الخمور أهمية كبرى ، كما ان موسم الكحول كان من أحد المواسم التي يهتم بها :

رفعتو مارون بك عبود المحترم

عين كفاع

السلام عليكم رغم مروركم على طريق جيبيل المسارة قرب كوئنا وعدم
منازلتكم اعارتنا ولو التفاتة من نظركم الكريم أثناء هذه الأشواط صموداً
وهبوطاً في ميادين هذه الأيام الغير المنتظمة على ان مزيد الشوق دعا لكثرة
الاستفسار عن غالي مزاجكم من الشارد والوارد حتى فهمت اليوم من الحاجة
حنا الخوري بأن موسم الكحول أخذ بمعظم أوقاتكم فوالله لم تخرجوا عن
دائرة الأشغال بالروحيات ومن الأسعار التي حددتموها يظهر جلياً بأنكم لم تقصدوا
الأرباح بل لذة بالموضوع وتعميماً للفائدة فحتى لا نغرم من ثمرة هذا الاجتهاد
تقبنا في كل المحلات لأخذ قسم من هذه المادة ولسوء الحظ لم نجد منها قطرة
لكثرة الطلب عليها فرجعت الى ابن يحدتها وأصل منبعها فتضاعف أرباحنا
وتزداد فوائدها مثل أخذ المادة بقيمة اكلافها من منبعها بدون دنس لأن مناولتها
رأساً أولى من الواسطة فالسلام على شجرة بوزة - ولما كانت تحتوي على
نقثات - الأمتاذ كان يلد لكل احد معاقرتها وغمز نهودها فهل لنا أن نطل

النفس لعهد قريب بذق ١٠ أرطال مع مخصوص يعرف ثمنه لننقده اياه حجر
رمان ، أو شكر وامتان اقدم خصوصي

عمشيت ، ٢٩ تشرين أول ١٩١٧

الداعي اسعد لحد

رغبتو بك كثر

السلم عليكم ربح مودكم مع طريفة جيل المارة قريب كوننا وعدم حنايتكم معارتنا ولولنا تامة من زلاكم الكريم اننا
هذه الشروط صغورا وهبوطا في ميازين هذه الارباع الفد المتسلة على ان مزيد التوقد من كذبة الوستف عن غالي مذبحكم
من الشاير والوارده من قسمة العجم من تخوم حان الخرب بان موتم الوبككون اخذ بمعلم ادقائكم فومحذاتكم لم تخوموا من
دايرة الوستفك بالروحية ومن الاستدال التي حدتها ظهر حينا بانكم لم تقصروا الارباع بل لزة بالوضع وبها الفائرة
فتمن لوخرم من ثمة هذه الاجتراد فقبنا في كل المودد لوخذ قسمة من هذه المادة ولستوا يوظفتم نجدتها قطرة لكثرة
الطلب عليها فرجعنا الى ابن بجزء واحد منبورا فتضايف ارباعنا وتذاد فوائدا مثل اخذ المادة بسمية الكلاوي
من منبورا بدون دس لون حناوتها رأنا او لا من الواكتم فالتدوم على سحنة بوزة - ولا كانت تخموي على
فتنا - او يميز بان يخذ لكل احد معاقرزا وخمزة هو الذي لا يزل ان نغلق النفس لعهد قريب بذق ١٠
مع مودكم يعرف ثمنه لننقده اياه حجر رمان او شكر وامتان اقدم

اسعد لحد
خود

١٩١٧
١٩

دعواتي

وخلال هذه المحنة القاسية ظل مارون عبود جادا في العمل ، ولم يصله
درهم واحد من اقربائه المهاجرين الذين تركوا عيالهم بدون معيل فرعاهم
بكل اخلاص .

وقد اضطر الى بيع مكتبته الفنية بالكتب والمصادر المختلفة أثناء الحرب
ليوفر بثمنها العيش الكريم لمن يعول .

وهناك مجموعة رسائل توقفنا على جانب من همومه ومشاكله في تلك الفترة .
ففي إحدى هذه الرسائل ، يرد مارون عبود على لوم أحمد أقاربه في المهجر
حيث يتضح لنا بعض اهتماماته ومدى المسؤولية الملقاة على عاتقه :

(يا ابن عمي

ألم عاوضيك وأقبلك قبلات الاخاء وأسأل خاطر والبتك العزيزة وأطلب
توفيقكم دائماً . وصل تحريرك المؤرخ في ٢٨ كانون الأول في ٣ الجاري ، ووصل
قبله تحريرك المؤرخ ٢٢ كانون الأول وأجبتك عليه مطولاً ، وأنا على ثقة من انك
لم تكتب لي إلا بعد وصول تحريري بيدك ، فلو كنت عازماً على الكتابة
ما كنت نسيت بل كنت فقت قبل ذلك الوقت ، فعنا وعبد الأحد وخدم
الذين كتبوا لي ولأقاربهم هنا عند فتوح البوستة .

قلت ان تحاريري الأربعة وصلوا ليدكم مع اني كاتب تحارير غيرها ، فيظهر
انها لم تصل بعد ، مع اني أرسلتها بالبريد مع خادم اللو كندة لأنني مرضت في
بيروت بالحى الاسبانيولية ولم أتمكن من الذهاب الى البوستة بنفسى ، وبقيت
في بيروت ثلاثة أسابيع وشفيت والحمد لله .

تلومني على اختصاري . فللظروف احكام ، لم تفك على تصيرك ، فأنا
غير مقصر بشيء فمن أعال عاتلة بأسرها مدة الحرب لا تكون مكافاته هذا
التحرير الناشف منك .

تقول لي : انك دارس العلوم ولو أردت أن تنسخ توراة بكاملها لا تكلفك
خمس دقائق . نعم ان الكتابة هينة اذا لم يكن الدور على ولم يكن يوجد
ظروف تمنعني عن كتابة كل شيء . أما ما جرى في لبنان فمحصور في ثلاث
كلمات : ظلم وجوع وموت .

وتقول أيضاً انك متكدر من تسكير الطرقات وقطع التعارير ، فهذا
كدرنا أكثر لأنه لو بقيت الطرقات مفتوحة كنتم عاونتونا في حملنا الثقل
مدة الحرب .

أما قولك غير يا مارون كل أطباعك ، فانا كذا خلقت حراً . أما أنت
فلا تفتح أذنيك كثيراً ، وسلم أمرك إلى رب الورى تسلّم ، واعلم انني لا أحميد
عن جادة الحق والصدق واقطع لساني واكسر قلبي ان نطق أو كتب غير الحق .
قلت ان في أقرب وقت تصلي الدرام متواصلة تلهرافياً ، ولحد الآن لم ترسلوا
لا خطياً ولا تلهرافياً .

وتقول أيضاً ان كل أولاد قريتنا مستعدون لإرسال الدرام تحت يدي . فهذا
لا يعني فإن أرسلوا تحت يدي قبضتها وسلتها لأهلهم خدمة لهم ولا منفعة لي
منها لأنني لا أريد أن أتفع من مال الناس .

أما قولك لي : (لا لزوم أن أوصيك في اخواتي والذي يكن مثلك لا يلزم
له توصية بمن له) . ففي هذه العبارة صدقت . فمن أوصاني بهم بغيايكم .

تقول ان سائين عاتب عليّ أيضاً ، فما سبب هذا العتب يا ترى : يقول انني
لم أذكر ولده ، فهذا غير ممكن . أما طلبك كي تقف على أحوال أقاربك فهذا
بعده وقد كتبت لك وتناصين وللجميع عن كل شيء . وكان يجب أن تصبر حتى
تصل التعارير التالية الواضحة .

عتبت عليّ وعتبت عليك ، فما مضى قد مضى ، اخوتك بخير وابن عمك
طنوس أيضاً . والدي وأخي وأختي يهدونك السلام .

(مارون عبود عام ١٩١٨ للفنان انجيل انجليني)

هذا ما كان يشغل مارون عبود مدة الحرب العالمية الأولى التي قضاها في عين كفاح يعمل جاهداً ، ليعيل أسرته ، وليعذب على بعض المحتاجين من أقربائه الاذنين الذين عضتهم الجماعة بأنيابها . ولم يكن دوره هذا مقصوراً على ايواء المشردين وإطعام الجائع فحسب ، انما تعداه إلى الكثير من المواقف الإنسانية التي كان فيها نعم الخلف لجدّه الخوري حنا عبود ، فإن فاته أن يرث عنه رتبة الكهنوت فلم يفته أن يخلفه في الاهتمام بالقریب وفي السهر على رعاية أمور الناس من حوله ، وربما شجع مارون عبود على القيام بهذا الدور ، ما كان قد لمسه من قيام جدّه الخوري به . وليست حادثة الاونباشي فارس انجا ، ووساطة جدّه الخوري بصيعة عن الأذهان ... فكان دأب مارون أن يصلح ذات البين بين المتخاصمين ، وأن يحول دون تصدع الوئام والمحبة بين أبناء قريته وعارفيه .

خاصة وكان قد عينه البطرك الياس الحويك وصياً على بعض أقاربه : الذين باتوا بلا مميل .

وتحضرني في هذا المقام ، الكثير من الحوادث التي رواها لي كثيرون ، والتي تؤيد ما كشفتها لنا الرسالة من مواقف إنسانية .

وهكذا عزت لقمة العيش ، فكان لا يحدها إلا من يركض وراءها ويسعى لها ، وكيف يمكن لإنسان أن يكتب ويفكر . فترك مارون عبود القلم ولم يستخدمه إلا في مراسلاته التي اضطر في كثير منها إلى صياغتها بالعامية لكي لا يصعب فهمها على المهاجرين ممن لم يتصلحوا من الفصحى .

ففي هذه الأجواء المشحونة بالأسى والجوع ، حتم على الإنسان أن يسعى ليطرد عنه أشباح الموت . وكان هناك محصوراً في تأمين لقمة العيش ، فليس غريباً إذن أن تكون سنوات الحرب فترة قحط في إنتاج مارون عبود الأدبي ، فكيف نطالب من عاش تلك المأساة أن يتخلو لقله والجوع والأوبئة تهدده .

لم يلجأ إلى قله ، يومذاك ، إلا ليخط رسالة إلى قريب مهاجر . ولا نستطيع أن نصنف رسائله تحت باب الأدب الترسلي لأنه كان يضطر أن يكتبها بالعامية لكي لا يصعب على المهاجرين فهمها .

لذلك ائوت الا أشهرها على كثرتها في حوزتي وقد حزت عليها من حفيد انطون .

بعد الحرب العالمية الأولى

(١٩١٩ - ١٩٢١)

ما كاد فجر عام ١٩١٩ أن يتنفس ، حتى تنفس اللبنانيون الصعداء ، إذ فك الحصار عنهم ، بانتهاء الحرب ، وفتحت (البوسطة) كما جاء في رسالة مارون عبود ، وهذا خير دليل على أن الحياة بدأت تعود الى لبنان بعد أن قاسى الأمرين من كوارث الحرب . وفي هذه المرحلة الانتقالية والتي تمتد بين ١٩١٩ - ١٩٢١ والتي ظل لبنان رازحاً تحت مخلفات الحرب وما تركته من ويلات اجتماعية واقتصادية ، وظل بعض من شبح الفقر نجيماً على معظم القرى اللبنانية ، وبقي العمل الزراعي الميدان الرحب والوحيد للبنانيين ، كان مارون عبود لا يزال يقيم في عين كفاع ، يزاول الأعمال التي زاولها خلال الحرب لإعالة أهله وأقاربه ، غير أن عبناً كبيراً زال عن كاهله عندما بدأت تروده المساعدات ، من أقاربه ، في المهجر .

وبعد عامين ، وكان مارون عبود انتهى من تأدية رسالته ، أخذ يفكر بحياته الخاصة فتزوج عام ١٩٢١ من إحدى قريباته ، نظيرة فارس عبود ، وكان في الخامسة والثلاثين من عمره . وإذا كانت ظروف الحرب قد أخرت هذا الزواج إلى سن الاستقرار ، فما هو الوجه الآخر من حياته العاطفية ؟

لا بد انه كان لمارون عبود كما كان لكل شاب مغامرات ، قبل ذلك ، ولا بد ان قلبه تفتح على الحب منذ صباه . ولكن ذلك كان من نوع الطفرات العاطفية

التي تعصف برأس أي فق في مثل سنة آنذاك . ففي مدرسة مار يوحنا مارون يروي لنا بأنه عوقب لأجل قصيدة غزلية هي (قتيل الغرام) .

يخبرنا ان هذه القصيدة هي قصيدة مشطرة عن قصيدة كانت يرويها أبناء صفه ومن أبياتها :

شبتك عشري على رأسي وقلت له يا راهب الدير هل مرت بك الابل
« فشطرت تلك القصيدة ثم ذيلتها ببضعة أبيات فصارت قصة سميتها
قتيل الغرام » .

ونستدل من هذه الحادثة ان هذا الشعر لم يكن صادراً إلا عن تجربة شعرية .
لم يكن وراء القصيدة دافع حب أو غرام بقدر ما كان الدافع قرزمة الشعر على حد تعبيره . وان يكن الدافع الأساسي كتابة الشعر كما كان يفهمه مارون عبود آنذاك فقد يكون التعبير صادراً عن إحساس بمفهوم للحب دون تخصيص .
ولذلك لا أعتقد أن وراء القصيدة امرأة معينة ، بل قد تكون ، وراءها ،
حواء بمفهومها العام وقد لا تكون ، انما كانت هناك قصيدة في معظمها شعر
تقليدي على غرار شعر ذلك العصر .

وفي تجربة أخرى ، نرى ما خلفه مارون عبود ، من قصائد حباً ينمو
ليملأ الكون فتشارك الطبيعة فيه وباسم هيفاء المجهولة يكتب مارون عبود
قصيدة « هلوليا » وان تكن القصيدة لم تحز على رضا ، كناقد قيا بعد ، فاني
اثبت بعضاً من أبياتها للتدليل على ما ذكرته ، علماً ان هذه القصيدة نظمت في
مرحلة كانت فيها مارون عبود لا يزال طالباً في مدرسة الحكمة ، ونلاحظ ان
حبه في هذه المرحلة هو حب ممزوج بنقطة الطبيعة وبراءتها ملون بمسحة كنسية :

الفضا هيكل الغرام المقدس فيه ظل متيم يتنفس
ان زياح حنبا سرمدى تتغنى طيور هلوليا

* * *

انت شمسي توهجي وأنبيري ظلمات عمياء عاقت مسيري
انظري فالطيور ترنو الينا شاديات لوجدنا هلوليا

* * *

هللوا في الحب كانت نشيدي يوم كانت هيفاء بيت قصيدي
فهواها أهـاج في طموحا انطق الكون يومه هللوا

غير اننا نعثر في ديوانه على قصيدة ودّع بها مقعده الدرامي يأتي في نهايتها
إلى إشارة تنفي عنه ظنون العشق ، كغيره من الشباب ، أو تعلق فؤاده بحب
سلى أو سواها :

« ولا تقولي عجيب ما تنزل بي من قبله أو بات مفتونا
فإن غيري بسلى عنك منشغل وما لسلى نصيب عند مارونا »

وإذا كان هذا طابع الشعر الغرامي في أيام المدرسة ، فهناك قصائد متعددة
نظمها مارون عبود في شبابه متأثراً بوحى حواء . فهو انطلاقاً من تأثير هذا
الوحي يعتقد أن الشعر زمنياً هو زمن الشباب . ليس لأنه عمر الحب بامتياز
ولكن لأن في للشباب الحيوية والعاطفة المتأججة والمشاعر الثائرة . ففي شعره
الذي نظمه في فترة الشباب مواضيع عديدة وراءها دوافع عديدة ، كالثورة
الاجتماعية والإصلاح ومحاربة الطائفية والدعوة الى التحرر وفيه ، الى جانب
ذلك ، شعر من وحي المرأة .

ففي حديث أجراه مع مارون عبود الدكتور جميل جبر (وهو حديث
مسجل محفوظ في متحف مارون عبود الصوتي) يجيب على سؤال : ما هو أثر
المرأة في حياتك بقوله :

(يظن القارئ ، لأول وهلة ، ان المرأة لم يكن لها أي تأثير في حياتي ،

لأنها لا أثر لها في كني . والواقع اني نظمت من وحي حواء شعراً غزلياً وافراً
لكني لم ولن أنشره ، على كل ، أنا حريص على هذه القصائد .
وقد أوصى ابنه نظير بالحرص عليها^(١) .

كما قد يكون لمارون عبود في شبابه بعض المغامرات ، التي لم يذكرها في
ذكرياته السالفة ، والتي يقدم عليها الشباب من باب التسلية ، فهو يخبرنا عن
احدى هذه المغامرات مع احدى الجميلات النمساويات التي سحر جمالها بيروت
فأقبل على لياليها كل الموسرين .

ولكن جدية مارون عبود في الحياة ، ونظرته إلى المرأة خلصته من طيب
الحب ، فتمحور الحب فيه واتسع ليشمل الحياة والإنسان والطبيعة
بكل ما فيها .

عندما اختار شريكة لحياقه ، لا أظن أن اختياره لهذه الشريكة كان نابهاً
إلا من مفهومه الخاص ونظرته الخاصة إلى المرأة ، لأن المرأة في مفهومه هي :
مت البيت المدبرة ، هي من تهتم بزوجها وبنيتها وتربي أولادها تربية صالحة .
هي المرأة البسيطة البعيدة عن التصنع . ولقد انطبع هذا المفهوم في ذهنه كلما
تكلم عن المرأة فأسمعه في احدى رسائله الى هيفاء نصار يقول :

(لا يا سيدتي ، لا أريد المرأة منبوثة الشعر ، منفوشته كالجنية . ولا
أريدها قدرة تفتة . تنبعث رائحة المطبخ وغيره من ثيابها . ولكني لا أريد
وجهها كقناع المرفع والبربارة ولا ثيابها مسرحية . اني أكره أعظم كره تلك
الشفاه المطلية بالأحمر القاني وذلك الوجه المطين بالبودرة . أريدها حسنة
الهندام بلا زركشة . نظيفة الوجه بلا تبرج أما العطر فخيره ما كان (قطبة
مخفية) وفي الجملة التصنع مكروه .

(١) مارون عبود والصحافة ص ٧٩ .



(نظيرة عقيلة مارون عبود)

ان المليحة من كائن محاسنها من صنعة الله لا من صنعة البشر،^(١)

أوليس ، فيما أوردناه ، خير دليل على تعلق مارون عبود بالبساطة التي هي مرادف للجمال والطهر والبراءة والبعد عن التصنع ؟

ونستطيع بكل سهولة ، أن نربط بين مفهومه الجمالي في الأدب ومفهومه الجمالي في المرأة . إذ نراها عنده قائمين على البساطة وال عفوية والطبيعة . وهذا ما يجعلنا نميل الى الاستنتاج : ان أسلوب مارون عبود الفني هو مارون عبود نفسه . وأن أدبه لم يكن سوى حياته التي عاشها منقولة الى القارىء بقالب الخلق الفني .

وبعد مرور عام على زواجه رزق مارون عبود بطفلة دعيت كاترين وذلك عام ١٩٢٢ وبعدها بستين رزق بابنه البكر أسماء نديم وعام ١٩٢٦ رزق بابنه الثاني الذي أطلق عليه اسم محمد .

وفي خضم التأويلات للظروف التي رافقت هذه التسمية وما أحدثته من ردات فعل سلبية وإيجابية ، تهاقت الرسائل على مارون عبود ، منها ما يحمل تهنئة واعتزازاً بهذه الخطوة الجريئة ، ومنها ما يحمل في طياته أسئلة متعددة ، حول الدوافع التي دعت مارون عبود لتسمية ابنه بهذا الاسم . وكانت مارون عبود قد حدس بأن خطوته هذه قد تثير مثل تلك التساؤلات وأكثر ، فنظم قصيدة يشرح بها الأمر ويخاطب بها ابنه الوليد ، مبرراً للآخرين بواسطة سبب التسمية هذه :

عشت يا ابني ، عشت يا خير صبي ولدته أمه في رجب
فهنئنا واسمه محمد أيها التاريخ لا تستغرب

(١) رسائل مارون عبود ص ٦٥ .

خفف الدهشة واخشع ان رأيت
أمه ما وضعتك مسلما
والنبي القرشي المصطفى
ابن مارون سميا للنبي
أو مسيحيا ولكن عربي
آية الشرق وفخر العرب

* * *

يا ربوع الشرق اصفي واسمعي
زرع الجهل خلافا بيننا
فالافندي مسلم في عرفنا
شغلوا المشرق في أديانه
واقهمي درسا عزيزا المطلب
فافترقنا باسمنا واللقب
والمسيحي خواجه قاعجي
فعدا عبدا لأهل المغرب

* * *

يا بني اعتر باسم خالد
جاء ما لم يات من قبله
فأنا خصم التقاليد التي
بخرافاتهم استهزىء وقل :
وعدا يا ولدي ، حين ترى
وتذكر ، ان تعش ، اوفى اب
عيسوي في خوالي الحقب
ألقت الشرق بشر الحرب
مكذا قد كانت من قبلي أبي
أثري متبعما تفخر بي

* * *

بك قد خالفت يا ابني ملتي
عصر حربية شعب ناهض
حبذا اليوم الذي يجمعنا
ونحبي علما يخفق فوق
راجيا مطلع عصر ذهبي
واتحاد لبقايا يعرب
من ضفاف النيل حتى يثرب
منارات الورى والقبيب

* * *

لبيته يدرك ما صادفته
لو درى في المهد أعمال الآلى
لأبى العيش وشاء الموت في
عندما سميت من نصب
حركتهم كهرباء الغضب
أمة عن جدّها في لعب

* * *

كم قد قيل ما أكفره
ان يشنع بآينه لا عجب
لا تصدق قولهم يا ولدي
ان حب الناس ديني وحياتي
وكتابي العدل ما بين الورى
فاتبع يا ابني أبا أبغضه
فهم آفة هذا الشرق مذ
جعلوا الأديان معراج العلى
شردوا أحمد عن مضجعه
ودهوا عيسى لما علمه
فإنه ما مت يا ابني في غد
وعلى لحدي لا تندب وقل
عاش حراً عربياً صادقاً
سوف يصلى النار ذات اللهب
فهو غير كافر لا مذهبي
ان فيما قيل كل الكذب
ة بلادي باتحاد اربي
في بلاد هي أم الكتب
وجفاه كل ذي دين غبي
حكوه بضروب الرعب
ومشوا في زهوم في موكب
فسرى ليلته في كرب
وهو لولا كيدهم لم يصلب
فاتبع خطوي تقز بالارب
اية تزرى بأغلى الخطب
وطواه اللحد حراً عربي^(١)

وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت الرسائل ترد منها ما يشجع ومنها ما يعير
عن الاستغراب ، ومن الرسائل المشجعة رسالة من أمين الريحاني هذا نصها :

(١) زوابع ص ٣٥ .

أخي مارون عبود ،

أصافحك بيدي الحب والإعجاب ، وأهنئك بصبيك الجديد وأهنئه باسمه
الأجد ، وبالقصيدة التي نظمها له ، ولهذا الوطن الغني بالأديان ، الفقير
بين الأوطان .

أحسنت يا مارون ، أحسنت ، وخير الأبناء أنت .

وحبذا في المسلمين ، وفي الدروز ، وفي اليهود ، من يقتدون بك فيسمون
أبنائهم بأسماء أبنائنا القديسين ، ونسمي أبنائنا بأسماء أبنائهم الأولياء ، فينشأ
في هذه البلاد جيل جديد من الاخوان - الاخوان الحقيقيين الذين لا يعرفون
من أسمائهم انهم لأحمد أو لموسى أو للمسيح ، بل يعرفون خارج معابدهم انهم
مسيحيون أو مسلمون أو موسويون .

ان المستقبل لهذا الجيل من الاخوان ، وفي مقدمتهم محمد بن مارون عبود
البناني ، حرسه الله^(١) .

الفريكة ، لبنان ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٦ .

أخوك أمين الريحاني ،

ومنها رسالة أخرى من لبيب الرياشي يسأل فيها مارون عبود عن الدوافع
التي حدثت به لتسمية ابنه بهذا الاسم فكان جواب مارون عبود واضحاً :

أيها الأخ الحبيب لبيب الرياشي ،

أقبلك مشتاقاً إليك . وبعد ، فأسميت ابني محمداً ، لأن لسميه ، النبي العربي
مقاماً سامياً في نفسي وأحبه حباً جماً ، وأعجب جداً بشخصيته الفذة ، ولأنني

(١) رسائل مارون عبود ص ٢٥ .

كرهت ، حتى الاشتزاز ، أن تكون أسماؤنا مثل (تذاكرنا) نعم كرهت أن يكون اسم ابني طائفاً كإسمي ، فرأيت أن أمزج الاثنين عملاً برأي الأختل التغلبي ... وأنا مطمئن كل الاطمئنان الى هذه الأسماء ، وفي اسمه - جواباً على سؤالك - كل التأثير عليه وعلى اخوته ، وعلى البيت ، وعلى الضيعة ، وعلى المحيط .

لم أعمد أحداً يا أخي ، من أولادي ، ولكن والذي عتدم جملة في غيابي ، وهذا الوالد الطيب المتساهل ، كان أول المؤمنين برسالتني - ان صح التعبير - وهو أول من سايرني ، فتبعه الناس .

تسأل ماذا قال الكاهن : الكاهن ، كالعادة المألوفة عندنا ، اسماء (بالكتاب) ... نسيت والله ، ذكر هذا مرة أمامي وأحى أثره . وقد كان نصيب أخويه ، نديم ونظير ، كنصيبه من تغيير الاسم ، لأنني كما لاحظت ، لم اسم أحداً على اسم الآباء القديسين ، رزقك ورزقني الله شفاعتهم آمين ...

أما (التثبيت) وهذا فاتك السؤال عنه ، وهو سر من أسرار أمي وأمك الكنيسة المقدسة ، فلا يقوم به إلا أسقف . فالطران الياس شديد - أحببت جداً هذا المطران وأعظمت مسيحيته وإنسانيته - (ثبته) باسم محمد مارون - في غيابي - على سمع الناس وبصرهم في كنيسة مار روحانا عين كفاع . لا تظن أنني أحببته لأنه جاراني ، لا وحياتك يا أخي ، ولا أشك أبداً ، انك ، إذا عرفت ، لتعبه مثلي . فالحق أقول لك ، لو عرفه النابغة الذبياني لم يقل (أي الرجال المهذب) انه لا يكلفك شيئاً من تقاليد الكتبة والفريسيين ... خارج هيكله ، ولا أشك أنه يستقبل ربه بقلب نقي ، ويبسط اليه بدأ نظيفة ...

القصيدة يا أخي طبعت في أقطار عديدة . وها أنا أبعث اليك بنسختين ليس لدي غيرهما ، واحدة بيروتية والأخرى شامية .



(مارون عبود عام ١٩٢٦ بريشة الفنان اشيل انجليني)

افعل ما بدا لك وكن مخلصاً للفن ، وإياك أن تنصر أخاك الفن للفن ،
والصدائفة في حرز حريز يا لبيب . والسلام عليك وعلى أهلِكَ من أخيك
العتيق (١) .

عاليه ١٩٣٥/٥/٢٢ ،

أما بعد ادني أوردناه فلنا تعليل ورأي حول هذه التسمية لعل أحداً يعتقد
بأنه قد تكون هناك أسباب ، أو كما يتوهم بعضهم بأن مارون عبود لم يقدم على
ما أقدم عليه إلا نكايه وتحدياً فما من سبب خفي ، وليس ثمة من نكايه إلا
بالطائفين ، كما رد مارون عبود على سؤال لإبراهيم سلامة فهو يقول : « سميت
ابني محمداً نكايه بالطائفين ، لأبرهن لهم أن المسلم والمسيحي يجب أن يعيشا تحت
سقف واحد ، وكالأبناء ، فأنا الوالد مارون وابني محمد ، وكم تمنيت أن يغار مني
الكثيرون ، فتزول الطائفية نهائياً من القلوب » (٢) .

وهكذا كانت جرأة مارون عبود وصراحته تأبيان إلا قول الحقيقة ، وهو
من وقف بجانب الحق وناضل بكل جرأة ، يوم كانت الأزمات تلاحقه
بالدبابيس والعصي في شوارع بيروت وغيرها .

ولذا أعتبر أن تسمية محمد كانت بدافع اقران القول بالفعل ، لا سيما وأنه
منذ نعومة أظفاره آمن أن الحياة إيمان وعمل فكان لا بد لمن حارب الطائفية
أكثر من نصف قرن أن يقرن القول بالفعل ، وكأنه كان مشفقاً على لبنان
واللبنانيين مما تحبته لهم الأيام ، فكان أول من تنبه للواقع المرير الذي وصلنا
إليه اليوم ، فهيناً لك يا والدي ، انك قضيت ولم تشهد عيناك ما نشهد ، ولا
تأذناك ما نسمع ...

وكما يرد عبود يأمل أن تعم هذه المبادرة وينتشر مضمونها ، ولكن
لم يقدم عليها إلا القليل ممن آمنوا بمجدواها ، يقول :

(١) وسائل مارون عبود ص ٣١ .

(٢) مارون عبود والصحافة ص ٩٦ .

(أسمى ابني محمداً فجاراني في ذلك مهاجر كريم - والمهاجرون سباهون
الى كل كريمة - هو - السيد محمد الحلبي فأسمى ابنه مارون ، فحجر بخاطري ، .
وهكذا كانت تسمية محمد حدثاً كان به مارون عبود السباق إلى نحو الطائفية
بالأسماء فلا نعود نميز « من لموسى ومن لمحمد ومن للمسيح » كما جاء في رسالة
الريحاني . ولم تكن هذه أول بادرة من مارون عبود لمحاربة الطائفية وهو الذي
كان قد نادى قبل ذلك بكثير بعدم التفرقة بين الأديان والدعوة إلى دين مبني
على المحبة والتآخي فبعد صرخاته المتعددة شعراً ونثراً في (الروضة والنصير)
وفي (الحكمة) فيما بعد وفي ديوانه زواجع وبعد قصيدته :

يا بابل الأيمان يا وطني يا مسرح الأحقاد والفتن
يعلم مارون عبود قانون ايمانه قائلاً :

لي في الحياة من الآراء أغربها وفي الغرابة لذات لوجداني
فالشرق أجمعه قد صار لي وطناً أحيا به وجميع الناس اخواني
وديني الحب والإخلاص مصحفه وكاهني فكري والصدق ايماني

وفي عام ١٩٢٩ رزق مارون عبود ابنه الثالث نظير ولكن امرأته لاقت
حتفها بعد الولادة بسبعة أيام ، وقد تركت هذه الحادثة أثراً كبيراً في نفس
مارون عبود، لا سيما وأنه كان يدير الكلية الوطنية في عاليه عندما وصله النبأ...
كما تركت على عاتقه مسؤولية كبيرة ، مسؤولية الاعتناء بأربعة أطفال إلى
جانب عمله في التدريس دعى المولود الجديد باسم والدته ، ونستدل من هذه
التسمية انه قصد تعزية وذكرى . كانت المفجعة أليمة ، فقد ظل مارون عبود
ينوء تحت ثقلها لسنوات ، إذ انه إلى جانب هموم التعليم ، كان عليه أن يرعى
بنيه فيكون لهم الأب والأم معاً .

كان لموت زوجته أثر كبير في حياته ، من الناحية العائلية وهمومها ومن
ناحية التأليف والابداع فأول ما يظهر لنا أن وقع المصيبة كان أليماً عليه إذ انه

في العام نفسه وفي عيد الشجرة ، وقف ليلاقي قصيدة عنوانها رمز الخلود ، و
نهايتها نرى مارون يعترف بوقع المصيبة وبما تركه موت زوجته من لوعة لجمه
فيض عطائه ، وكبلت أجنحة خياله ، فكانت السنوات الخمس التي تلت تلك
الفاجعة سنوات قحط من حيث الإنتاج الأدبي . حيث يقول في ختـ
قصيدته تلك :

ان اللسان مقصر عما انطوى في خاطري واستعصت الأقلامُ
فاعفو اذا قصرت آخر موقف ان المصائب للرجال لجامُ

ولا يمكننا أن ننكر أثر الموت يلم بأحبة مارون عبود فيفجعه بزوجه
بأبيه بعد أن كان فجمه بأمه وشقيقه وشقيقته . كما لا يمكننا الزعم أن المود
هذا أحدث منعطفاً في منحى مارون عبود الفكري والفلسفي ، كل ما يمكننا
اليوم أن نلمسه فيما تركه مارون عبود من آثار أدبية ، تنفست خلالها الآلام التي
بعثها الموت في صدره ، ان مارون عبود لم ينته الى ازدياد الحياة والكفر بقيمها
كما لم ينته إلى زلزلة الإيمان بمطلقات سابقة ألفها ، انما نظر متأملاً ومتألماً وانتهى
إلى القول (الموت أحلام من الذهب) وإلى ترسيخ فلسفته الواقعية التي تدور
حول محور واحد (الحياة عمل) .

ولعل هذه التأملات الحزينة التي احتوتها قصائد قالها بعد وفاة زوجته ، وم
تتمخض عنه من نظرات وخواطر هي التي ترجح ما أسلفت ، ومن يطال
(اللوعة الخرساء) وقصيدة أخرى قالها في رثاء صديق لم يبيح باسمه
يقرني على ذلك .

فقد قدم قصيدته « اللوعة الخرساء » بقوله .

(لا تحتاج هذه القصيدة إلى تعريف فهي في ثلاثة هم أعز الناس عندي أبي
وأمي وأم أولادي) وإن تكن هذه القصيدة نظمت عام ١٩٣٤ لا سيما وأن
كل أحزانه تحركت بعد موت والده في هذا العام بالذات . ففيها إلى جانب لوعة

الأديب المرة ، وحزنه على رفيقة حياقه ما يحلو لنا ما خلفه عراقك مارون عبود
للأقدار من اثر في نفسه .

أما الثانية فيقدم لها بهذه العبارة قلتها في (صديق لا يعينك أن تعرف من
هو) أما أنا فأثر بي موته جداً حتى نطقت بما نطقت :

قومي انظري الأطيوار كيف تألبت زمرا زمر
في هيكل الوادي الرهيب ، تقيم تسبحة السحر
خلع الأمير على بنات الأرض أثواب الزهر
فالكون في عرس الصباح ، وجمالك محزون مباح ،
قومي فقد جاء الربيع

ذكراك كالحي تعاودني ، ومثل العاصفة ،
مثل البراعم ليس توقظها الرعود القاصفة ،
وتحس هيمنة الربيع فتستفيق العاطفة
ان المحبة لا تموت ، وهي الفصيحة في السكوت
فكانها زهر الربيع

كم رنت في أذني فأرعد مهجتي وقع الخطى
متدافعا فوق البلاط كأنه مشي القطا
كم عن لي رف الصبايا الراجعات من الوطا
فظننتها بين النساء ، اواه من خدع المساء
ومن اذكار الربيع

يا من غدوت أبا وأما ، هذه سنن الحياه

من كان يحمل كل همك مات ، بل أمسى رفات ،
وبقيت وحدك لا تهم الثقاة
لا أستعير من الدجى ثوبا ، ولو مات الزمان
سيان في نظري خطى متنطس أو بهلوان
صور تمثلها الحياة ليستبد بها الكيان
مالي أخاف من العدم ، وهو البري من الألم
وعلام أنتظر الربيع

بين عاليه وعين كفاع

« كتب علي كل عام خطوتان ، بل رحلتان ، رحلة الصيف ورحلة الشتاء » .
هكذا يقول مارون عبود ، وكأنه بذلك يصف بقية حياته . فهو طيلة ٣٨ عاماً
كان يتنقل بين عاليه وعين كفاع حاملاً مكتبته كالمصاحب بن عباد كما يقول
مستعينا بدواب المكارين أو بغالهم . يقصد عاليه في مطلع الشتاء للإدارة
والتدريس ويعود منها صيفاً إلى عين كفاع لينهي ما يشر به من أعمال أدبية
ونقدية في جو قريته الذي اعتبره مهبط إلهام .

غير انه من الاجحاف أن نقصر نشاطات مارون عبود في هذا الجزء من
حياته على التدريس والتأليف وإن كنا شغلا القسم الأكبر منها . فهو ، قد دارت
حياته محابة ما يقارب الأربعين عاماً حول قطبي عمل . هما التدريس والتأليف ،
ولم يترك مارون عبود عن هذه الحقبة من عمره في مذكراته ما يدل على انشغاله
إلا بذينك القطبين . لذلك ، ساهم ، قدر المستطاع ، بالكشف عن اهتمامات
مارون عبود واتصالاته خلالها لعلها تلقي بعض الأضواء على سيرته .

مارون عبود مربّي الأجيال .

هكذا لقب ، وهكذا حمل هذا اللقب في محيطه عاليه وبين طلابه وبين
معارفه ، فمارون عبود الذي عمل في التدريس ثمانية وثلاثين سنة . في عاليه
فقط ، منها ٣٥ سنة في الجامعة الوطنية ومنها سنتين وبعض السنة في كلية عاليه

الجديدة، خرج تلامذة من مختلف الأقطار العربية ، يقول عنهم بأنه لو كان لديه مال بعددهم لكان يقتني الخيول كهزري فرعون ويسوح في أوزوبا كحبيب أبو شهلا .

في مطلع العام الدراسي ١٩٢٢-١٩٢٣ قصد مارون عبود الجامعة الوطنية-عاليه بعد اتفاق بينه وبين رئيسها الياس شبل الخوري . وهكذا عاد مارون عبود إلى التعليم بعد انقطاع دام أكثر من ثمانية أعوام توقفت فيها المدارس بسبب الحرب العالمية الأولى .

في الجامعة الوطنية أوكل إلى مارون عبود تدريس البيان العربي كما أوكل إليه تدريس الأدب العربي في الصفوف الثانوية . ولم يمض العام الأول حتى أصبح مارون عبود مديراً للدروس العربية في الجامعة الوطنية ونائب رئيسها بعد وفاة وديع غبريل الذي كان يشغل هذا المنصب . وكل ما نستطيع قوله في هذا المجال ان مارون عبود كان يعرف عبء الرسالة الملقاة على عاتقه . فكان المربي . وكان المدرس ، علم تلامذته أدب العرب بطريقة هي أعمق ما يكون بحثاً وألذ ما يكون أسلوباً .

زود تلامذته بسلاحين ضروريين للحياة : سلاح المعرفة وسلاح التوجيه ولعل مارون عبود المدرس ، هو أول من تنبه إلى أهمية التربية والتوجيه في المدرسة ، فأخذ يعمل بأصولها . وكانت له آراء تربوية يضاهي بها نظريات التربية الحديثة اليوم وربما استبق نظريات التربية الحديثة فكان ينير طلابه ويرشدهم . يعطهم على البحث الموضوعي ويرجع فيه كفة العقل في مجتمع يركض وراء عاطفته ووراء عصبياته . ولمارون عبود آراء في التربية لا يخلو كتاب من كتبه وفي آرائه هذه نقمة على المناهج وعلى الأساليب .

ولعله أول من لاحظ أن ما نزود به طلابنا هو سلاح فارغ ، فنعدّم للحياة وكانهم « يواريد فاضية » ، نعدّم للشهادات دون أن نربيهم ، كأننا الشهادة

هي الغاية . كل هذه الآراء تنبثق من نظرة مارون عبود الى الحياة ، فهو يعتبرها المدرسة الكبرى ولا يعتبر المدرسة وما تزود به الطالب من معارف إلا مفتاحاً لهذه الحياة . لم يقتصر دور مارون عبود في الجامعة الوطنية على إلقاء درسه أمام طلابه بل كان يتتبعهم فرداً فرداً يبحث مشاكلهم ويرجهم فيما يحتاجون اليه من توجيهات ، يفوص إلى أعماق نفوسهم ، وكأنه عالم بأن التربية يجب أن تكون قائمة على أسس نابعة من علم النفس .

وصل مارون عبود إلى عاليه ونزل في شقة هادئة قريبة من المدرسة تكاد تكون خالية من الأثاث سوى سريره ومكتبته وطاولة صغيرة وبضعة كراسي ، كما يقول أحد تلاميذه ومن هذه الغرفة كان مارون عبود يشرف على تربية الأجيال المتعاقبة وينميتها فهو كصنوه الجاحظ يعتقد أن المستقبل للشباب الطالع لأن يدورون حول أنفسهم كالشرنقة . ولعل في ذكريات تلامذته عنه ما يوضح صورة مارون عبود الموجّه والمدرس الذي لم يتخلف يوماً عن واجباته طيلة حياته في التعليم . يقول أحد تلامذته الأستاذ هاني باز (شريط مسجل في متحف مارون عبود الصوتي) :

« كنت عام ١٩٢٣ طالباً في الصف المنتهي بالجامعة الوطنية عندما أخبرنا صاحب المدرسة الأستاذ الياس شبل الخوري قائلاً : ان الأستاذ مارون عبود أت ليدرسكم الأدب العربي ، فكنا ننتظر قدومه بفارغ الصبر

وصل مارون عبود فوقفنا له إجلالاً ، وإذ نحن أمارجل مكتمل ودع الشباب واستقبل الكهولة ، ذي مهابة تدل عليه هيئته ، كأنه الطود ، نظراته قاسية معبرة عن قوة الشخصية مع ما فيها من خشونة ورجولة . . . ومنذ الأسبوع الأول حل في قلوب الطلاب والاساتذة وتبدلت النظرة الأولى فتبين لنا أن الهيئة القاسية تخفي تحتها الرقة والعطف والمحبة . وان تلك الشخصية عنوان النضال والتضحية فكان هم ، طلابه ، يعلمهم ويزودهم بالنصح والارشاد ، ويمدهم للمستقبل .

ويقول تلميذ آخر لمارون عبود وهو فؤاد الأطرش عن أستاذه في مقال نشرته مجلة المعارف في عددها ، تشرين الأول ١٩٦٢) تحت عنوان :

علمي مارون عبود أن أحبه ،

منذ اثني عشر عاماً عندما أمت لبنان طالباً ... في ذلك الوقت دخلت (الجامعة الوطنية) متمرداً على واقعي قائراً على مجتمعي ، حاملاً معي بذور ما تعلمته ، شأن كل طالب سوري . كنت أتحدى الفكر وأتهم ما طاب لي الاتهام ، كنت أعتقد أني منبع الوطنية وسواي عدو لهذا الوطن .

... رحمه الله لقد أحس بغروري هذا ، ودفعه إخلاصه للمهنة أن يستدعيني لأول مرة إلى غرفته . وأخذ يحادثني بأسلوبه الأدبي الرائع وبنسكاته الظريفة ، وبلغته التي هي السهل الممتنع . لقد كنت كالطبيب الذي يكشف الداء لأول نظرة . الحق أقول أنه لم يتركني إلا وقد أسرني أو كما قال لي فيما بعد : هذا ما كنت أتوقعه منك ، وما كنت أريد أكثر من ذلك .

لقد بدأ الرجل العظيم يهدم ما تقبلته من مفاهيم وأخذ يحرر فكري شيئاً فشيئاً من الافكار التي كنت أعتبرها بديهيات وكان كثيراً ما يقول لي ضاحكاً : (أنتم بني معروف تؤمنون بالعقل فلا تؤمن بسواه ، وينكفيكم فخراً المعري بعقله والمنتبي بنفسه وطموحه .

زادني الزمن تقرباً منه وحباً له فرتبت أوضاعي ، ونقلت من بنايات الجامعة الى جوار مسكنه حيث كانت المدرسة تؤجر غرفاً خاصة ، أردت أن أكون قريباً منه في بيته إذا صح التعبير كما كنت قريباً منه في المدرسة والصف .

.... كان يسكن في غرفة في بناية قرب المدرسة كان يعمل دائماً ويقرأ كثيراً . لم أره مرة واحدة جالساً بلا عمل أو تفكير . كانت ضجة الطلاب تزعجه وإحساسه يمنعه من إسكاتهم بعد الدوام . كان يؤمن بحقهم في



(مارون عبود عام ١٩٥٠ م للفنان اشيل انجليني)

التمتع بوقت فراغهم . و كان يعتبر ان من حق الأدب عليه أن يعمل . كان يحاول أن يوفق بين عمله الذي يحتاج إلى هدوء وبين صخب الطلاب بعد عشاء الدرس ، وكثيراً ما رأيتُه يغادر غرفته ، وعلى فمه كلام ، ويعود دون ابداء رأيه : عرفت ذلك بسرعة ، ففقت بحملة وساعدني الرفاق فهياًنا الجو المناسب له ، و امتنعنا عن النقاش والجدل ، ومنعنا الزوار من رفاقنا في بنائه . حاولنا أن نوفر له الراحة التي حرم منها : كنا نتناقش في أمره ضمن جدران غرفنا بصمت وهدوء ، ولست أعلم كيف تسرب الخبر اليه . . وفي يوم من أيام عاليه الجميلة عند غروب الشمس ، حيث كان يخرج قليلاً إلى شرفة البيت ويستسلم للسكينة ويتأمل بعمق في الطبيعة ، مررت بالقرب منه على رؤوس أصابعي فناداني ، رحمه الله ، وطلب مني بلهجته الآمرة المحببة كي أجلس ، فجلست . قال : وكأني أسمع صوته الآن (يا بني الهدوء المبالغ فيه كالضجة الصاخبة) والصمت ليس للأحياء . قلت ماذا تعني يا بك ؟ فأجاب بصوت عال : الأديب يا فؤاد مرهف السمع . أنتم تسمعون بأذانكم ونحن نسمع بقلوبنا . كانت كلماته معبرة ، ونظرتُه متشكرة . . . عندئذ فقط عرفت أن الأديب طفل كبير وأن للوجود سرّ جمال لا يعرفه إلا أمثال أديبنا الكبير ، رحمه الله ، كم كانت مخلصاً لعمله : الطلاب تعود اليه في أحلك ساعاتها ، والأساتذة تغادره موفورة الكرامة ، والأدب يسيل من قلمه رقراقاً عذباً . وجوده كان أعمق من وجودنا ، وحياته كانت أسمى من حياتنا . كانت حياته العملية ، ولا أعرف له سوى هذه الحياة ، امثولة حية لنا قائمة بذاتها ، سريع البديهة ، خفيف الظل ، وكان مصدر فخرنا واعتزازنا ، وكنا إذا توفقنا برمية من غير رام ، بنكتة طريفة في مجال ما ، نعتز بقولنا : نحن تلامذة مارون عبود .

لقد علمنا بأسلوبه ، بطريقة حديثة ، بتدريسه في الصف والباحة وفي كل مكان كيف ننتقد ، وكيف نترفع في انتقادنا ، لقد علمنا كيف يجب أن نعيش ، وشق لنا الطريق المعيد بالأحزان والأشواك ، لقد هذب نفوسنا ، وحد من جموح أجسادنا .

قال لي يوماً التشبيه اليوناني القديم : الإنسان عربة ، والسائق العقل ،
ومهارة السائق في حفظ توازن هذه العربة .

كان يجمع لنا نصائحه ليقذفها بنا في الوقت الذي يراه مناسباً ، وكان سر
عظمته حكمة تكن في اختيار الوقت المناسب ، وإن أنسَ لا أنسَ قصة
حادثة تأمر بها الطلاب على أستاذ ، وعندما نقول تأمر طلاب الجامعة على أستاذ
في ذلك الزمن ، فهذا يعني رجالاً كباراً من البلاد العربية جاؤوا لبنان ليتلمذوا ،
فلنا تأمروا وضبطوا الأستاذ في مكان ما .. وعندما جاؤوا إليه يخبرونه بأن
الأستاذ سيء إلى سمعة المدرسة ، يكيلون التهم ويحسدون ما لا يحسد أجابهم مدير
الجامعة ، رحمه الله ، بكل هدوء ورزانة : هكذا تكافئون الخير بالشر ... أنا
الذي أرسلت الأستاذ ليراقبكم ويقتفي آثاركم ، فامتنع من الشكوى عليكم ، ولم
تتمتعوا من التشهير به . عقوبة الأستاذ ستكون لأنه لم يعلمني بما أمرته أما
عقوبتكم فتكون كبيرة لاعترافكم الصريح ... هكذا خرج الأستاذ وافر
الكرامة ووقع التلاميذ في الفسخ . والطريف أنه عندما حضر الأستاذ إليه
ليعتذر ، وهو ندي الجبين ، ضحك الأديب الكبير ، وقال لا تحجل : تصرفك
كان قانونياً ، أليس قانون الدولة يقر ذلك ؟

كم كأديبنا واقصياً .

أما معرفتي بوالدي ، رحمه الله ، كمدرس ومربٍ فقد أتت متأخرة . فعندما
كنا صغاراً لم يكن باستطاعة الوالد أن يصحبنا معه إلى المدرسة جميعاً . فبقيت
أنا في عين كفاع أتعلم في مدرستها .

كانت غيبته تطول ولم نكن نراه بيننا في القرية إلا في الأعياد الكبرى
وفي العطل الصيفية ولم تكن أشهر الصيف بالنسبة له سوى فصل من العمل

جديد يستأنف به عمله الدائب مع صديقه الدائم (الكتاب) ولقد ألمح إلى ذلك الدكتور اسعد اسكاف في كتابه (مارون عبود الناقد) عندما تناول ملامح شخصية مارون عبود فقال :

« وأول ما يخالعك من طوابع هذه الشخصية ، طابع العصامية والاعتماد على الذات . وليس بعسير إدراك هذا على من تأمل سيرة حياة الرجل ، والاحداث التي ملأت حياته ، والعقبات التي حاربها فانتصر عليها . فمارون من الرجال الذين شقوا طريقهم بأيديهم . وبنوا منازلهم بكبد إيمانهم . ولم يتسلقوا على رفات أحد ، ولم يستجدوا رفقاً أحد ، ترك مارون مدرسة الحكمة وهي آخر مدرسة ضمنته ، عام ١٩٠٦ . ولم يكن بعد قد تجاوز العشرين ولم يكن سلاحه من العلوم والآداب ذاك السلاح القوي . فدخل معركة الحياة ، وتقل في ميادينها ، من صحفي إلى مدرس ، إلى مزارع ، إلى موظف حكومي ، ثم إلى مدرس ثانية ، فمدير مدرسة ، فناقداً . وقد كان مجلياً في كل ميدان خاضه ، ومبدعاً في كل مجال حمل لواءه اليه . وما مهّد له طريق ممهد ، ولا أيّد خطاه مؤيد . بل كثيراً ما كان يلقي المشاكسة والمعارضة من اناس عصره . وحسبك ما لاقاه من عنّت اليسوعيين عندما تبنّى الدعوة إلى انتخاب مجلس ملّي يكون قيماً على شؤون الطائفة المارونية . بالإضافة إلى ضغط السلطات التركية ، وتضييقها على النفوس ، وسلبها الحريّات . وغيرها من العقبات الكثيرة التي لم يكن مارون ليتقهر أمامها أو يرضخ لها . انما كان العمل ، والاعتماد على النفس ، والصبر على الملهمات ، خير ملاذ له وخير معين . وما العمل ، والصبر والاعتماد على الذات سوى أقانيم ثلاثة متحدة في جوهر واحد هو العصامية التي ميزت شخصية مارون عبود .

ولا يكفي الإنسان أن يكون عضامياً ليفلح ، انما لا بد من روافد أخرى

مؤلف العصامية ليُكتب لها التوفيق والنجاح . فالانكباب على التحصيل والشغف بالمطالعة ، والدأب على التعلم ، كل مسند روافد وفدت عصامية مارون بوارد ثرة فغذتها ودقمت بها الى الامام . فلم يكن في عمره الذي عاشه ما نسميه فراغاً ... ففصل الصيف عنده فصل العمل لا فصل الراحة ، يجبر فيه نفسه على نظام صارم بعد أن يكون قد قضى الشتاء والربيع قبله في التحضير والمحاضرات ، والدروس والتصحيح ، كان ينهض في الصباح مبكراً ، يتناول قهوته المرة التي كان مدمناً عليها ، ويرتدي جلبابه ، ويدخل محراب الفكر ، مكتبته ، ولا يتركها إلا بعيد الظهيرة ليتناول طعام الغداء ، فيقبل بعده ، ثم يعود إلى المطالعة ، حتى إذا أمسى ، تفرغ لشؤون قريته ، فاستقبل بعضهم ، وجلس يطرفهم ويرشدهم ويسعى معهم إلى حل ما يكون قد اعترضهم من مشكلات . ولم يرَ في حياته شيئاً نسميه ترفيهاً ، تسلية الوحيدة كانت القراءة والكتابة . فكانت العطل المدرسية عنده مجالاً جديداً للانفلات من التدريس والتوجه لطلب مناهل جديدة ، يروي بها عطشه الدائم إلى العلم والعرفان .

كان لنا أما يغرنا بعطفه وحنانه وأباً يعمل على تربيتنا بكل إخلاص . ما رأيت يوماً يتذمر ولم يكن يغضب أو يشور مها حدث . كان دائماً يدعونا ويعلنا على القيام ببعض الواجبات المنزلية البيتية التي لم تكن أخفى قدرة عليها . لأنه لم يوفق بمن يقوم بهذا العبء . وإلى جانب اهتمامه بنا لم يكن له هم سوى القراءة والكتابة . كان الكتاب رفيقه الدائم لا يتخلى عنه إلا ليحعمل بضعة أوراق يكتب عليها .

كنت في التاسعة من عمري عام ١٩٣٨ عندما عاد أبي من عاليه في العطلة الصيفية ، ركضت لملاقاته فانحنى علي وقال لي : السنة القادمة سأخذك معي .

طلبت من الفرح وأخذت أنتظر قدوم السنة المدرسية الجديدة بفارغ صبر وأنا على نار ، وفي إحدى الأمسيات حزمنا أمتعتنا ، صررت ثيابي وجمع الوالد كتبه وأوراقه . وما أن أطل الصباح حتى صحت على صوت المكاري الواقف بالباب . غادرنا القرية ممتطين ظهسور الدواب وانحدرنا من عين كفاح صوب البحر فوصلنا إلى طريق سهلة نائمة بمعاذاة الشاطيء .

فوجئت بسيارات تتجه نحونا آتية من الجهة الجنوبية وتعبونا مخلقة وراءها هديرأ عالياً .

أخذتني الدهشة فقلت لأبي : إلى أين تذهب هذه السيارات ؟

أجابني وهو يبتسم : جاءت لملاقاتنا .

وما ان سرنا قليلاً حتى عبرتنا السيارات عكسياً آتية من جهة طرابلس فقلت لأبي وهذه لماذا رجعت ؟

أجاب وهو يضعك : عادت لما عرفت بوصولنا .

لم أعرفها مزحة إلا عندما تركنا المكاري على الطريق ننتظر سيارة تقلنا باتجاه بيروت ؛ فتساءلت لو كانت هذه السيارات أتت لملاقاتنا فعلاً ، فلم لم تأخذنا معها ؟

بعد طول انتظار توقفت سيارة صعدنا إليها . وما أشد ما كانت دهشتي عندما رأيت العالم من حولي يركض بعكس وجهتنا .

وصلنا إلى بيروت ومنها حملتنا سيارة أخرى إلى عاليه .

دخلت المدرسة التي كان والدي مديراً لها ومدرساً فيها . كان ترتيبي في السنة الثالثة الابتدائية وازداد اعتزازي عندما رأيت التلاميذ ينظرون إلى والدي نظرة اعتزاز .



(هارون عبود قبل وصول طريق السيارات إلى قريته)

تابعت تحصيلي التعليمي في الجامعة الوطنية عدة سنوات وما كنا نزور القرية إلا في العطل الموسمية والصيفية بسبب صعوبة الانتقال وقلة المواصلات. وفي عام ١٩٤٧ أصبحت تلميذاً لوالدي في الصف الرابع المتوسط .

كان والدي يعلمنا البيان وعلى ما كان يقابل به طلاب القسم العلمي المادة من امتعاض وجفاف كنا ننتظر ساعته انتظاراً لما كان يبث فيها من روح دافئة . كان يمتعنا بنكاته الطريفة ليدفع الضجر عن نفوسنا فنضح ونفرق في الضحك فيخيل للسامع أن الفوضى عمّت المدرسة . ولكن سرعان ما نعود الى انتباهنا عندها يعود الى الدرس . كانت غايته افهام التلاميذ ، لا يدع شاردة إلا ويبسطها لنا ولا يدع استطراداً يفوته . أما إذا ارتكب أحدنا هفوة وأراد التوبيخ جاء توبيخه مشوباً بالنكته وكثيراً ما كان ينبهنا الى أمور جلي بأمثاله الشيقة التي كانت يستقيها من واقع الحياة . يعمل بإخلاص زارعاً في النفوس المحبة وحب العمل وكثيراً ما كان يردد أمامنا شعاره الخاص الذي كان يتصدر مكتبته : (اعمل الواجب ولا تخش العواقب) .

يعتبر تلاميذه أمرة واحدة ، يعطف على الضعيف منهم ، يقدر النابه فيهم ، ويشجعهم . يتفهم مشاكل طلابه ويساعدهم على حلها .

كان والدي يشجعنا على التعبير عن آرائنا بجرأة . ينمي فينا الروح الوطني ولسان حاله الدائم : الذين لله والوطن للجميع . كان يعمد خصوصاً الى شرح كل مناسبة وطنية ، ويشترك مع الطلاب في التعبير عن مشاعرهم ويلقي فيهم الخطاب كلما اقتضى الأمر ذلك . ولم يكن يتصدى لنا إذا سلكنا سبيل الإضراب للوصول الى مطالب محقة .. أما إذا كان الإضراب لأشياء تافهة فكان يجول بدون قيامه وكم كان يكره تضييع الوقت والتهرب من الواجبات .

أذكر أننا تظاهرننا مرة داخل المدرسة لمطالب طلابية محقة . وقد رأى بعض قادة الإضراب أن نخرج لتظاهر في الشارع ، ولما علم بعض الأساتذة

والرئيس أمروا البواب بإقفال الباب الرئيسي . وكان مارون عبود يراقب ذلك من نافذة غرفته التي هي خارج المدرسة - كما مر معنا - ولما توجهنا إلى الباب الرئيسي محاولين فتحه بصخب وجلبة غير آبهين بأحد رأينا ملهون عبود يتقدم منادياً البواب ليفتح الباب ولما فتحه ودخل مارون عبود سكت الجميع فقال لهم أنا أول من يشجعكم ويشارككم في التعبير عن الرأي إذا كان السبب جليلاً وأما اضراب من هذا النوع فلا بأس به ضمن جدران المدرسة أما أن تتظاهروا في الشوارع فهذا لا أسمح لكم به ولن تخرجوا من هذا الباب إلا على جثة مارون عبود وما أتم كلامه حتى وجم الجميع وبعد لحظة تفكير تفرقوا في باحة المدرسة وبدأوا يستعدون للعودة إلى صفوفهم .

ان دلت هذه الحادثة على شيء فعلي حزم مارون عبود المرابي وعلى احترام طلابه له وعلى الثقة المتبادلة بينه وبينهم فما كان يطلب إلا ليطاع لأنه كان يعمل باستمرار بالمثل القائل (إذا أردت أن تطاع فسل المستطاع) لم يقتصر نشاط مارون عبود في عاليه على التدريس والقيام بأعباء الإدارة بل تعداه إلى اهتمامات مدرسية تجلت في نشاطات متعددة فإلى جانب كونه موجهاً تربوياً يلجأ الكل إليه لمساعدتهم في حل مشاكلهم كان يبدي اهتماماً بنشاطات أدبية ومدرسية متنوعة .

منذ دخوله المدرسة في العام الدراسي ١٩٢٢ - ١٩٢٣ عمد إلى احياء جمعية الثمرة داخل المدرسة وكانت هذه الجمعية تؤازره في تحضير الندوات الأدبية كالمحاضرات والأمسيات الشعرية . كما كانت تنظم بعض الاحتفالات الموسمية في المدرسة وخصوصاً بمناسبة أعياد وطنية كعيد الاستقلال وعيد الشجرة وعيد الشهداء .

وكان لمارون عبود في كل المناسبات كلمة يقولها . ولقد كان شعره ، في الفترة الأولى من حياته في عاليه ، أي حتى مطلع الأربعينات ، فاكهة في مثل هذه

المناسبات . فهناك قصيدة (الاستقلال) وهناك قصيدة ملقاة في عيد الشجرة وأخرى في (أول نيسان) وقصيدة عنوانها (شباط في عاليه) و (تحية الى الطلاب) و (رمز الخلود) و (ذكرى الشهداء) وغيرها كثير في ديوانه وفي ما لم ينشر من شعره . وان تكن قصائده تتسم بصفات الشعر الكلاسيكي الذي كان فاكهة ذلك العصر ، ففي قصائد مارون عبود اطلالة ذاتية تتوزع حول مبادئ في الإصلاح كنبذ الطائفية والعمل لبناء الأوطان والدعوة إلى التحرر كما فيها اطلالات على الوجود وتأملات فيه .

يقول الدكتور جميل جبر :

(مارون عبود شاعر مناسبات لا ينظم بوحى طارىء أو تلبية لطلب ، إلا انه عرف أحياناً كيف يتعدى السبب المعارض الى نظرات أسمى في الحياة والإنسان ، انه شاعر كلاسيكي سلس التعبير ، لطيف الصورة . الشعر عنده يخلق كل يوم عروساً (مثلما تخلق الخمر الحبابا) .

كما كان مارون عبود يرافق طلابه في بعض الرحلات الاستطلاعية في ربوع الآثار اللبنانية . وفي حديثه مقدماً قصيدة في (قلعة بعلبك) يقول :

زرت بعلبك ، أول مرة ، مع تلاميذي ، فالتقينا مع جماعة من الغربيين وقفنا جميعاً مشدوهين في هياكل باخوس العظيم وتحت أعمدته الرقيقة ، فسمعتهم يتحدثون عن هذه الآثار الضخمة معجبين بالأجداد ، متعجبين من تفوير عبقرية الأحفاد فعدت متبرماً ، وقلتها كما تراها (وأنشدتها ولا فخر ، في الحفلة المدرسية الختامية التي أقيمت في نادي اوتيل البحار) وهي على رمية حجر من قصر الجنرال (ويفان المندوب السامي عام ١٩٢٤) .

وذهبت في اليوم الثاني إلى بيتي في عين كفاع متلفتاً ورائي تلفت مذعور لا تلفت الشريف الرضي^(١) ...

(١) زوابع ص ١٧ .

أرأيت ما كانت اهتمامات مارون في تلك الفترة وماذا كان يدور في خلدك
وهذه المقدمة أصدق تعبير عما تحتويه القصيدة وفيها اعتزاز بفضيل الشرق على
الغرب ومناداة للتحرر والاستقلال .

كما عكف مارون عبود على تأليف بعض المسرحيات المدرسية التي كانت
تمثل في الحفلة التي كانت تقام بمناسبة انتهاء السنة الدراسية وتوزيع الجوائز .

أما الفني من أعماله فقد توزع في هذه الفترة على المقالات الصحفية ،
والأقاصيص والنقد ، وذلك بعد أن طلق الشعر عام ١٩٣٤ وكان أول مقال له
في النقد عام ١٩٣٤ .

واعترافاً منها بفضله وجهوده أقامت الجامعة الوطنية عام ١٩٤٨ حفلة
تكريماً لمارون عبود . تجلت بيوبيل فضي اكراماً له واعترافاً بحميلة على الجهود
التي بذلها في حقلي التدريس والتربية الوطنية بعد مضي خمسة وعشرين عاماً على
مباشرة أعماله في الجامعة الوطنية . وفي هذه الحفلة توالى الخطباء بشيدون
بناقبة الرجل .

ففي خطابه قال رئيس الجامعة الوطنية الأستاذ الياس شبل الخوري :

احدى وأربعون سنة متواصلة في خدمة التربية الوطنية والتعليم .

احدى وأربعون سنة في محاربة الجهل والتعصب الطائفي الذميم .

احدى وأربعون سنة قضتها حتى الآن الجامعة الوطنية في خدمة الأمة
العربية متخذة مقرأ لرسالتها هذه المدينة الحبيبة فأمت منهل علم لجميع الأقطار
العربية الشقيقة .

احدى وأربعون سنة سارت فيها الجامعة الوطنية بين أدغال المصاعب
والعنينات الطائفية .

احدى وأربعون سنة مرت على الجامعة الوطنية ولا حادثة مكدره فيها

والحمد لله وهي سائرة سيراً متواصلاً في طريق الرقي وما ذلك إلا دليل على رضى
المولى سبحانه عن شعارها الشريف وهدفها السامي .

احدى وأربعون سنة منها خمس وعشرون سنة هي عصرها الذهبي وضع
حضرة الأخ المحترم مارون بك عبود كتفيه معي تحت عبثها التربوي والتعليمي
فكان ذاك المربي الحكيم الذي اتخذ خطة له قول من قال : لا تكن يابساً فتكسر
ولا رطبياً فتعصر ، وذاك الأستاذ القدير الذي عرف كيف يفيد تلاميذه
ويكتسب محبتهم واحترامهم . خمس وعشرون سنة مرت على جهاده معي
لا أذكر أنه تأخر فيها دقيقة عن درس أم ميعاد مدرسي أو تلكاً عن
قضاء واجب .

خمس وعشرون سنة في خدمة التربية والتعليم هي ذات قيمة عظيمة لأن
للتربية والتعليم مصاعب حمة يمسر التغلب عليها . لأنها العاملان الوحيدان
لتكوين أمة راقية ناهضة .

خمس وعشرون سنة لا أذكر فيها انني اختلفت وإياه إلا على رأي من رأينا
فيه مصلحة الجامعة العليا التي كان كلانا يضمها فوق كل شيء .

خمس وعشرون سنة مرت على معاونته إياي لا أذكر فيها أن شمس يوم
غربت على زعل بيتنا وما حصل زعل قط إلا لاختلاف وجهة النظر في
مصلحة الجامعة .

خمس وعشرون سنة سارت فيها الجامعة الوطنية بمعاونته القيّمة المخلصة في
سبيل النجاح الباهر والازدهار المتواصل . فأخرجت للبلاد العربية نخبة ممتازة
من فتيان الأخلاق والعلم تولتوا في جميع الدول العربية الشقيقة مناصب عالية .

خمس وعشرون سنة كانت في عينيك يا أخي مارون كيوم أمس الذي عبر ،
لذة في خدمة هذه الأمة العزيزة مع أن كل يوم منها ، والحق يقال ، كسنة في
مهنة أخرى بمتاعبه وصعوباته التربوية والتعليمية .

خمس وعشرون سنة كنت فيها لي الرفيق اللين العريكة والأخ الكريم الخلق والمعاون المخلص النشط وللجامعة الإداري الحكيم والاستاذ القدير .

خمس وعشرون سنة قضيتها في الجامعة الوطنية ، حتى الآن ، وفقاً على خدمة التربية والتعليم والادب لا هدف لك سواها ولا لذة لك في غيرها حاصراً كل جهودك فيها لمعالجة كل مشكلة ورتق كل فتق وتقوم كل اعوجاج باحثاً منتجاً من روائع الادب ما خلد اسمك بين كبار الأدباء المنتجين . لهذا كله فقد استحققت شكر الجامعة الوطنية وتكريمها .

فبالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن لجنة اليوبيل التي تمثل خريجي الجامعة الوطنية وأساتذتها وطلابها أتقدم الآن من شخصك الحبيب بواجب الشكر على ما بذلت من الجهود في حقلي التربية والتعليم فيها مقدماً لك أصالة ونيابة هدية زهيدة ذات شطرين :

الأول مدالية ذهبية عليها شعار الجامعة الوطنية رمز لجهودك التربوية فيها والثاني دائرة معارف رمزاً لجهودك في خدمة العلم وإثني أزيد على ذلك ، أياً الأخ الفاضل ، تخصص جائزة سنوية مني قدرها خمسون ليرة لبنانية ، تسمى جائزة مارون عبود ، تمنح دائماً للمتفوق من طلابها بالادب العربي تقديراً لجهودك في خدمة الأدب ، عشت يا أخي طويلاً ، ولي في الجامعة الوطنية خير معين وللأدب خير نصير .

وفي احتفالات اليوبيل الفضي منحت الدولة اللبنانية مارون عبود وسام المعارف كما منحه مجلس بلدية عاليه ، مواطن شرف . مشيداً بإخلاصه وتفانيه في خدمة أبناء البلدة وتربية أجيالها .

صورة القرار البلدي رقم ٢٢

بلدية عاليه

لقب مواطن شرف

بما أن الأستاذ مارون عبود كان ولم يزل يساهم منذ خمس وعشرين سنة

متوالية برفع لواء الثقافة والأدب في مدينة عاليه بوصفه مديراً للدروس في
الجامعة الوطنية منصرفاً بكلية لتربية النشء الجديد بإذلا قصارى جهده لإتلاء
الشعور الوطني وبث روح التسامح والكرامة القومية في هذا النشء فإن المجلس
البلدي المعبر عن رغبة أهالي عاليه يقرر اعتبار الأستاذ مارون عبود مواطناً
شرفاً تقديراً لخدماته في حقل الثقافة والوطنية .

عاليه ٢٩ نيسان ١٩٤٨

بلدية عاليه

صورة القرار البلدي رقم ٢٢

القاضي يمنح حضرة الاستاذ مارون عبود

لقب مواطن شرف

بما ان الاستاذ مارون عبود كان ولم يزل يساهم منذ خمس وعشرين سنة متوالية
برفع لواء الثقافة والأدب في مدينة عاليه بوصفه مديراً للدروس في الجامعة الوطنية منصرفاً
بكلية لتربية النشء الجديد بإذلا قصارى جهده لإتلاء الشعور الوطني وبث روح
التسامح والكرامة القومية في هذا النشء ، فإن المجلس البلدي المعبر عن رغبة
أهالي عاليه يقرر اعتبار الاستاذ مارون عبود مواطناً شرفاً للمدينة تقديراً لخدماته
في حقل الثقافة والوطنية . عاليه في ٢٩ نيسان ١٩٤٨

فأنتقام عاليه رئيس بلدية
صاهر العتوي

نائب الرئيس
محمد تامر

اعضـاء
سركيس ارادبان فوزي اللوق اغبر مخوري سليم طيار

مسورة طبق الامل
سكينة البلدية

(صورة القرار البلدي رقم ٢٢)

كما اختتم الاحتفال بكلمة ألقاها مارون عبود في هذه المناسبة قال فيها :

« سيداتي - وسادتي ،

لا أتخيل حفلة اليوبيل إلا سهرة وداع ليلة سفر ، وأستطيع أن أقول لكم
أجمعين : شرفتم وأنستم ...

الحمد لله على أن اليوبيل فضي ، فإذا استعملنا منطق ابن الرومي قلنا انه
من فض ، وأعوذ بالله مما تحمله هذه الكلمة من شؤم . ولو كان اليوبيل ذهبياً لكان
الشر أعظم ، فهو من ذهب العمر لا الذهب ، لأن الذهب لا يعرف أبواب
الأدباء ، هذا لا يحتاجون أن نحيطكم به علماً .

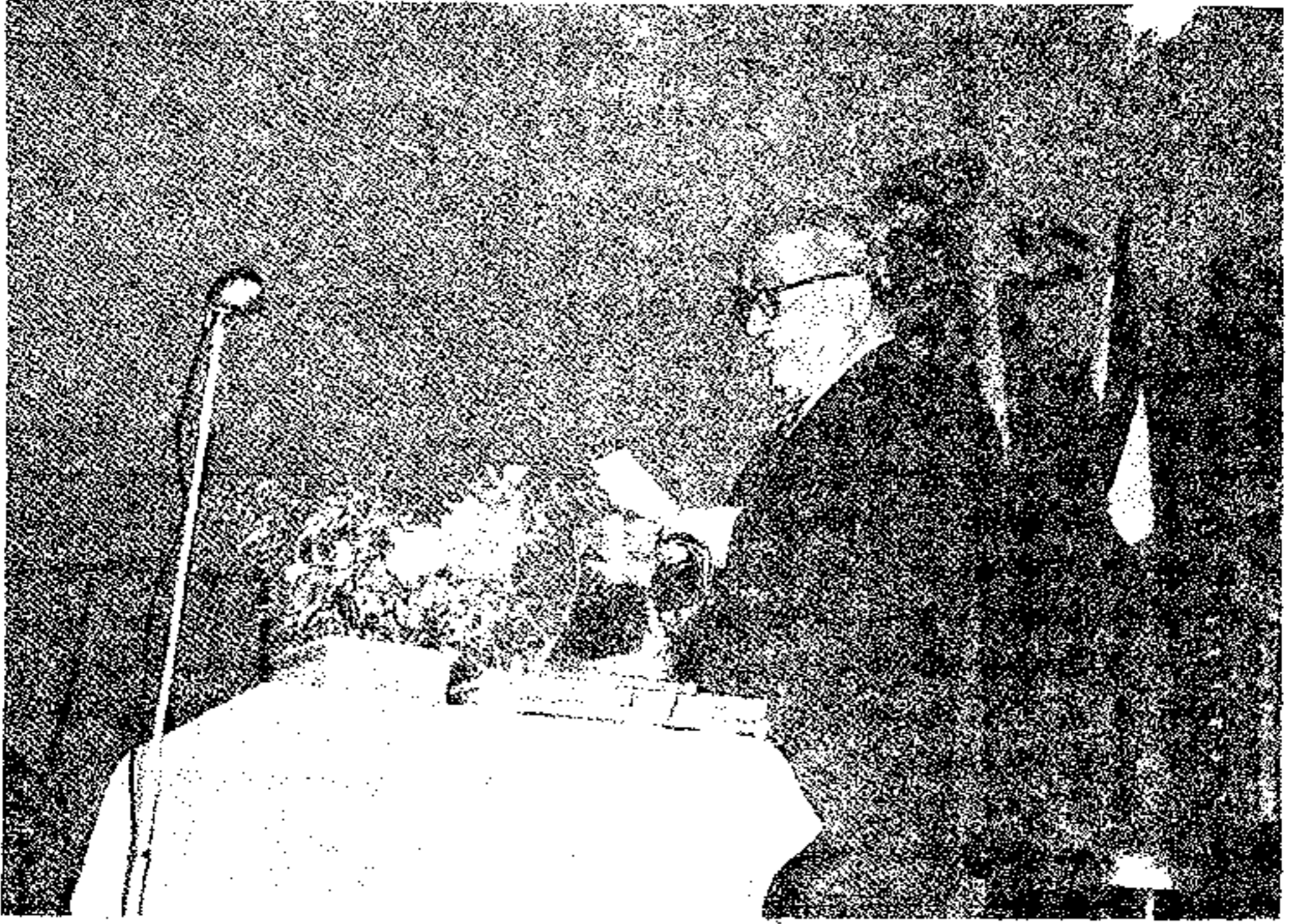
وأنا يا سادة لست من مذهب ابن الرومي ، وكيف أكون وأنا القائل :

لا تقولوا شبناً فما الشيب عيب ان في الشيب من يبز الشبابا
رب شيخ قضى الحياة فتياً و غلام في ميعة العمر شابا
رب شيخ يظل عارض رمح يتصابى لو استحال ترابا
لو أقتنا الحياة تسترزق العزم خلغنا على الحياة شبابا .

ذلك هو مارون عبود المتبجح المنادي : (ترمس أحلى من اللوز ...) ومع
ذلك خاف من اليوبيل وخاله (تروبييل) يبشر بدك بفيانه دكاً .

كادت رجلي لا تحملني إلى هذا النادي لولا تذكيري مكتوباً كتبته لتليذي
شكر الله الجر ، ونشره في مجلته (الأندلس الجديدة سنة ١٩٣٧) وما قلت له
فيه : « واني لأتخيل ، يا شكر الله ، انني استأجرت الدنيا من الذي نفسي
بيده ، فأجرنيها لمدة عشرين سنة ، وفي نيتي أن أجدد هذا العقد بعد انقضاء
المدة . ومن الشروط الرئيسية بيننا أن يظل الطابق العالي عامراً ...

كنت سمعت بجيا العروس ، وما عرفته عملياً إلا اليوم ، فقد كفاني كلام



(مارون عبود يلقى كلمة)

الخطباء ، جزاهم الله عني خيراً ، استعرضت كتيبة أعوامي الاثني والستين
فرأيت بينها أقزاماً وجبابرة ، أما الجبابرة فهي بعض الأعوام التي صرفتها في
هذه المدينة الحبيبة مدينة عاليه وحسي أنها تفضلت وعدتني مواطن شرف
وهذا شرف كبير لي ...

إلى أن يقول :

ما كنت يا سادة إلا مسنّاً ، أو حجر شحذ كما يقول الشاعر : فسنت
خناجر وسيوفاً كثيرة ، وقد ذهبت تلك الخناجر والسيوف إلى جبهة النضال ،
أما المسن فما يزال قابلاً في الزاوية يسن ويسن وحسب الجامعة معمل الشحذ
والسن ، ان لها أبطالاً في كل مقام ، وشهداء في كل جبهة ، وأحدثهم عهداً ،
وأطراهم دماً ، بطل المالكية الشهيد النقيب محمد زغيب .

بين الأيديولوجية والذاتية

(مذهبي في الحياة أن لا مذهب لي فيها . فكل أعمالي خبص في خبص . ما أريده لا أفعله ، والشئ الذي لا أريده اياه أصنع . أحسبني كرة في يد لاعب جبار يقذفها في الفضاء ، فلا هو ولا هي تدري أنى تتوجه وأين يكون مستقرها . فالحياة في نظري لعبة تتلهى بها قوة مرمدية أزلية ، تخرج منها أنماطاً لا تدرك ، ولا يزال في قراراتها غرائب وعجائب لا نهاية لها ، كلما تراوحت انسلت أقزاما وعماليق ، وكلما انفعل الكائن الأزلي تفجرت قواه اللامتناهية وانبتق إلى الوجود ما يحير كل موجود .

في مذهبي ان الدماغ البشري هو المستودع النائمة فيه ، إلى حين ، أسرار الطبيعة ، وقد عاينته ، يبرزها إلى الوجود واحداً واحداً في سبعين عاماً فما كان مستعجلاً أمسى ممكناً .

لا أتمثل الحياة إلا مدرمة لا نهاية لدروسها . خريجها يتواري في الظلمة قبل أن يرى النور الذي ينتظر . مع ذلك أراني أوّمن بالحياة إيماناً عميقاً لا قرار له ، وأحبها محبة كلية ولكنها بدون رجاء .

أوّمن بالإنسان . . . ابنها الوحيد ، الخالق الأعظم المنبتق من الأرض والسماء ، فهو جرم أرضي سماوي . في وقت معاً . اني أرى الأرض مصدر كل خير وبركة ، ومع ذلك يكفر بها الناس ، وينكرون فضلها عليهم ، ويفتشون عن سعادتهم في غيرها . أما أنا فمذهبي في الحياة هو مذهب طرفة القائل :

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي
لا أو من إلا بأني سوف أموت ، ولا يعني كل ما يقال عني بعد ذلك .

مذهب غيري : القناعة غنى . أما أنا فشعاري الطمع في هذه الحياة ، أنا في
محبة الدنيا على دين معاوية ، أود لو تكون في يدي بيضة نبرشت فأحسوها كما
هي دفعة واحدة .

مذهبي في الحياة أن أعمل دائماً ، وهمي أن أسبق من قبلي وأعجز من
بعدي ، ولكن يا ليت .

أكره القمر ولا أفرح بولادته لأنه بشير زوال ، وأنا لا أريد أن أزول قريباً .
وأحب الشمس لأنها رمز الديمومة .

أتعد هذا فلسفة ؟ أنا لا فلسفة لي في الحياة ، ولا أو من بالفلسفة . وأعتقد
أنني حجر في مقلع الجبار العنيد . فتارة يضربني وآونة يضرب بي ، فخير
ما أعمل هو أن أعمل بلا انقطاع لأجد اللذة فيما أعمل لا في ما أفكر .

لي في حياتي مذاهب تتغير وتتقلب مع الأنوار والظلمات ، ومع الحر والبرد ،
وفي العسر واليسر ، ولكن الشيء الذي لا يتغير هو الانصراف إلى العمل الذي
يفسني جميع شؤوني وشجونني .

فكل أميتي إلا أذيب شخصيتي في مستنقعات الآخرين ، وأن أظل منسجماً
مع ذاتي ، وأن أبقى ساذجاً لا تكلف ولا تعقيد في حياتي . وألا أتخلى عن شيء
من بساطة أورثنيها الربّي . فأكره شيء إلى التقليد .

لا تسلي عن مذهبي في حياتي لأنني لا أعرف ذلك المذهب لأحدثك عنه .
فكل ما أعرف أنني بدلت أثواباً كثيرة ، ولم يبق لي ثوب لأقول هذا يعجبني ،
فأمري ليس في يدي (١) .

(١) سبل ومناجح ص ١٠٩ .

هكذا يقول مارون عبود عن نفسه وعن مذهبه الذي كان يمر
بالأيديولوجيات مروراً لينتهي منها الى حقائق ذاتية كوّنت قناعاته الخاصة .
وإن كانت تسمية الأيديولوجيات واسعة المفهوم فإني أقصد بها هنا الاعتقادات
الجماعية مها كانت ؛ بينما أقصد بالذاتية القناعات الخاصة ، وأن تكن ترتبط
بشكل أو بآخر ببعض الأيديولوجيات ، فمارون عبود مقتنع بها يعمل لها ،
لا لكونه في هذه المجموعة أو تلك ، بل لكونه كونه شخصية مستقلة لها رأيها
ومذهبها وإيمانها وعملها .

ومارون عبود الذي كان في نضال مستمر مع نفسه ، والذي كان يتعالى
على ذواته الواحدة تلو الأخرى ، لا بد وأنه مر بفترات زمنية كان له اتصال
ببعض الجماعات ولكن هذه الاتصالات لم تقيده بل كان من خلالها يفتش عن
ذاتيته عن قناعاته ومن ثم عن استقلاله .

فمنذ مدرسة الحكمة تطالعنا في شخصيته نزعة الاستقلالية فهو يقول :
(كانت المدرسة على عهدنا حزبين حزب الرئيس الخوري بكوس بولس الدبس ،
وحزب المدير الخوري بطرس مبارك . الشماليون حزب الرئيس والجنوبيون
حزب المدير ، الحد الفاصل جسر المعاملتين وانتهت المعركة في آخر السنة الأولى
بقصائد هجاء طبعت ، أما أنا فما كنت لبولس ولا لأفلو بل لله الذي انبت .

في هذه المرحلة وفي سن التاسعة عشرة تبلورت فيه تلك النزعة الذاتية .
ولكن هذه النزعة لم تبعده عن طريق النضال فكان يناضل انطلاقاً من ذاتيته
وانطلاقاً من مبادئ إنسانية وقناعات شخصية تكونت وترسخت فيه
عبر حياته .

غير أن في حياة مارون عبود الذي غير ذوات كثيرة كما يقوله محطات
كان فيها ينتمي إلى تنظيمات معينة ومن أولى هذه المحطات اتصاله (بالماسونية)
أو (بالبنائين الأحرار) أو (بفرسان الصليب الورددي) وهي ثلاثة أسماء

لمسمى واحد . لا نعرف عن زمن انتساب مارون عبود لهذا التنظيم السري أي شيء . لكن من الواضح أنه تم قبل عام ١٩٢٨ بوقت غير طويل وكان مارون عبود آنذاك في عاليه .

يقول عن هذه الفترة مقدماً قصيدتين بينه وبين الدكتور حسن بك الأسير ما نصه :

(في فترة قصيرة جداًصرت من فرسان الصليب الوردى فتقت الى (الاسرار) التي تلي هذه الدرجة ١٨ فكتبت الى الدكتور حسن بك الأسير ، رحمه الله ، أمأله ذلك وأحببت أن يكون الخطاب نظماً لأنني كنت - في ذلك الزمان - مولماً بالنظم .

فجاء الجواب منه شعراً أيضاً .

ونشر يومها القصيدتين مبرراً ذلك بقوله :

ها أنا أنشر الاثني لأنني أحببت أيها القارئ الحبيب أن أعترف لك اعترافاً صادقاً ، فلم أترك شاردة ولا واردة . أحببت أن أريك مارون عبود في كل مراحل حياته ، وأطواره التفكيرية والنفسية ، ولك أن تقول أنت في ذلك المارون ما شئت فأنا أعتبره ذاتاً تركتني لتحل محلها ذوات أخرى .. انني أحس ذلك وألمسه . أجل لقد تركت على طريقي ذوات كثيرة فتأمل نفسك أنت إذا شئت أن تشعر شعوري ومن يدري فلعلك تركت مثلي ذوات كثيرة (١) .

كما أشار كذلك في مكان آخر إلى انتهائه الى الماسونية في حديث له عن الاب

شيخو حيث يقول :

(ليس الاب شيخو ذلك المتشبه المنمقة عبارته ولكنه الباحث المدقق ،

(١) زوابع ص ٢٨٩ .

والمناضل العنيف عما تجند للدفاع عنه . بجائته جريء حمل على الماسونية حملات غواشم ، يوم كان اسم (الفرمايون) يخيف ويرعب . ولكن (الماسون الكبار) حملوه على أكتافهم إلى القبر تعظيماً لعمله وإجلالاً لحرية الفكر والقول ، فكان ذلك أبلغ رد على ما ألصقه بهم من تشنيع وتزييف . وها أنا أحد أولئك أنخني الآن احتراماً لآثار شيخو^(١) .

ولكننا لا نعلم شيئاً عن مسيرة مارون عبود في الماسونية كما لا نعلم هل استمر فيها أم لا ؟

كما أنه كان يعلن دائماً أنه لا ينتمي إلى أي حزب أو عقيدة وإن انتماء الوحيد هو انتماء إنساني ذاتي فهو صديق الإنسان وصديق المبادئ الإنسانية أينما تجلت تلك المبادئ وفي هذه الفترة رفض مارون عبود الانتماء إلى جمعية أهل القلم . ففي رسالة إلى محيي الدين النصولي يقول :

أنالم أتشرف بعد بالانخراط في سلك الجمعية (جمعية أهل القلم) لأرشح نفسي لكرسي رئاستها السامية . وسوف أبقى خارجاً لا بل (خارجياً)^(٢) .
وإذا كان مارون عبود فضل أن يبقى خارج الجمعيات والأحزاب فإنه كان داخل الحياة بإيمانه بها متفرداً في ذاتيته وقناعاته وان يكن ترك وراءه ذواتاً كثيرة كما يقول .

(١) وواد النهضة الحديثة ص ٢٢٦ .

(٢) رسائل مارون عبود ص ٢١ .

رحلاته

لم يكن مارون عبود كثير التنقل ، وإن يكن للتنقل أهمية كبرى في عالم الأدب وعند الأدباء ، لأنه يفتح لهم نوافذ جديدة يطلون منها على الحياة والناس . غير أننا نلاحظ ، من عمق تجربته الإنسانية ، ان مارون عبود كان مع الناس أينما وجد وحيثما وجدوا وقد استطاع النفاذ إلى أعماقهم ليلتقط حقيقة الإنسان بتعقده وبساطته ، وقد استعاض مارون عبود، عن ذلك بكثرة مطالعته ، فالكتاب كان جواز سفره باستمرار ، كان يقلص أمامه المسافات ليواكب العالم من ماضيه إلى حاضره وليعايشه في مدينته وتطوره واختراعاته وفي مشاكله الحياتية والإنسانية .

كان مارون عبود مرتبطاً بالعمل التدريسي شتاءً ولم يكن لديه وقت للسياحة وكان في الصيف يفضل البقاء في عين كفاح لأن وضعه العيالي لم يكن يسمح له .

وهناك سبب لعله الأهم بالنسبة لمارون عبود وهو أنه أحب القرية ورغب عن المدينة . أحب القرية بما تمثله فكان ميالاً إلى العزلة ، والهدوء ، وإلى السكينة .

فهو يقول : بيروت لم أحبها في حياتي : أنا أحب الدنيا ، الله ، ورسله ، وأنبياءه من خلال حبي للقرية . تكفيني رؤية طرقات جونية الصخرية ...

تكفيني رؤية الصنوبرة التي عمرها مئات السنين. انني لم أحب الضجيج في حياتي...
إذا قالوا لي: لو أتيت لك الآن في هذا العمر أن تزور أميركا وتتطلع في ناطحات
السحاب... أو إسبانيا تبحث عن أجداد العرب فأيهما تفضل؟ لو سألوني يوماً
لقلت لهم: لا أميركا وناطحات السحاب فيها، ولا إسبانيا بحثاً عن أجداد العرب،
وإنما رحلة طويلة لا تنتهي في بطون الجبال اللبنانية... أمنيبي أن أتسلق قمة
صنين، ولأمسك بيدي (كبتولة) من ثلج الأرز... (١).

هذا التعلق بالقرية بما فيه من مدلولات يرمز إلى التعلق بالبساطة والبراءة
والحياة. البكر وكلها جعلت مارون عبود يفضل التنقل والطواف في جبال لبنان
على السياحة بين معالم الحضارات ومنجزاتها وضجيجها.

كان له كل عام رحلتان، كما يقول: « رحلة الصيف ورحلة الشتاء ». وفي
كل مناسبة كان يطوف في أرجاء لبنان وينظر الى شماليه جباله ويتنشق
رائحة الأرز والأشجار البرية، ويقف على وهاد الأودية، تارة يذهب الى زيارة
أصدقائه مثلما كان يقصد الفريقكة للالتقاء بأمين الريحاني وتارة يحط رحله في
أرض العباقرة بحثاً عن ذكريات. طيبة. زار بشري عدة مرات وفي كل مرة
كانت الأرض التي أنبتت جبران الخالدة تشده اليها. يقول:

« ما هذه أول مرة أزور فيها بشري عاصمة مقامي المردة يوم كان لبنان
مهاجراً. عرفت سنة ١٩١٢، ونمت تحت أرز لبنان الراكب على كتفي، تنظرة
من الحدث والديمان فتخاله زهرة ناضرة شكسها الزمن في عروة لبنان. مررت
بها في ذلك الحين بعد ما زرت شيخ الجبل البطريرك الياس الحويك، بت عنده
ليلتين أحلى وأقصر من ليل عمر... كانت نكاته ونواديه الوجيزة تنعش
حضرته، وإذا احتسبنا تحكك بنا لنقول، ويأبى الا التبسط فنعمل، متذكرين
قول الفرزدق في زين العابدين:

(١) مارون عبود والصحافة ص ٦٦.

ينغضي حياء وينغضي من مهابته فما يكلم إلا حين يتسم^(١)
وهذه الرحلات كانت منبع وحي للكاتب 'تحرك مشاعره فتخلق في أدبه
أروع لوحات بريشة كاتب . كما كان وصفه بشري يومذاك :

(بشري نائمة في حضن الجبل تغنّي لها الجداول ويهددها الهواء ، ويمر
نهر قاديشا تحت أقدامها فهي أبدأ في حمام بارد . ينتصب فيها الحور كالعماقة
بين أقزام الأشجار المثمرة ، فلولا البيوت لخلتها غوطة ، ولولا الأجراس التي
تقرع دائماً للصلاة ، وخصوصاً جرس الآباء الكرمليين لحسبت أنك في خلوة .
لا صراخ ولا عياط في بشري ، تمر بمقاهيها كأنك مار بغرفة قراءة وإن لم تر
كتباً أو جرائد .

تحيط بها الجبال من الجهات الأربع ، وكيف تلتفت ترى شماريخ منتصبة
كأنها التماثيل والقباب ، ومن الشرق يتدلى الشلال فتخاله سلسلة فضية في عنق
(الجبة) الحسناء ، وترى أنابيب كهرباء قاديشا كأنها الحية التي خدعت أمنا
حواء ، هذا اذا كانت سوداء ، فكل لاهوتي يكسوها لونا من تخيلته ، أما الماء
فشلوج أبدأ ، وهو مريء هدام لما تبنيه المطابخ^(٢) .

كانت معظم تنقلات مارون عبود داخل لبنان وكم أوحى آثار لبنان
الخالدة من قصائد يوم كان ينظم الشعر .

زار بعليك مراراً عديدة وفي كل مرة كان يعود منها بقصيدة ففي مقدمة
قصيدته (الأعمدة الستة) يقول :

(زرت بعليك مرات ، وكنت كل مرة أرى فيها شيئاً جديداً لم يبد لي من
قبل فسجلت ذكرياتي في هذه القصيدة^(٣) .

(١) جدد وقدماء ص ١١٨ .

(٢) نفس المصدر ص ١٢٠ .

(٣) زوابع ص ١٦٥ .

كان مارون عبود يتنقل داخل وطنه لا يترك محوياً إلا ويعرج عليه كما عرج مرة وهو في طريقه إلى عاليه ليزور قبر الشدياق يقول في هذه المناسبة .

(قبر أحمد فارس الشدياق مثل عين كفاع ، بلا درب ، يعترضك الشريط الشائك ان حاولت الدنو منه ، فعليك أن تتط نطاً ، أو تحلّق ، ان تقدر ، كما حلّق شعراؤنا الكبار في (مناسبات) شق ... أما إذا كنت أكرش مثلي فعليك أن تتوقى الشريط لئلا يعلق بشيء منك ، فيفضب لك الشيخ في قبره ...

القبر في الحازمية عبر طريق الشام ، يمر به الناس غير دارين أنه مرقد الذي ملأ مشارق الأرض ومفاريها ، وانفتحت لنبوغه أبواب ملوك عصره وسلاطين زمانه . شكل الضريح الخارجي مثنى مقبب كأنه فانوس هرقلي ، أو قفص شك في رأس قبته هلال ، باهت بكدر وبيش في مفرق الطرق ، داخله أفخم من ظاهره وأبدع ، كالكتب التي أبدعها الراقدي .

زرت ، أول مرة ، منذ سنوات ، فرأيت درابزين صفته ساجداً ، وبابه مفتوحاً للزائرين من ذوي الحاجات ... والوسخ للزئار ... فتألمت وغضبت للنبوغ الممتن . لم أدر من أسب فالتقطت (الدهر) سبة الضعفاء ، وأشبعته سباً وشتماً فانفشت كربتي ، ومضيت في طريقي . ثم عدت بعد أشهر فرأيت الحال قد تحسنت : القبر مكنوس ، والباب مغلق ، أما الدرابزين فمقلوع ، كأنهم استصعبوا إعادته كما كان فحذفوه ، وفي الحذف بلاغة ... سلحت يد من فعل ففي تكسير الباب احسان وأي احسان ، وحسبنا استراحة الفقيد من زيارة الأوباش ، وآثارهم الظربانية ...^(١) .

كما عمل مارون عبود على احياء تراث مشاهير الأدباء العرب ونادي بتكريمهم وزار قبورهم في الأقطار المجاورة التي استطاع زيارتها .

(١) جدد وقدماء ص ١٦٦ .

كتب عن المعري وزار قبره في المعرة (معرة النعمان) وعلى ضريح
الشدياق تذكر ما حدث له يوم ذاك فقال :

(وتذكرت في تلك اللحظة يوم حبسني تخرب دواليب سيارتي في خان بعمرة
النعمان . وما عرفوا اني أتيت خصيصاً لزيارة قبر أبي العلاء حتى أخذوا
يتساءلون منو أبو العلاء ؟ فقال واحد منهم : هذا رجل من عندنا كان مثل
الزير وعنتر وأكثر .

وقال آخر : وله شعر كالزفاتي ومعارك تشيب الأطفال)^(١) .

وفي عام ١٩٢٨ زار مهد المسيح وفي قصيدته التي قالها في تلك المناسبة تحت
عنوان اذكريه يقول :

كانت يا نفس ههنا ، وقواري عن بني الناس في ثنايا الوجود
قد تغنى لهم ، فلم يعرفوه فرمى (نايه) بوجه العبيد
شاعر كان عن ذويه غريباً ليس بأسي ، كالطير الفريد

ويقول مقدماً هذه القصيدة : (قصيدة قلتها حين زرت فلسطين أول مرة
سنة ١٩٢٨ ومشيت على درب الصليب فكتت أشد تأثراً في مكانين : عليه
صهيون حيث تمشى السيد مع تلاميذه ، ثم حين وقفت عند ما يسميه النصارى
(الأبواب الدهرية) وهو الذي يسميه اليهود المبكى)^(٢) .

كما قام مارون عمود بزيارات خاصة إلى البلدان العربية وفي مناسبات معينة
فزار عمان وزار دمشق وحماء وقد كتب في ذلك :

(لا أدري التاريخ بالضبط ولا جلد لي فأرجع إلى المراجع ، أما الحكاية
التي أقصها عليك فهي هذه : كنت في حماة ، فطاب لي المقام فيها وإن كانت

(١) جدد وقدماء ص ١٦٧ .

(٢) زوابع ص ١٨٩ .

كالثور صيفاً . كان الاخوان يتأهبون للثورة ، ولكن وجودي عندهم حال دون ذلك خوفاً على حياتي . وشاء والد الدكتور محمد السراج أن يقيم لي حفلة فكانت على كتف العاصي قبالة قبر أبي الفداء ، وكان من المدعوين الدكتورة أبطال النهضة ثلاثتهم : صالح قنباز ، توفيق شيشكلي ، النائب فيما بعد ، وخالد الخطيب . وغنى المغنسي أبياتا لأبي فراس وقسمها على العود ولما انتهى إلى قوله :

ونحن اناس لا توسط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

قرص قنباز خالد الخطيب في فخذه ثم قال أحدهم : « غداً مسافر الأستاذ من غير شر » ؟ فرددت كلمة (من غير شر) بلا وعي ولما صرت في بعلبك اشتعلت حماة وحرقت السراي ثم قتل الدكتور صالح رحمه الله .

لم أعلم شيئاً من هذا إلا بعد سنوات ، عرفت في الحفلة التكريمية التي أقامها لي الدكتور خالد الخطيب في عمان عام ١٩٣١ ، حكى الحكاية ، رحمه الله . وقال : أخرنا الثورة حتى تحقق لنا وصولك إلى بعلبك^(١) .

(١) ذوابع ص ١١٧ .

ذكرياته مع معاصريه

تاريخ حقبة زمنية ، وتاريخ حقبات سياسية نجده في أدب مارون عبود ، كما نرى وجوهاً كثيرة وأسماءً كثيرة . بعضها عايشها وتعرف الى البعض الآخر من خلال الكتب أو من وراء المذياع . وقد كان لبعضها دور سياسي هام في تلك الحقبة التي عاشها وهي شخصيات تعد من مشاهير عصرها .

ما أردت أن أعدد ، في هذا الفصل ، كل من عرفهم ، مارون عبود ، من رجال دين ورجال دنيا ورجال فن لأن ذلك ليس مقصدي ، ولأنني في فصل متعلق بسيرة مارون عبود ، من خلال ذكرياته ، قد ذكرت الكثيرين ، ولكنني أثرت أن أذكر هنا فقط كل الأشخاص الذين كان لهم معهم ذكريات تركها في طيات كتبه . فقد تجلوا هذه الذكريات للقارئ خطوط سيرته ، فتوضح أمام الباحثين معالم طريق أبحاثه أو بحثه ، إذ عمدت في هذا الفصل أن أكمل لأن أكرر لذلك أثرت أن لا أعود إلى ذكريات ، تحدثت عنها في متن هذا الكتاب منذ حداثة عهد مارون عبود مروراً بمدرسة الحكمة وانتهاءً بمرحلة التعليم التي قضاها في عاليه ، إذ قد أوردتها كما وردت في كتاباته ، لأنها وإن كانت تتعلق بأشخاص تحدث عنهم أو بنقد أديهم فإن فيها ما يوضح بعض الجوانب من شخصية مارون عبود أو يكملها ...

كان لمارون عبود معرفة حميمة ببعض القادة الدينيين منهم المثلث الرحات

البطريركان : الياس الخويك وأنطون عريضة ، فهو يحدثنا عنها وكأنه عاش معها يعرفها حسياً ونسبياً ؛ أما معرفته بالبطريرك الياس الخويك فيؤكد لنا وقد زاره في مقره الصيفي بالديمان ونام عنده ليلتين . كما سبق وذكرنا في حديثه عن زيارته لمدينة بشري .

كانت علاقته بالبطريرك الياس الخويك حميمة ، كما نستدل من كلامه ، وكان يحترمه ويقدره لأنه « شيخ الجبل » بكل ما في الكلمة من معنى ، يقول الحق ويقف الى جانبه . يرفض أن يتدخل أي كان في أمور طائفته لأنه كان يرعاها بعين لا تنام .

ويموت البطريرك الخويك فيخلفه البطريرك انطون عريضة فقدّمه واحترمه وقد رأى مارون في هذا البطريرك مثلاً للقادة كان يحب البساطة وبالرغم من علمه كان صارماً وكان محباً للخير ، كان بطريركاً وكان ادارياً لا ينجل أن يعمل المنجل والمجز وأن يعصب رأسه بفوطة كفلاح لبناني . وفيه يقول مارون عبود :

انتخبوه لأنه (درويش) كما قال له المطران مبارك في الخطبة التي ألقاها بين يديه أثر سيامته .

ولكن هذا الدرويش أراد أن يكون بطركاً كما يكون البطرك الماروني ، فوضع الأمور في نصابها .

أعطى كل ذي حق حقه ، وضبط الكرسي أيما ضبط ، وفي ديونا باهظة ركبت الكرسي ، وظل يبني ويشيد وفي ديون الأوقاف الأخرى حتى مات واقفاً ما بقي من ماله على عمل البر والإحسان .

قد يقول القارئ : ومن أين لهذا البطريرك هذه الملايين وعن هذا القول نجيب : كان البطرك انطون مواطناً عاملاً فأسس شركة شكا المشهورة . وعندما زار رومية أسقفاً قال له البابا :

انك تتاجر .

فأجابه على الفور : عملاً بقول الإنجيل ، وأسأل الله أن أكون كصاحب
الوزنات الخمس !

عاش البطريرك انطون مريضاً طول عمره . ومع ذلك جاوز التسعين .

يقولون ان المعدة بيت الداء ، ومرضه كان في معدته ، ومع ذلك ظل قبل
مرضه لا يحاربه شاب رياضي ، إذا مشى يفر فرأ ، ويصعد الدرج ثلاثاً ثلاثاً .

كان اذا فرغ من عمله الإداري يحمل المنجل والمجز ، ويعصب رأسه بفوطة ،
كفلاح لبناني ، ويمضي في تشجيل حرش بكركي . حتى اذا عاد وقعد ، يسن
الفأس والمنجل كأنه أجير لا بطريرك .

رآه رجل على هذه الحال والزي ، فسأله ، وهو يحسبه الراهب الذي يسميه
الكليروس (رئيس الحلقة) : يا اخي ، البطريرك في الكرسي ؟

فضحك البطريرك ضحكته البريئة : أنا البطريرك .

فبهت الرجل ثم هوى على يده يقبلها . فقال له : ضروري أن يظل البطريرك
على الكرسي حتى يكون بطريركاً ، ماذا تريد ؟

فقال الرجل : أنا من الشيعة الفلانية ، احترق بيتي وما معي مال
حتى أسقفه .

فقال البطريرك : لا تطولها ولا تقصرها ، مات لي شهادة من خوري الرعية ،
بواقع حالك ، وتعال خذ سقف بيتك .

فأجاب الرجل : الشهادة معي . قالوا لي اذا اعتقد البطريرك انطون أنك
محتاج بمدك بما يقدر عليه .

فضحك البطرك انطون وقال : ما أقدر عليه ، أنا أقدر على الكثير ولكن كل يوم يجيئني عشرة مثلك . كم يكلفك سقف بيتك ؟

فوجم الرجل . فقال البطرك : قل الصحيح وإذا كذبت راحت عليك .
فقال الرجل : ثلاثمائة ليرة .

فقال البطرك : بس . اسبقني الى الكرسي .
وهناك دفع له المبلغ .

كان ، رحمه الله ، لا يضيع فرصة يكسب فيها المال الحلال ، ولكنه كان يعطي كل يوم .

وكان ألد أعداء المجد العالمي . فلما حان موعد يوبيله الذهبي كتبت اليه لأقف على رأيه ، فأجاب بالرفض . ومما قال في رسالته : (أيجتفل بيوبيل والحرب قائمة ؟ فإذا أرادوا أن يكرموني فليصلوا من أجلي لأقدر على عمل الخير والإحسان) .

نستدل من كل ما سبق أن مارون عبود لم يكن يوماً ضد رجال الدين ، كما أشيع عنه ، فكان يحترم الكثيرين منهم ، ويحلمهم بإكبار لا مثيل له . يحترم فيهم الجرأة والبساطة والعقل . ويكره فيهم التعسف والتعصب والانسياق الأعمى والكبرياء ، يحترم من يقرون منهم القول بالعقل والعمل ، وهم قلة ويزدري ويسخر من قال عنهم المسيح (اسمعوا أقوالهم ولا تفتلوا أفعالهم)^(١) .

كما تعرف مارون عبود في أورشليم - القدس - على الشيخ أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى . كان ذلك في احياء ذكرى الملك حسين بن علي وازدادت هذه المعرفة فيما بعد كما جاء في قوله :

(١) منلوشات من ١٢٠ .

(عزم المجاهد الأكبر أمين الحسيني رئيس المجلس الأعلى ، على احياء ذكرى الملك حسين بن علي الذي دفن في المسجد الأقصى ، فدعا شعراء الأقطار العربية فكنت من المدعويين فأعددت هذه القصيدة التي كان لها أثر في النفوس وقد وثقت هذه القصيدة عروة المعرفة بيني وبين المفتي الأكبر لما لها من علاقة بالقضية الصهيونية التي كنا نقاومها قبل الحرب العظمى ونسُميها (الخطر الأصفر).

ثم ازدادت هذه المعرفة نمواً فيما بعد ، حين انتقل سماحته إلى لبنان قبل هذه الحرب ، وأقام على مقربة من جونييه ، فكان بيني وبينه مداولة حول القضية التي تهّم كل عربي^(١) .

يبدو لنا من حديث مارون عبود عن الإمام الحسيني أن سبب توطد معرفته به كان هذا الاهتمام المشترك بالقضية التي هي قضية كل عربي ...!

وكيف لا ؟ وهو الذي أولى معظم قضايا عصره الاجتماعية والسياسية اهتماماً كبيراً ...

ربطت أسباب الحياة صلات المعرفة بين مارون عبود ورجالات عصره فقد تعرّف الى رجال السياسة منذ عهد المتصرفية حتى عهد الاستقلال ، فقد زار الرئيس اده أكثر من مرة ، وطالبه بجائزة للشعراء وقد ذكر ذلك في رسالة بعث بها الى المرحوم الشيخ فؤاد حبيش ، كما عرف الكثير من رجالات الدولة رؤساء وزارات ووزراء في لبنان وفي العالم العربي ، وكان بعض منهم ممن تتلمذوا عليه ؛ وقد اتصل بنخامة المنفور له بشارة الخوري الذي عرفه يافعاً ، ورافقه رئيساً ، وتحدث عنه خطيباً وبما قاله فيه :

« عرفت الشيخ بشارة يافعاً ملء اهابه الطموح ، وشاباً يدفعه نبه الى الأمام فشق طريقه بثبات كالضناد ...

(١) زوابع ص ٢٥٧ .

ورأيتُه كهلاً وجد الطريق إلى المعالي ، أفلا يندر المطي بلا سنام ، كما
قال أبو الطيب ؟

جمع الكفاءة من أطرافها . عصامي ضم إلى ميراثه التالد اسمى الطريف
من الأجداد . حمل مشكاة الثقافة الرضاعة فما ضل طريقه ولا تاه . صبا منذ نشأته
إلى استقلال بلاده . شبت بين ضلوع نشأته الأولى نيران هذا الميل ، وأذكاها
العرق المتين الذي أورثته آباء الأجيال ، وإن النار بالعودين تذكى .. وانصب
كالكوكب المنقض في ليلة الاستعباد السوداء ، فكان شيخ المعارضين يوم كان
الناس يحنون الرقاب للانتداب .

كان في أعين المستعمرين قذى ، وفي حلقهم شجاً ، استرضي ولم يرض ،
فظل وإياهم في حرب سجال لم تضيع أوزارها ؛ لا هويثق بهم ولا هم يركتون
إليه ، وإن أنس ، لا أنس مشهد موكب الشيخ بشارة زعيم المعارضة بعد
عودته من سفرته النضالية . لم أنس وقوف القائد (المدور) بوجه الموكب
ليحول دون اختراق عدو الانتداب سوق عاليه ، شاقاً طريقه إلى بيته . كانت
معركة حامية كاد ينطق فيها المسدس . وأخيراً مر . ولم يبلغ بيته فحسب ،
بل بلغت البلاد أقصى أمنيتها في تلك الهنيئة ... وظلت الحرب مستمرة حتى
كان الظفر . أرادوا أن يُنحوه فنحاهم ، وأقصوه فأقصاهم .

خاض معركة الرئاسة معارضاً فربحها خصمه ، ولكن الشيخ ما كل ولا مل .
ما اتزوى ولا التوى . ظل يرفع الصوت شهرة مطالباً بالاستقلال ، منافحاً عن
الدستور ، منادياً بالتقرب من الجار ، والجار ركن الدار .

لكن الرجل اجتاز تلك العقبة وفاز . وضع ميثاقه الوطني فبنى بيت
الاستقلال على (العضادين) ، ولا يزال قائماً رفيع العماد ، وسيظل إلى الأبد ،
فالعرض لا يفسخ الجوهر .

وما حلت له الحياة يوماً حتى أمرت له أياماً فكانت زيارة راشيا. وهناك في تلك الغرفة المشرفة على الوادي ، راودوا الشيخ عن رجال حكومته فما باع الاستقلال لا بكثير ولا بقليل. آثر الشقاء والهوان، على سلامة الأوطان، وأصر ، ومن عادته الإصرار الهادئ ، على أن يعودَ ورجالَ حكومته ، فنصرت الدولُ الحقَّ المغتصب وعاد الجبار إلى عرينه . لقد كنت شاهداً عيانياً لهذه الحقبة ، منذ سقوط عبد الحميد وانهار سلطانه ، الى سيطرة الانتداب والجللاء ، ان هذا الرجل ، وهو ثالث ولاية لبنان تاريخياً ، وأولهم استقلالياً ، لرجل ذو صدر رحب ، يسع لبنان جملة وتقاريق . حلم يزن الجبال رزانة .

ليقل الناس الآن ، في وفي كلامي ما شاؤوا فموعدنا التاريخ «^(١) .

كانت علاقة مارون عبود بالشيخ بشارة الخوري علاقة وثيقة وكانت تربطه به صداقة حميمة آنذاك . كانت صداقة بعيدة عن التزلف خاصة ومارون عبود لم يطمع بشيء لأنه لم يطلب يوماً من الأيام ولاية أو حظوة ولقد كان مكتفياً بولايته الأدبية . فظل يعلم في عاليه في وقت كانت تحوِّله ظروفه بأن يكون من رجال الكراسي . فأثر القلم .

وإذا عدنا وركزنا على الصفات التي أعطاهها مارون عبود للشيخ بشارة بالرغم من حملاته النقدية على السياسة آنذاك نرى أن معظم أفكاره تدور حول مزايا كان مارون عبود يتحلى بها ويقدر من يتحلون بها وبما قاله : كان الشيخ مناضلاً في سبيل الاستقلال وكان مارون يناضل في سبيل الحرية يوم كان الحكم يسوق الناس بعصاه . وهي مزايا كان مارون عبود يقدر من يتحلى بها . عمل بشارة الخوري للانفتاح على محيطه ، وعمل مارون عبود على محاربة الطائفية والطائفيين .

(١) نقداً عابراً ص ٢٤ .

وقصته بل قصصه مع الأدباء طويلة جداً . بدأت معه يوم كان صبياً في عين
كفاع لا يدرك من أمور العلم شيئاً فرأى الأب لامنس يفر مثل الطوير في جبال
لبنان وراء الكشف والمعرفة :

« عرفت لامنس في وادي عين كفاع الرهيب . عرفته يوم كان نشيطاً يفر
مثل الطوير ، ويتسلق جبلنا (العاصي) ليصعد الى الكهف الأشدق ليكتب
عن (دير القطين) ويصف (سيدة البزاز) كنت يومذاك فتى لا أعرف عن
لامنس إلا أنه (بادري) كما قال لي معاز الضيعة . ولامنس لا يلتفت إلي إلا مرة
ليأخذ عني اسم الدير والكنيسة كما يُعرفان . وأنا ما كنت أطمع منه إلا بصليب
وأيقوتة ومسبحة ولكني لم أظفر بشيء غير تحزق ثيابي فعدت الى الضيعة
ليضحك مني رفاقي وأنعت أنا هذا البادري بالبخل ومنذ تلك الساعة لم أر وجهه
قط ، ولم أعرفه فيما بعد إلا من صورته المطبوعة لا أذكر أين (١) .

انتقل مارون عبود من مدرسة الحكمة الى مدرسة اليسوعية مدرسة القديس
يوسف وفيها تعرف على الأب شيخو ، أول أجنبي يعمل بإخلاص في خدمة اللغة
العربية ، بعد أن عرفه من خلال كتبه فكان يكبر في عينيه يوماً بعد يوم :

« أذكر أن أول كتاب أقماني وأقعدني سروراً ، هو الجزء الثالث من
مجانى الأدب ...

وسمنا بكتاب (شعراء النصرانية) فاستقدمناه فإذا هو لهذا العلامة
الجليل ، وإذا كل ما عرفناه من شعراء جاهليين قد خرجوا من تحت سن قلمه
نصارى . (كان التعميد) بالماء ، فإذا به قد صار بالخبير . ولكن هذا ليس
يعنيننا الآن . فكل ما يعني من أدب الأب شيخو خطواته الواسعة الجبارة في
طريق النهضة ثم ظهرت مجلة اسمها (المشرق) وإذا هي للأب شيخو أيضاً ،

(١) جدد وقدماء ص ٢٠٩ .

فكان هذا الرجل يكبر في عيني يوماً بعد يوم حتى عرفته في بيروت، أيام علّمت في كلية القديس يوسف ...

ها أنا ذا في غرفة الاب لويس شيخو نتحدث ونتضحك... كانت ضحكته سوداء، وكأنه انما يضحك غصباً عنه. فهو ذو نفس لا تمل، ولا عقل. أرسلت اليه من مدرسة الحكمة، يوم كنت تلميذاً، قصيدة عنوانها (المراثي) فلم ينشرها. وكان عذره غير مقبول عندي في حينه لأنني لم أكن أبحث عن المفردات في معجم لاروس^(١) ...

كان شيخو يعمل بكل جد لإحياء أدب العرب يوم كانت النهضة الأدبية مساجلات كلامية. وفي هذا الوقت كان مارون عبود يحاول أن يتخلص من لغة المعاجم في تكوين شخصيته الأدبية.

وفي أول حياته الأدبية، يوم كان يكتب في «النصير» البيروتية، تعرف الى فيليكس فارس فيقول مارون عبود عنه في ذكرياته عن فيليكس (متى تقدمت السن بالمرء يتغذى بذكرياته كما يتغذى الجسم بخلاياه. كان فيليكس أعشى مني يوم تعارفنا، فقد كنت جذعاً وكان قارحاً، وما عساي أذكر من فيليكس غير نفحات وآهات، غير تشاؤم مر، غير تلك الابتسامة الواضحة الغامضة التي كان يستقبلني بها، أو يحملها إلي في الغداة والعشي.

كنا نجتمع غالباً في غرفتي المعلقة الواقعة جنوبي ما يسمونه اليوم (تباريس) وكانت على صغرها جمع الخلان - أدباء ذلك الزمان - وهذه واسطة عقدهم قد انقرطت اليوم. جاءني يوماً فرآني معلقاً صورة نيتشه وقد كتبت تحتها: فليفن الضعفاء والمخذولون، أيتها الأم كلي ابنك. فأعجب بهذه الفلته... وكنا كلانا نكبر فرح انطون الذي عرف الادب العربي بهذا الفيلسوف الغربي، وكنا نقرأ معاً

(١) رواد النهضة الحديثة ص ٢٢٦ .

ما يترجمه فرح من زاراتوسترا مسلمين ومميزين ومفكرين ، فراريج تحتك بديك^(١) .

وفي هذه الغرفة التي كانت (مجمع الحلان) كان مارون عبود يناقش (وزملاءه الادباء) ويقيّمون ، وينتقدون ، وتنكشف لهم الأشياء الادبية الجديدة . قرأ مارون ترجمة زاراتوسترا وأعجب ببعض مفاهيم الفيلسوف نيتشه ولذلك فقد كتب تحت صورة نيتشه السقي علقها على الحائط : « فليفن الضعفاء... » ، لانستطيع أن نقدّر مدى تأثير مارون عبود بنيتشه ، دعا نيتشه الى تكوين الرجل الخارق ولكن مارون عبود انطلقاً من مفهومه الواقعي نظر الى الناس فوجدهم أقزاماً جبابرة .

كان مارون عبود محرّر النصير يوم ترك أمين الريحاني رحالة القرن العشرين بلاد العم سام وعاد إلى لبنان يطوف على ظهر بغلته في جباله وأوديته وفي (خرجة) فكر وفلسفة .

كان الريحاني صديقاً لمارون عبود ولفليكس فارس معاً وقد قدم فيليكس كتاب الريحاني « غصن وردة » فنشره مارون عبود في النصير ولكن فيليكس عتب على مارون وكانت : جفوة قصيرة جسداً كما يقول مارون عبود ويتابع فيخبرنا عن احدي زيارته للريحاني و كان قد أصبح من أصدقائه فيقول :

(ذهبت يوماً ومعي الأستاذ اميل أفندي خوري - لا أدري أين هو اليوم - لزيارة الصديق الريحاني فوجدنا عنده زائرة انكليزية فكان ظلّنا طويلاً ثقيلاً عليها في ذاك الضحى ، وكذلك يكون الظل فيه ، فاستطولت زيارتنا تلك السيدة فسألت الريحاني: متى يذهب هذان الظريفان ؟ فأجاب أمين بما لا يلائمنا ، فغمزني اميل خوري ، فودعنا وانصرفنا ، وخبرني صاحبي اميل خوري فحوى

(١) مجددون ومجترون ص ١٤٦ .

الحديث الانكليزي ، فما عذرت الريحاني في ذلك الوقت ، لأن بقاء عشر دقائق لا يستحق هذا الوسام الرفيع ولكن أحوالاً عرضت لي تشبه تلك ، أفهمتي بعدئذ أن الوقت يطول ويقصر بحسب الاستعداد النفسي وأن صاحبنا وآنسته معذوران .

وخبرت فليكس بما وقع ، فهز كتفيه كعادته ، تلك الهزة البلهاء ، وعذري لأنه كان أعرف مني ، في ذلك الزمان بقيمة الرزق^(١) ...

ويؤكد مارون عبود أن عام ١٩٠٨ كان أول معرفته بالريحاني فيقول :
« وجدت في الريحاني أخا راسي ساعة عرفته عام ١٩٠٨ ، أما كيف عرفته فقد سردت خبر ذلك في غير هذا الموضع ونعود إلى هذا الموضع الذي أشار إليه لنرى أن معرفة مارون عبود بالريحاني كانت أثر حفلة خطابية فظلت حركات الخطيب وثوبه الخورسي ولهجته النبوية منطبعة في ذهن مارون عبود .

ويتابع مارون عبود حديثه عن معرفته بالريحاني فيقول : (تدارسنا أدبه تلاميذ أول فصل عرفني به قرأته في المقتطف موضوعه (وادي الفريكة) . وفي جامعة العالم رأيت الريحاني ، أول مرة ، على منبر جمعية شمس البر ببيروت (١٩ آذار سنة ١٩٠٨) . سمعته يخطب الناس فخلت أن عاموس النبي قد أفلت من بين الرعاة ليتنبأ قبل الزلزلة بسنتين ...

علقت بذاكرني عبارته هذه : « الكاهن والطبيب والحامي ثلاثة عقبان من بيضة واحدة » ، وارتسم في مخيلتي يومذاك شكله القسسي أو الفلسفي ، شعر مسترسل كما قال امرؤ القيس ، غدائره مستشزرات ... ولم تفارق مسمعي نبرات صوته الخورسي وحركاته المسرحية التي تلبس عبارته ثوباً جديداً ، وتودع فيها روحاً محيياً^(٢) .

(١) مجددون ومجترون ص ١٥٦ .

(٢) أمين الريحاني - المؤلفات الكاملة - المجلد التاسع ص ٦١٩ .

توطدت العلاقة بين أمين ومارون فأصبحا صديقين حميمين . جمعتهما الأهواء والميول . نقل أمين شعر المعري بلغة شكسبير، وترجم^(١) مارون عبود لأبي العلاء . ثار أمين على الطقوس فشايعه مارون في ثورته وكان لكل منهما قلم مهاز وروح ساخر عاجلا بهما قشور الدين ولم يتطاولا على الديان فوقفا أمامه ساجدين . ظل أمين يعتبره المحرك الأول وسيد كل شيء ونظر إليه مارون بعين الروح فوجده محبة قادرة على خلق كل شيء .

وامحى التكلف بين الصديقين وأصبحا يلتقيان باستمرار وإن بعدَ المقام فيتحدثان بالمراسلة . وكانا يتنادران حيثما اجتمعا ، وهذه نادرة بطلتها أم أمين :

زرت مرة أم أمين ، في غرفتها الخاصة ، فكانت جدرانها معرض صور قديسين وقديسات كأنها حائطاً للمازارية قبلها هدموه . كان قد ثقل سمعها ، فقال لي أمين ، بعد ان استعرضنا تلك الأيقونات وسميتها له بأسمائها ، لأنني اختصاصي : ما رأيك يا مارون ، سنبقي لذكراها بعد الوفاة هذه وهذه .

قلت : ولماذا أترتها ، قال : لأنها تخصصها بعبادة .

قلت : تريد أن تقول بعبادة ، فنكزني قائلاً : وطبي صوتك .

وعدنا إلى الحديث معها فوعدها وعد حر بالغفران الكامل عند الموت بدون اعتراف ومناولة شرط الندامة بقلبها ، فتهللت وتعللت . ولكنني لم أبر بوعدي ، فطالمني أمين بذلك أكثر من مرة لأن أمه تلح عليه .

أسفت جداً لأن أم أمين ماتت ولم تفز بهذه النعمة ، وإن تكن لا تحتاج إليها لصلاحها وتقواها . والتقيننا مرة بعد موت تلك الأم الطاهرة فقال لي أمين : ما قولك ، أتدخل أم أمين الديار السماوية بدون (باصك) ؟

(١) كتب سيرته - راجع زوبعة الدهور .

فأجبتة : إذا قالت انها أمك فمار بطرس لا يردھا^(١) .

وحدث أن ركب أمين ، الدراجة النارية فكبت به أو بالأحرى سقط عنها فكانت مناسبة عادة فيها مارون عبود وظل يحفظ هذه النادرة . يقول :

من حسن حظي اني عدته بعد كبوته المشؤومة ، فرأيتہ في مستشفى ربيز
ممدداً على سريره . خلت المصيبة هيئة ، ولم أكن أدري أنها النومة الأخيرة
فلجأت إلى النادرة كعادتي معه ، كلما التقينا ، فقلت له :

أتركب يا أخي في الستين كما كنت في العشرين والثلاثين . فابتسم ابتسامة
جارحة وقال : ما كل الوقعات تكون في الجورة ، روح بقا .

فقلت له : كل البلاء فيها ومنها يا أمين ... ورحمت من عنده مطمئناً اليه
حتى نعي إلى في عين كفاح ، بعد مفارقتہ بأسبوع . ثم سمعت ما حذف بعد موته
من أقاويل فتذكرت قوله : الكاهن والطبيب والمهامي ثلاثة عقبان من
بيضة واحدة .

ولم يستطع مارون عبود من توديع صديقه الوداع الأخير ، فظل يتذكره
ويعمل لإحياء ذكره وتنقضي الأيام وتبقى ذكرى الريحاني تعتمل في نفس
صديقه فيحاول الاتصال به بعد الموت فيكتب اليه رسالة كانت أولى رسائله
إلى رفاقه الذين غادروا هذه الدنيا . ومن هذه الرسالة يظهر لنا ما أكده مارون
من أن الإنسان في بعض الساعات يعتره شعور غامض فيعرف بما لا يعرف ،
وإذا أردنا تعبيراً أقرب إلى علم النفس نقول يضمحل وعيه وينشط اللاوعي
طاقة تتجاوز المرثيات إلى عالم الرؤى والأحلام .

وهكذا في اتصال روحي وعلى طريقته يخاطب مارون عبود أمين :

(١) المجموعة الكاملة - المجلد العاشر ص ٦٢٧ .

(تحت هذا العنوان كتبت عدة رسائل إلى أصحابي ورفقائي الذين عايدوا الدنيا الفانية إلى الباقية ، فكان أولها هذا الكتاب ، إلى الريحاني حيث حالت (المراقبة) في (الحرب العالمية الثانية) دون الكتابة عنه :

أخي أمين

يا سبحان الله ، ما كنت أحسب أنك أول مدعو إلى مائدتني . وكأني أراك بعيني ، وأسمعك بأذني تتساءل وتقول : (وما مائدتك يا رجل) ؟

ليست مائدتني أكلاً وشرباً ، بل برأ وسلاماً كملكوت الله . هي سفرة بلا ملاقى . أمدتها في هذه الزاوية من (المكشوف) داعياً اليها الناس من بني وبني ... كثيراً ما اجلس المدعويين عليها ، أما حضرتك فمدعو ، اليوم للجلوس اليها ، ويا ألف مرحباً .

كيف حالك اليوم ؟ لا شك أنك عندك خير منك عندنا . السؤال بارد ، والجواب صقيع وجليد . اياك والجواب . دع هذا المنديل الأخضر المعصوبة به عيناي . انه أشد التقاطاً لرسوم الأحلام والأمانى من منديل فيرونيكا الفوتوغرافي وما أظرف تلك الشياطين التي توسوس في صدورنا فنضحي بمنافعنا المحسوسة لتتحقق أمنية قد تكون أكذب من اخواتها وأبشع منهن .

ما لنا والفلسفة . كيف حال من عندك ، كيف حال أخونا جبران ، وصاحبنا فليكس ، وعمنا رشيد ، ماذا أحدثوا بعدنا ، أنجز جبران صورة سلمى كرامة ، هل انتصب فليكس خطيباً أمام الشيخ السرمدي ، وهل التقى أبو أمين بأم القميص الزهر ، أم تراه أنشد البطريرك الياس أحد أزجاله ، هل غضب غضبته (الهاشمية) ساعة عوقوك عن الدخول .

أكان (أخوك فيصل) أول من اجتمعت به تحت زيتونة الجنة ، يا الله ،

كدنا نلبي أستاذنا الشميل : كيف صحته ، أيطيب يا ترى ، أما يناقش توت
عنخ امون في المذهب ؟

لا تقل ما هذه الرقاعة ، أبهذا الكلام الفارغ تودع أصحابك ؟ غض النظر
يا أمين . والله العظيم ، نهضت للقيام بالواجب فوق الطبق ، وكبت الصحون .
يا ليت . تكسرت كلها ...

يعز علي الاوس بن تغلب ساعة يسلم علي السيف فيها وأسكت

انت (بعبع) يا أخي ، قبل الموت وبعده . وإلا فكيف يخنق قلم يودع
صديقه الراحل ، ان تشيع المقضى عليهم بالصلب غير محرم .

تذكرت كلمة الوزير في الجاحظ : أثق بظرفه ولا أثق بدينه . أما أنا
فوثقت بظرفك ودينك معاً . أثبت أنك ممن آمن بالله واليوم الآخر وعمل
صالحاً ، فأبوا ذلك علي وعليك . أنت والله أشد إيماناً من ابن طيما . وحسبك
أنك قلت : ليس في حقائق الوجود كلها أنصع من حقيقة البعث والخلود .

أواه ، لولا تعطيني بعض هذا اليقين فأقول لصنين : تعال إلى هنا فيجيء .
صدقني يا أخي إذا قلت : ما زلت كما فارقنتني . مثل ذاك المطروح عند بركة
(حسدا) ليس من يرميني فيها إذ يجر كها الملاك ولا من يصيح بي : احمل سريرك
وامش . فما أنكد عيش الخلعين .

لا تسألني عن شيء ، فحالي وحالك كبطرس كرامه مع أميره بشير حين
أرسله رائداً فكتب اليه : الصندوق في اسطمبول والمفتاح في لندره . أما صرت
روحاً خالدة فافهم عني واتركني إلى حين ، إلى الساعة التي ينطلق فيها قلبي
فيتجسد رأيي فيك كتاباً . انك تاريخ حقبة مر فيها العقل الشرقي بأزمات
حاولت أنت أن تفرجها ، فمت ولما تستول على الأمد . أما الآن فنحن سكوت
والهوى يتكلم .

خضت المعارك لا تخشى من الرمد ، فمن فراشة في شعرك المنشور إلى نسر
قشمم جثم على قمم المنابر ، وحملق بشمس الحقيقة بعينيه الثنتين .

أوه ، الحمد لذاكرتي ، لم أنس أن أقص عليك خبراً فرحتني جداً ، خبّرني
صديق الطرفين الأستاذ خليل تقي الدين انك (عدت إلينا) وقرأت في (المهدي)
عدد المكشوف الخاص هاشا باشا . أما ألف باء الأرواح فأنبأتنا انك تائه في
برية كالدنهاء... وفيما أنت تتكلم إذا بروح تطلع علينا طلوع صموئيل على عرافة
عين دور . احزر روح من هي . كان محدثنا الشميل ، قال : أمين لم يصل بعد .
الجبائل نصبت في طريقه . عدوه خطراً على العرش . ولكن شفاعته أمه ستقضي
على تلك الدسائس .

بجياتك يا حبيبي ، جاوب عن كل هذا أول بأول . لبتك تتلفن فيرتاح بالننا .
وقد تكون تلك السقطة نستك بعض الأرقام . اطلب عاليه رقم ١ - ٢٨
تجدني منتظراً .

(سرّاً) خبّرني ، والله ، ختام مكتوبي هذا ، لا أدري كيف أنتهي . ألك
كيان فأقبلك ، أو أكتفي بالتحية من بعيد^(١) ؟ .

أخوك مارون

وفي أحد الايام كانت مي زيادة قد عادت من مصر إلى الفريكة ، اصطحب
مارون عبود أمين الريحاني لزيارة أخت الخنساء ، كما كان يسميها . كان ذلك
يوم أراد دعوتها لإلقاء كلمة في ذكرى جبران ويومها عرف مي تلك الفتاة المقهورة
التي أحببت حتى أعياها حبها عن الكلام فكان جوابها يا حبيذا .

يا حبيذا ،

(١) المجموعة الكاملة المجلد التاسع ص ٢٩٧ .

هكذا أجابتنى مي إذ دعوتها إلى الكلام في حفلة جبران التذكارية . كانت يومئذ مجاورة بالفريكة ، بعد محنتها ، وقد صحبنا إلى زيارتها صديقنا وصديقها الريحاني .

تلك أول مرة رأيت فيها وجه مي الذي أطراه الناس نعتاً . رأيتها فخلتني أمام كنيسة مهجورة ، في عتمتها روعة وجلال ، وفي شقوق جدرانها رائحة الفن والدهر . من أين جاءت إلى ذهني ، في تلك الساعة ، صورة ابن الفارض كما رسمها جبران : لست أدري . رأيت في محياها ظل الشباب مسفوحاً على الهرم . قعدت على طراحة ، كعادتنا اللبنانية ، وجلست هي على كرسي بالقرب مني ، فاعتراني اضطراب القاعد قرب جدار متداع أدركت فوراً أنني أمام امرأة لبنانية لم تمح مصر ولا مدينة الغرب خطأ واحداً من خطوطها الجميلة .

يا حبذا ، تلك عبارتنا الاقليمية عند الحسرة المزوجة بالألم ، فهي بنت قرية من قرانا المتواضعة وهي ما برحت تحتفظ بلحن عذب تحدث به لبنانياً عتيقاً لا يتمطق ولا يلوك لسانه ، قابله ماري زيادة بالمثل ، وهي بنت الجبل مثله ، لا تعرف مضغ الكلام ولا صبغ الاحاجيب كبدويات المتنبي .

كم كنت غليظ القلب في إلحاحي عليها ، فواعجباه ثم واعجبها ، كيف لم أفهم ان هذه الهاء هي هاء السكت والندبة . كيف لم أدرك ما احتوت عليه (يا حبذا) من تفجع يعتلج في صدر تلك المسكينة ، فرحت ازيد في الطين بلة ولا أحس . كانت مي تلك الساعة :

كعصفورة في يد طفل يهينها تقاسي عذاب الموت والطفل يلعب

قد ، والله ، كنت أقل من طفل ، وإني لأذكر ذلك وضميري يؤنبني .
فمغفرة يا روح بنتنا العزيزة .

كنت أتأمل مي وأنا في حضرتها ، كأنني غيلان أطوف بربعها الحرب .

كانت تحدثنا بصوت في قرارته حسرة تحاول اخفاءها فلا تختفي . رأيتها تأبى الجلوس بين الصديق الشيخ فؤاد حبيش والسيدة عقيلته ، عملاً بتقليدنا اللبناني الذي تلقته في مدرسة البيت . لم تبدر منها بادرة لا عهد لي بها ، فباتت في عيني مثال المرأة اللبنانية ، لا تجود بأكثر من ابتسامة لما كنا نقهقه من نكات شاردة حضرتنا في تلك الساعة . اسمعت بقولهم : بنت مقهورة . لقد رأيتها تلك الليلة بشخص مي فاستغنيت عن البحث والتفتيش^(١) .

وفي هذه الذكريات عن مي زيادة تبرز شخصيته في حديثه عن نفسه فهو لبناني عتيق يسوق الكلام على بساطته بعيداً عن التصنع .

وعرف مارون عبود كذلك الياس أبو شبكة فصادقه وترك في ذكرياته وصفاً رائعاً له تقرأه فتخال الياس يسيراً أمامك . كان أول لقاء لها في المكشوف . ومرض الياس بل أقمده المرض فزاره مارون مرتين على حد قوله :

وجهٌ أميل الى الطول منه إلى الاستدارة ، يزينه أنف ذو شأن نبيه ، وإن لم يبلغ شأو أنف ابن حرب . وعينان لا تستقران كأنها محاجر مسك ركبت فوق زئبق . أما اديم ذلك الوجه فترابي اللون ، نحاسي ، أو كما قال أبو تمام في وصف عامورية المحروقة .

ضوء من النار والظلماء عاكفة وظلمة من دخان في ضحى شحب

شحوب وأي شحوب ، ولماذا لا ، ما دامت الحرب قائمة على قدم وساق في ذلك الجسد النحيل الذي كان ضحية العين والقلب ... معركة دائمة بين الكريات البيض والحمر كان محترقها ذلك الهيكل الذي عرفه الناس باسم الياس أبو شبكة .

(١) جدد رقدماه ص ١٤٢ .

يختم رأسه البين بين ، فوق كتفين كأنها ميزان معلق في الهواء ، فالكتفان دائماً تترجرجان ، وقلما رأينا القب على العائق ... أما الجبهة فمجمدة ، ولكنها تتأطح الجو ، فالشمم في ذلك العرنين ما فارق صاحبه حتى على فراش الموت .

إذا رأيت يمشي وشعره كالصوف المنفوش ، يهول موقعا خطاه على نقرات عصاه ، أو يسير الهوينا عارضا عصاه السوداء ، معلقاً نظره بأذيال السحب كأنه يومي إليها لتنزل إليه ، حسبته عرفاً بهم مع الأرواح في الأبراج العليا لا شاعراً يعيش في برجه العاجي .

كان إذا قال لك : حياك الله وبياك ، وتلك كانت تحيته التقليدية ، تخال انك قادم على شر . حتى إذا ما قعد واستراح ، أخذت غيمة السويداء تنقش رويداً رويداً ، ثم يكون الصحو التام .

كان مرهف الحس قد تغضبه كلمة لا تحسب أنت لها حساباً . أما إذا انتقدت شعره ، أو فاضلت بين نثره وشعره فأنت عدو لنوده ، ولا صلح حتى تقوم ناقة صالح .

خلق شاعرنا العظيم ناري الشعور لا يحتاج الى أكثر من عود ثقاب ليشتعل ويطير شعاعاً . فهو أرق من النسيم متى راق ، وأجن من الأعصار متى ضاق .

التقينا ، قبل ظهور الداء فيه ، في دار المكشوف فقلت له : استمد لرتاني ، وامح من قلبك ذنوب النقد فالموت غفار ، فأجاب : أنا مستعجل . ارث أنت وكن منصفاً .

كان يقول لي ، كلما اجتمعنا ، انه أعد رسالة جواباً على نقدي ديوانه (أفاعي الفردوس) وكنت كلما رأيت أطلابه بها وأسأل أين هي ، فيعبس ولا يضحك كهند عمر حين يقول : بعد غد ... ثم مضى لسبيله وما جاء ذلك الغد فكأننا مشتاق الى معرفة ما فيها .

ومرض الصديق العزيز فعدته مرتين ، وقد علقت بذهني صورة الكاهن
الذي دخل ليصلي له ، وأنا عنده ، فإذا بشاعرنا ينسّ أنه مريض فيقعد في
فراشه بخفة عجيبة ، و (يصلّب) برشاقة كأنها لمع اليدين الذي تراهي لامرئ
القيس ... فخلت انني أزور الشاعر الفرنسي فرلين قبل الاحتضار^(١) .

وكانت مارون عبود صديقاً لعمر فاخوري واعتل عمر في آخر حياته فزاره
مارون عبود . ونستشف من ذكرياته مع عمر تلك الروح الساخرة التي تملأ أدب
مارون وهذه النزعة النفسية عنده التي تدفعه للسخرية قد تكون تابعة
من مفهومه للحياة حيث يقول ما وجدت ترياقاً لسم الحياة أشقى من الهزم بها
وبناسها . وإذا كان مارون يهزأ من الحياة وأناسها فإنه أحياناً كان يتندر على
نفسه إذا لم يجد من يتندر عنه كما يقول له عمر .

(عدت عمر أول مرة فخلتني أمام مومياء تحدثني ، فارتعت ثم تجلّدت لثلاث
أربعه ، ولعله قد رأى ذلك في وجهي حتى قال لي : وجهك أصفر !!

فأجبتة : الدرب طويل ، والسلم عال ، وأنا ابن ستين ، فاصبر علي قليلاً
يعد جمالي الهارب .

فابتسم ابتسامة دميعة جداً وقال : تتهمك عليك إذا لم تجد واحداً غيرك .
فقلت : ما وجدت ترياقاً لسم الحياة أشقى من الهزم بها وبناسها .

رأيت اليرقان قد خلع على عمر كل ما عنده من زعفران ، سألته عما به ،
فأجاب بعد سكوت لا أجد له نعتاً : قلة العافية ، وعناء المحبة . الغمرة
انجلت ، ولكن ..

قلت : دعنا من لكن . السلامة غنيمة يا أخي .

(١) مجدنون ومجترون ص ١٢٤ .

فأطرق ولم يجب ، واطرقت مثله ألوم نفسي . وطال السكوت فقلت له :
متى تعود إلى عشك ؟

فأجاب بهز شفتيه ، فعلمت أن للبرقان احلاقاً تشد أزره في حرب عمر . ثم
مشى بيننا حديث متقطع ، موجع ، انصرفت على أثره بأمل قصير الخطى .

وبلغني ان عمر عاد من عند أمه ، فهرعت لأهنته بالسلامة فقالت لي الخادمة :
معلمي في السبital .

فقلت : والست ؟

فأجابت : معه . فكلمت طريقي إلى المستشفى الأمريكي فلم أستطع مقابله .
وتلفنت مراراً أسأل عن صحته ، فكان الجواب برداً وسلاماً .

ثم فصل بيني وبينه الصيف ، فما ضيعت الابن فيه . وعاد عمر إلى بيته فبحثه
مستكشفاً ، فرأيت له لا حياً يرجى ولا ميتاً فيسلى . وتسقطت رأيه في نفسه
فوجدته عريض الأمل ، كبير الرجاء . وقعدنا حيث اعتدنا أن نجلس فلم يشك
عمر الداء بل شكاه سوء الحال وقلة الوفاء .

رجونا أن يكون سفيراً أحمر فإذا به يمسي شهيداً أخضر . . وتباحثنا الغد ،
فإذا بصاحبي متبرم ساخط . تعاون عسره ومرضه على هيكلة الواهي . عاف
عمله في الإذاعة انتصاراً لوطنه فذاعت القسلة في كيبه ، وخسر موردين :
الإذاعة وكلية الآداب ، وأثقل دينه ظهره . لم يبق له غير جراية وظيفته
الحكومية وهي لا تسد ثغرة العقاقير ، فاضطر إلى بيع أعز المقتنى ، وكانت
مكتبته كبش المحرقة .

قال لي : غداً - وغداً بعناها اللبناي الواسع - أدع كل هذا وأنصرف إلى
العمل حرراً .

فقلت : وما نويت أن تعمل ؟

قال : أعود إلى المحاماة ، وأعلمم معك إذا اقتضت الحال .

وحدثت اليه لعلني أدرك عمق بأسه ، ومدى ألمه ، فرأيت بريق زجاجتيه
قد تضائل ، وزيت قنديله قد شح فقلت له : يا قليل العقل ، تعود إلى المحاماة
والتعليم بعدما خيمت في الشاطيء يا أبا منذر ؟

فانفجرت شفتاه زهاء ميليمتر ولم يجب . . فقلت له : كفاك الله شرهما
يا عزيزي ، فالذي لم يسهل عليك عمله شاباً يعتاص عليك كهلاً . أما سمعت
قول المثل اللبناني : بعد ما كبر وشاب حطوه في الكتاب ؟

قال : ولم لا تقول شيئاً ؟

قلت : لكيلا أصير أنا هرماً .

فضحك ضحكة فزعنتي . . ليس بينها وبين ضحكة الهيكل العظيمي
فرق كبير .

كان عمر قليل الكلام معافى ، فكيف به وقد هدّ حيله اليرقان ، وله كبد
مقروحة ، لا يبيعه أحد بها كبداً ليست بذات قروح . كان يعاني مرضاً كالنعاس
يهت ولا يؤلم .

وثبتت عنان الحديث صوب النوادر والفكاهة فوجدته لا ينفشط لها ،
فعدت إلى دار المكشوف أحدث صديقنا الشيخ فؤاد حبيش عن الخطر العتيد .

* * *

وفي خطرة ثانية سألت الشيخ الحبيشي عن حال عمر فقال لي : بخير ، كان
هنا . فقلت في قلبي : إذن ما أبعد الموت عنك يا مارون ، ان صح عمر وسلم .

وذهبت اليه لأهنئه بالسلامة فوجدتني أقول . عفواً : لا تخدع نفسك ،
توق ما استطعت . ما أراك كما أشتهي .

فأجاب : ما كنت يوماً في حياتي كما تروم أنت .. أحس أنني أتحسن ، ولا أدري إذا كنت أبلغ المرتبة التي أجلس فيها أمام قده من عرقك المثلث ، وخرتك الدهرية .

فقلت : الله كريم ..

ونظرت إليه فخلتني أرى ملامح رجل من وراء برقع ، وأني أمام شبح يمثل عمر . وقرأت أن أحدم حمل إلى عمر وسام الاستحقاق اللبناني فقلت : ولم هذه المعجزة ؟ خامرتني ريب فيها فسألت أصحابنا فقالوا لا ، ولكنني رجعت إلى نفسي وقلت : انه قال غير مليح ..

وعدت من « فرصة الربيع » ومعني لأخي عمر شيء من تلك التي شبه بها سليمان حب الشولية في نشيد انشاده . وما وضعت الأثقال لأفعل ، كما قال الأخطل عن قطار فلسطين ، حتى حمل إلى الأثير صوت الأستاذ رثيف خوري يؤبّن صديقنا عمر . فضربت المكتب يجمع يدي وهجم الدمع إلى الحدود ، ولكنه لم يتجاوزها ، كما دقه في المصائب الجلتي^(١) .

(١) جدد وقدماء ص ٢١٢ .

مرضه الأول

أحسن ما يقال عنه أو عن صحته ، وهو مربي عين كفاع ، ما قاله عن (أبي نعوم) حين وصفه في شيخوخته المباركة قائلاً بأن السنين (لم تهرهر جدران بنيته الشائخة ، هيكل ضخم احكم بنيانه مناخ قريته الجبلية فكأنما استعيرت مواده من صخور ضيعته السمراء . كان صلب البنية كصخور لبنان ، صحة استمدها من مناخ لبنان الجبلي ، زار الطبيب مرتين ، مرة حين أصيب ببنت الحمراء عام ١٩٢٦ ومرة أخرى حين أجريت له عملية (البروستات) عام ١٩٥٥ ، وكانت العملية بعلميتين يومذاك إذ مجرى العملية ولا يقفل الجرح نهائياً قبل مرور زمن عليه .

تحدث عن هذه العملية في مذكراته ومن خلال هذه المذكرات ما يؤكد لنا أن صحته جيدة لولا هذا الحادث الطارئ . انه لا يحيد عن شخصيته المميزة فيلجأ إلى النكتة في أشد الساعات حرجاً . انه يرفض الوساطة بينه وبين الله . ان معرفته بالله دون تكلف . وإفاه صاحب إيمان عميق وقد برز هذا الايمان في الكثير من كتبه حيث تتحوّل الكتابة إلى نوع من المناجاة الدينية بين الإنسان وربه . ويبرز أيضاً من خلال هذه الذكريات هاجس الموت فيتحداه مارون عبود مستهزئاً به . يقول :

كنا أعضاء عاملين في مأدبة آل خير الله بمحطة بجمدون ، أعدوا تلك
المأدبة على شرف عريسين حبيبين ، الدكتور اسكندر حقي وأخيه كمال . في

تلك المنية نظر إليّ عمّها الطبيب الأعظم الدكتور يوسف حقي نظرة خبير ،
وقال لي : رُحْ صوبنا حقي نعمل لك روداج .. فرحت أسأل وما الروداج !!؟
وأخيراً فهمت فقلت لنفسي ، ان سيارتي موديل سنة ١٨٨٦ أما كان الأخرى
بالدكتور أن يقول تصليح ؟

كان ذلك في حزيران سنة ١٩٥٥ ، وكان مساء وكان صباح فنسيت حالي
وذهبت إلى عين كفاع غير ذاكر ما قاله لي الطبيب الذي أنقذ حياتي ، أول
مرة ، عام ١٩٢٦ . تداركني حين أصبت ببنت الحمرا وقطع الطريق على
عزرائيل الذي كان قابلاً في وصيد باي ينتظر الفرصة الملائمة ، فانتهره الدكتور
يوسف حقي فلف ذنبه وراح مهرولاً يفتش عن غيري ...

وما تذكرت روداج الدكتور حقي إلا عندما قمت من صرعتي المشؤومة
صباح يوم ٢٣ تموز ، وكان يوم سبت ، كأن الله الذي استراح من جميع أعماله
أراد أن يستريح مني .. ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، فأسرعت إلى بيروت ،
بل أسرع بي أولادي إلى الدكتور حقي فاستقبلني تلميذي الطاهر الدكتور حقي
الثاني ، وأحلت إلى الاستيداع في مستشفى سان شارل . وبعد هنيهة دخل علي
الدكتور حقي وقال : ما جئت إلا بعد ان عملت اكسيدان؟! ثم راح يفتش عن
الموتور . وما كان أشد تمجبي حين قال : إنه ما زال صالحاً . الموتور بضاعة
قديمة وكذلك المراوح والمصافي ، إذن لا يزال في اليد حيلة . وأخذ الأطباء
معاونو الدكتور يروحون ويحيثون ، يفحصون ويدققون . ومشت أسراب
الراهبات والمرضات فتخيلتن كما قال شوقي في وصف سقف كنيسة آجينا
صوفياً في عهدا البيزنطي :

فن ملاك في الدجى رائح إلى ملاك في الدجى مفتد

هذه تحمل علاجاً يبلع ، وتلك في يدها ابرة تزج ، وهاتيك تجيء بميزان
الحرارة ، وغيرها تحصي أنفاسي ونبضي . قيامة قائمة .

وإذا سألتني رأيي فيهن أجبتك بالمثل العربي القديم : لا رأي لحاقن . كنت مشغولاً في جسدي ، لا أرى الوجوه إلا صفراء ، وأخال الابتسامات جهشة المتباكي .

دعاني الدكتور حتي بالأمس إلى الروداج ، فإذا بسيارتي أمست اليوم بحاجة إلى نفص . قالوا ان هارون الرشيد احتبس ليلة ما ، فتمنى لو يعطي نصف ملكه بتلك الليلة ويستريح من تلك الملعونة . أما أنا فماذا أقول ؟ بل ماذا أعطي ؟ بل هل انتظر شيئاً مما ينتظر الرشيد من جوار . . . سبعة عشر يوماً قضيتها بلا نوم ، لم تغمض لي عين ولا هدأ لأولادي قلب . . . سيارتي في الكاراج ، والله أعلم متى تخرج ، وكيف تخرج .

كان امرؤ القيس ينتظر نجوم الليل ويراقبها . أما أنا فكنت أراقب من باب غرفتي الخلفي مصابيح السان جورج ولافتة بالم بيتش ، وهيهات أن تخبو تلك الأنوار . وكثيراً ما حدثتني نفسي عند اشتداد الأزمة ان أتدهور من البلكون وأستريح من تلك الآلام التي لا تطاق .

كافت ابتسامة الدكتور اسكندر والدكتور كنعان تشجعتني على الطمع بالنجاة ، وبقيت كذلك حتى جاء خبر العملية . كانوا فيما مضى يقولون : آخر الدواء الكي ، أما في هذا العصر فأخبره شق البطن . . . ومن ينتظر العملية كمن يلقي بنفسه في أشداق حوت يونان ، ثم ينتظر أن يبصقه ، وهل من حوت أوسع شداقاً وأحد أنياباً من الموت ؟

وأخيراً جاء الجراح النطاسي الدكتور بولس يقول : إننا نسن الأسيخ ، فهزرت برأسي وقلت له :

إذا لم يكن غير الأسنة مركباً فليس على المضطر إلا ركوبها
يا مرحباً بالعملية وبك يا دكتور . وبعدما تحدثنا ملياً خرج من عندي

ليقول لإبني الكبير : أبوك معنوياته قويّة جداً ، وهذا ما يساعدنا على نجاح العملية .

ثم دخل المبنىج الدكتور أبو حيدر بعد حين . وفي موعده جاء الدكتور حتى فسأله ، فقال : قرّرنا أن نفتح لك البوتير !

فقلت : وأي وسام نعد لها ؟ . فقال : وسام العمر الطويل .

ولمّا كان صباح الاثنين لم أرض أن أحمل على المحفة كالمعتاد ، بل مشيت إلى غرفة الحياة ، حتى بلا عصا ، مشيت بخطوات ثابتة مشية جندي إلى ساحة القتال . وتذكرت «الإرادة» في تلك الدقيقة الفاصلة بين الحياة والموت فتشددت ، وقلت : لن أموت ، سوف أستريح من أوجاعي وآلامي وأحيا .

وقبل أن أستلقي على الوضوء ، قلت للمبنىج الدكتور أبو حيدر ، وأنا أقلب عيني في زوايا الغرفة : وأين هو ؟ فخالني أهذي ، فأفهمته إنني أسأل عن الموت أين يتخبأ ، وقلت للموت وقد تمثّلته أمامي : إيتاك والغدر ، لا تكن كالسارق ، كما قال المسيح ؛ فإن كنت بطلا فهذه الساحة لي ولك ، فهلتم .

وأخيراً غبت لأعود بعد ساعات أحمل في بطني نبريشاً ظللت منه في جهد جهيد مدة خمسة أشهر ، كانت تعزيني على آلامها المزعجة أنها مكنتني من نكتة لا بأس بها . كانوا يتحدثون أمامي عن الاختصاص في هذه الأيام ، فقلت لهم : أنا تخصصت مؤخراً في المستشفى ، ولكن اختصاصي تحتاني ، فصار عندي لكل عمل آلة .

وهناك نكات أخرى كانت ترفه عني وتنسيني قلق الليل ، منها هاتان النكتتان :

فواحدة جاءت من صوبنا : دخل عليّ واحد ، ولمّا كان لا بد من المحكي في مثل هذه الأحوال قال : الحمد لله على السلامة .

فقلت : لا تتسرع ، يا عمي الخطر قدّأمننا .

فأجاب : الله يبعده . ما على قلبك شر ، ولكن الذي حيرني وحير أهل الجيرة كلها ، هو انه كيف وصل اليك مرض البروستنت وبلادنا نظيفة منه ؟ وكان الدكتور أمقر حاضراً فمات من الضحك . فقلت له : إنها رمية من غير رام .

وواحدة ثانية أتت من امرأة نصّف . دخلت فرأت النبريش في الزجاجة المعبودة ، وأنا ممدّد على كرسي ، فقالت مستغرّبة : يا ! خبرونا ان مرضك ثقيل ، وهذا أنت تشرب أركية . على كل هي أحسن من العطوس ، وخصوصاً إذا كانت مثل هذي : لا جمر ، ولا دخان .

ورأت ماء أركيتي أصفر ، فتحلّجحت لتكّب الماء وتنظّف الزجاجة وهي تثرثر : معرفة الراهبات قليلة بمعاملة الأركية ، ولا يشدّ بالبقرة غير صاحبها . فقلت لها : نسيت أني ذكر ! قولي المثل كما هو ولا تستحي : لا يشد بالفدان إلاّ صاحبه .

ودخلت الممرضة وأخذت الزجاجة التي كادت تمتلئ ، ففهمت أم حنا أنها أركية مستشفى ... هكذا سمّتها ، وهكذا كنا نسمّيها ، عند حاجتنا اليها في البيت ..

قالت العرب : على الرائد أن يصدق أهله ، وأنا قد استفسرتني القدر إلى الأبدية ، ولكنني كنت سفيراً غير مرغوب فيه فأرجعت عن الحدود . وقفت على أبوابها ولمّا أدخلها . وعدت على أعقابني أشكر من يشكر على المكروه ، وأبي وجدي اللذين أورقاني هذا الموتور ، أي القلب ، الذي لم يحتاج إلى خراط ولا ولا ...

وما استرحت من آلام الاحتقان الطبيعي الحادة ، حتى بقيت ستة أشهر

كاملة أعاني ألم الاحتقان الفكري . مرت أحداث خطيرة لم أعلق عليها ، ولكن الغد لنا ، فسوف نعلق ان شاء الله . إذا قلت لك انني منذ بلوغي رشدي لم أنقطع عن الكتابة يوماً واحداً فصدقني ، أما إذا كنت مثل توما لا تصدق ما لم تضع اصبعك فتعال لأريك دفترأ من دفاتري يرجع تاريخه إلى أكثر من نصف قرن ، فترى آثاري الأولى وتضحك. من مارون عبود الماضي ، إذ لا ترى فيه إلا شيئاً لا يكاد يدرك من ملامح مارون عبود الحاضر . فأنا ، يا أخي ، عملت نفسي على ذوقي ، فإن أعجبك شيء في " فالفضل فيسه لي لأنني ما شيت الزمن فلم أتخلف عن ركب ساعة ، وإني أعاهد الشباب على هذا وأرجو أن يعملوا دائماً وأبداً وهم واصلون إلى ما يبغون .

عفواً ، قد قطعنا حديث العمليات ، فهناك عملية أخرى تنتظر أن أتحدث عنها . ها قد رجعنا إلى بيت خالتنا ، أليس المستشفى كالسجن ؟ كنت هذه المرة أشدّ خوفاً مني في المرة الأولى . ولكنني بقيت أشجع نفسي وأقول لها : العملية ناجحة بدون ريب . وظلت أكرّر ذلك حتى تمكّن هذا الاعتقاد في نفسي . وبعد فأنا لم أخدعها ما زال يسهف الجراح قلب كالمهدة ، ورثتان كجناحي العقاب ، وكليتان كنبع افقا ، يحنو على هذه كلتها صدر كالكبير عامر بالاستهزاء بالموت والاستخفاف به .

كان قبالي في غرفتي مصلوب - لا تظن أنه ظهر لي كما ظهر للبابا - ولكنني ذكرته لأروي لك ما حدثته به .

قلت له : هيني ، يا سيد ، شيئاً من شجاعتك لأستقبل الموت ، فالعملية ليست لعبة في كل حال . أنت طلبت من أبيك أن يميز عنك الكأس ، ولكنك شربتها ليكسب الناس الحياة الأبدية فقلبت الموت بالموت ، وأنا سأشربها لأغلب الموت بالحياة وأكتب بعد وعزائي على عيشتي أرمل دهر ، هو ان أبنائي لم يكونوا كتلاميذك الذين لم يسهروا معك ليلة واحدة . انهم لم يناموا قط .

وأخيراً كما مشيت أول مرة الى غرفة العملية بخطوات ثابتة ، مشيت اليها ثاني مرة ، وقد سمعني قلميذي الأستاذ رشاد بيبي أقول لأولادي : أنا راجع بعد قليل ..

وقلت للجراح النطاسي الدكتور حسيب بولس : لا تربط لساني كما تفعل بغيري . لا تخف أن أبلعه فهو الحيلة والفتيلة .

فاتني أن أذكر لك حادثة طريفة : قبل العملية الأولى جاءني كاهن وهو صديق ونسيب ، يريد أن يهد لي الدرب إلى الأبدية ، فقلت له : ثق يا ابن عمي انتي لا أحتاج إلى من يدلني على درب بيت أبي .. وإنتي في غنى عن وسيط يفتح لي الباب . وأنا والرسل جميعاً أصحاب فلا بد من أن يفتح لي واحد منهم . ناهيك أن معي جواز سفر من الاب الاقدس ، باص ديبلوماسي يساعدي على الدخول ، تكفي كلمة واحدة لأطهر من آثامي وأدخل الجنة بشيبي ، كما يقولون . وقبل وبعد « بعد بكثير » يا محترم ، فأنا لا أموت في هذه النقطة ، وإذا عشت وعشنا وعزناك لا نخيبك .

ومضت المعركة الثانية بسلام ، وكان جنودها أطباء وعلماء نطاسيون ، وجراح شاب واثق من علمه ومن نفسه ، وراهبات ماهرات ، وممرضات كأنهن راهبات . فإذا قلت لك انتي شعرت أثناء إقامتي في المستشفى أن كل من فيه من كبير وصغير ، كان يسهر عليّ ويهمني أن تنجح عمليتي ، فصدقني .

آخر سنوات التدريس

لم تمض فترة طويلة على شفائه ، بعد العمليتين اللتين خضع لهما ، حتى عاد إلى التدريس في (الجامعة الوطنية) . يطالع ويكتب ويستقبل قاصديه من مندوبي الصحف ، فتدور الأسئلة حول الأدب والنقد ، ويبيدي رأيه بما توصل اليه من قناعات حول القصة والمسرح والشعر والأدب بشكل عام . يحرر في بعض الجرائد وينهي بعض كتبه .

ترك (الجامعة الوطنية) عام ١٩٥٧ بعد أن امضى فيها خمسة وثلاثين عاماً . سؤال يراود الكثيرين حول أسباب تركه الجامعة الوطنية ، ولا سيما إنه لم يتركها ليتقاعد بل ليلتحق بمدرسة أخرى ، وفي عاليه بالذات ، هي (المدرسة التوجيهية الجديدة) لصاحبها الاستاذ أنيس باز .

أما الجواب فهو ، ان صاحب الجامعة الوطنية الياس شبل الخوري - رحمه الله - قد أجبرها لجماعة من الأساتذة لاستئثارها ، فرفض البقاء فيها بالرغم من العروض التي قدمت له ، وانتقل إلى مدرسة تأسست ، حديثاً يدرس فيها الأدب العربي للصفوف النهائية ، ومرد ذلك ، انه آمن بالتعليم كرسالة ، بعد ما تخرج على يده جيل كامل ، انتشر في جميع الأقطار العربية ، فأحسن أن الجامعة الوطنية هي جزء منه ، عز عليه أن تؤجر وأن يتركه زميل جهاده فيها الياس شبل فتركها وكان ما كان ...

(١) راجع خطاب حفلة اليوبيل من ١٩٠ .

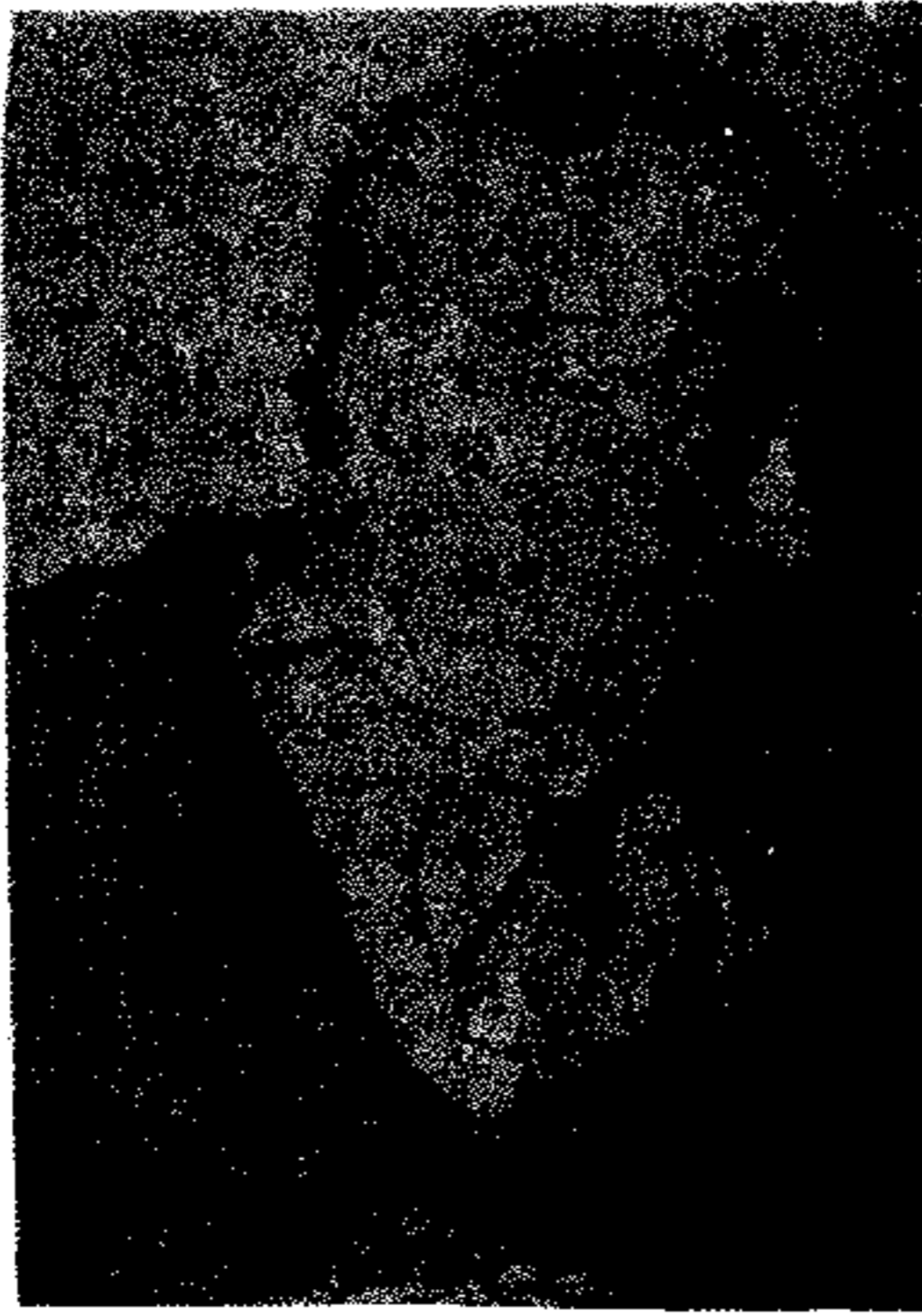
مرضه الأخير

في الرابعة والسبعين من عمره بدأ يحسّ بدوار خفيف أخذ يشتدّ يوماً بعد يوم فنصحته الأطباء بالإخلاء إلى الراحة وبعدم إجهاد نفسه وبالكف عن القراءة والكتابة ، لأن هذه الدوخة كانت نتيجة طبيعية للشيخوخة بعد ارتفاع نسبة السكري في الدم ونشاف العروق .

في بداية مرضه لزم البيت ، ولكنه ما انقطع عن العمل نهائياً ، بل ظل ينقح مخطوطاته من وقت لآخر ، وحقاً ، ان تلك الفترة الأخيرة من حياته ، وما احتوت من نشاط أدبي - وإن محدوداً - يميز اعتبارها حلقة من سلسلة نشاطاته ، في خدمة لغته العربية ، وبني قومه بحسابه نصف قرن ونيف ، في مختلف حقول الأدب والتربية .

ظل يطالع ، في بعض الأحيان ، ويستقبل زواره من أدباء وأصدقاء وصحفيين ، يتندر معهم ويتذكر الماضي البعيد والقريب . وفي هذه الفترة التي دامت ما يقارب السنتين والنصف كان يتضايق كثيراً من عدم مقدرة على العمل إذ كان يشكو نشافاً في الشرايين - كما مر معنا - يتسبب في دوار (دوخة) يزعبه كثيراً ، ويحد من نشاطه الجسدي والفكري ، وكان هذا الدوار ، تشتد حدته مع الأيام ، فيرميه أرضاً ، ويؤذيه ، ان هو مشى بضع خطوات لوحده ، غير مستند الى أحد . وفي السنة التالية من مرضه ، كان هذا الدوار ، ينتابه أيضاً إذا قرأ أو كتب أو تكلم طويلاً ، مما أوجب عليه الكف عن هذه الأمور ،

زاره ذات يوم الأستاذ فؤاد مطر ، أحد محرري جريدة « الجريدة » في أحد أيام
سنة ١٩٦٠ وكتب مادار في هذه الزيارة في عدد الجريدة ٢٢٠١ بتاريخ
١٩٦٠/٢/٢٨ ما يلي :
- ماذا تشكو بالضبط ؟



(مارون عبود يدلي بمحدثه)

- دوار عنيف يهزني ويمنعني عن نشاط فكري . أريد أن أنهض من الفراش
لأنني ما تعودت الخمول لكن الدوار أقوى مني فأراني على الأرض ، وأعاود

الكرة فاعاود السقوط ، صعب علي الانقطاع عن العمل وقد قضيت حياتي
نشاطاً محوماً مستمراً .

ثم أكمل :

كان يلذ لي أن أستبق الفجر كنت أعتز عندما يستيقظ الديك
بعدي ... ولكن انظر حالي هذه الأيام ... لا أستطيع أن أمشي ثلاث
خطوات ... والممنوعات كثيرة : الكلام الزائد مضر ، لا تتكلم . اكل غير
اللبن والأرز المقلبي بالسمن النباتي مضر ... لا تأكل غير هذين الصنفين ! شرب
العرق ينهي حياتك إياك والعرق ! اشرب قليلاً من الكونياك ، وأمرك
على الله ، لا تكثر من القهوة ... الحمد لله لم (يمنعوا العطوس) عني .



(مارون عبود يتنشق العطوس)

وقد ظهر هذا الداء معه قبل اعتزاله العمل بمدة غير قصيرة . ولكنه كان
يكابر ، واستمر في عمله التربوي ، مع نشاطه الأدبي ، رغم مشورة الأطباء ،

وإلحاحنا عليه ، بالرفق بصحته ، وإخلاذه الى الراحة . الى أن كان العام الدراسي ٥٩ - ١٩٦٠ إذ اشتد عليه المرض ، وضعفت همته ، وانهارت قواه ، فلم يقوَ على اتمام ذلك العام الدراسي .

وقد أمضى فترة المرض بين قريته عين كفاح ، في منطقة جبيل صيفاً ، والكسليك - جونية شتاءً .

لم يكن يحب بيروت وضجيجها على حد قوله ، اقتنع بالإقامة في الكسليك حيث الجو أقرب الى القرية منه الى المدينة ، والتي كان يقول عنها :

« بيروت لم أحبها في حياتي . أنا أحب الدنيا ، الله ورسله وأنبياءه ، من خلال حيي للقرية . تكفيني رؤية طرقات جونية الصخرية ... تكفيني رؤية الصنوبرة التي عمرها مئات السنين ... انني لم أحب الضجيج في حياتي^(١) .

كثيراً ما كانت تتوارد الأسئلة عن والدي ، وقد رأيت أن أورد بعضاً منها هنا ، لأنها على ما أظن ، تفي بالقصد :

كيف كان نشاطه عندما بدأ مرضه ؟

- ما كنت أعتقد أن مثل هذا النشاط الزاخر سينقطع هكذا سريعاً ، كان يدير مدرسة ، يدرس ، يؤلف - شغل المجلات ، الجرائد ، الإذاعات العربية ، واللبنانية ، ينقح كتبه ، يهتم بشؤون بيته كوالد ووالدة في آن واحد ، لأنه فقد زوجته منذ ولادتي ، وكل ذلك بدقة فائقة وكلية .

هل انقطع عن العمل أثناء مرضه ؟

في رأيه هو ، انه انقطع عن العمل ، باعتزاله التدريس ، وابتعاده عن مركز

(١) مارون عبود والصحافة ص ٦٦ .

نشاطه التربوي ، وملازمته البيت . أما أنا فلم أرَ ذلك ، لأنه تابع نشاطه الأدبي ، مطالعة وكتابة ، خاصة في السنة الأولى من مرضه .

ما هي الأعمال الأدبية التي مارسها ؟

- بالإضافة إلى قراءة الصحف والمجلات ، ومطالعة الكتب ، فقد أشرف على طبع كتابين له ، هما : (أدب العرب ، ونقذات عابر) . كما أشرف على إعادة طبع كتابين أيضاً ، هما : (الرؤوس ، ومجددون ومجترون) . وفي الوقت نفسه ، كنا نراجع مسودات بعض الكتب وننسخها . منها ما طبع بعد وفاته مباشرة ، وهما : (فارس آغا) التي كان يعدها قمة نتاجه و (الشعر العامي) . فهل يا ترى يعتبر منقطعاً عن العمل ، من كتب ، وراجع ، وصحح ، وأعد للطبع ، اثني عشر كتاباً ، لتضاف إلى الأربعة التي سبق له أن ألفها ، وطبعها ونشرها . كما كتب بعض المقالات للصحف وللإذاعة ، أما مقابلاته للصحافيين والإدلاء لهم بأحاديث في مختلف المواضيع ، فقد استمرت إلى ما قبل وفاته بأشهر معدودة .

وأهم هذه المواضيع : القصة العربية ، الشعر الحديث ، اعلام الأدب العربي الحديث ، التعليم في لبنان ، الصحافة اللبنانية ، إنتاجه الأدبي ، شبيبة اليوم ونهضتها العربية ، الترجمة ، هذا وقد بلغت أحاديثه للصحفيين سبعة عشر حديثاً ، ظهرت في الصحف المحلية في حينه ، جمعها بعد وفاته في كتاب صدر سنة ١٩٧٨ ، يستطيع من يطلع عليه ، الوقوف على الكثير مما نحن بصددده الآن ، « مارون عبود في أيامه الأخيرة » .

هل في كتاب «رسائل مارون عبود» الذي صدر سنة ١٩٧٧ ما كتبه أثناء مرضه؟

- أجل ! هناك رسالتان ، كتب مسودتها بيده سنة ١٩٦٠ ، أحدهما

(١) مارون عبود والصحافة ص ٦٦ .

الى رئيس الجمهورية يومذاك ، المرحوم اللواء فؤاد شهاب ، والثانية الى جمعية
أصدقاء الكتاب لمناسبة فوزه تلك السنة ، بجائزة رئيس الجمهورية ، والتي منحت
آنذاك لأوفر نتاج ، لأديب لبناني . ومسودتا هاتين الرسالتين محفوظتان في
متحف مارون عبود ، ومن يطلع عليها ، يلاحظ أمرين متناقضين في كل منها ،
بلاغة الإنشاء ، الدال على عقله الجبار ، وفكره النير ، وتشويش الخط الذي
يكاد لا يُقرأ ، الدال على جسمه الضعيف وقواه المتهارة .

كيف كانت حالته النفسية أثناء المرض ؟

— كان صبوراً على الألم والحрман ، غير يائس أو خائف من النتيجة المحتومة ،
لا تفارقه ابتسامة الرضى ، كما لا تفوقه نكتة الدعابة .

فلما أصبح عاجزاً عن الوقوف ، بسبب الضعف ، والألم ، والدوار ، صار
يستقبل زواره ويسلم عليهم وهو جالس في مقعده ، ويقول مازحاً : أنا مثل
ستات اليوم ، لا أفق عند السلام ... أسلم على القاعد .

ولم يكن الموت ليخيفه ، أو يقض مضجعه ، وهو القائل في كتابه « سبل
ومناهج » اني أعجب كيف يخاف الموت ، من لا يرى أمامه حقيقة ثابتة غيره ،
نعلم أننا ميتون . وإذا حصل الموت ، قننا وقعدنا ، وتفجعنا ، كأنما قد حل
بنا أمر غير منتظر ، ولا مقدر . فمن لي بمن يضحك ويقهقه يوم أتوارى ، لتقر
بذلك عيني ، وتطيب نفسي ، كممثل هزلي يسدل عليه الستار ، بين تصفيق
النظارة ، وعربدتهم الضاحكة ، وهل الحياة غير رواية هزلية «^(١) !

وقد أكد هذا الرأي بقوله لأحد زواره ، وهو يشعر بأنه والموت أصبحا
على موعد :

(١) سبل ومناهج ص .

و أنا لا أخاف الموت . صدقتني إذا قلت لك اني أدعوه كل صباح ، للدخول الى غرفتي . لكنه جبان ، يخاف مني ، ربما لأنه لم يعرف بعد ، ان مارون عبود القديم انتهى وأن مارون عبود الحالي ، لا حول له ولا قوة ،^(١) .

أما ما كان يضايقه كثيراً فهو اضطراره لهجر الكتاب والقلم ، اللذين رافقاه طويلاً ، وكانا خير رفيقين له . ولم كان يردد في هذا الصدد قول جبران خليل جبران :

(ما أشقى الروح التي تريد ، ولا تستطيع) .

اذن متى انقطع نهائياً عن العمل ؟

هذا السؤال يذكرني بآخر كلمة كتبها ، كانت توقيع اسمه تحت اهداء لحفيده من ابنته حاول أن يكتب كلمة الإهداء فلم يستطع طلب مني أن أكتب عنه عبارة الإهداء ، فكتبتها ، وأمسكت بيده وفيها القلم لأساعده على توقيع امضائه ، وقع ولكنه لم يترك القلم حتى سقط من يده . وهذا الإهداء محفوظ في متحفه ، وهو بتاريخ ٥ نيسان ١٩٦٢ وعلى الأثر ، فقد قوة النطق ، وأخذ يستعويض عنه بإشارات من يديه ونظرات من عينيه .

هل بقي واعياً حتى النهاية ؟

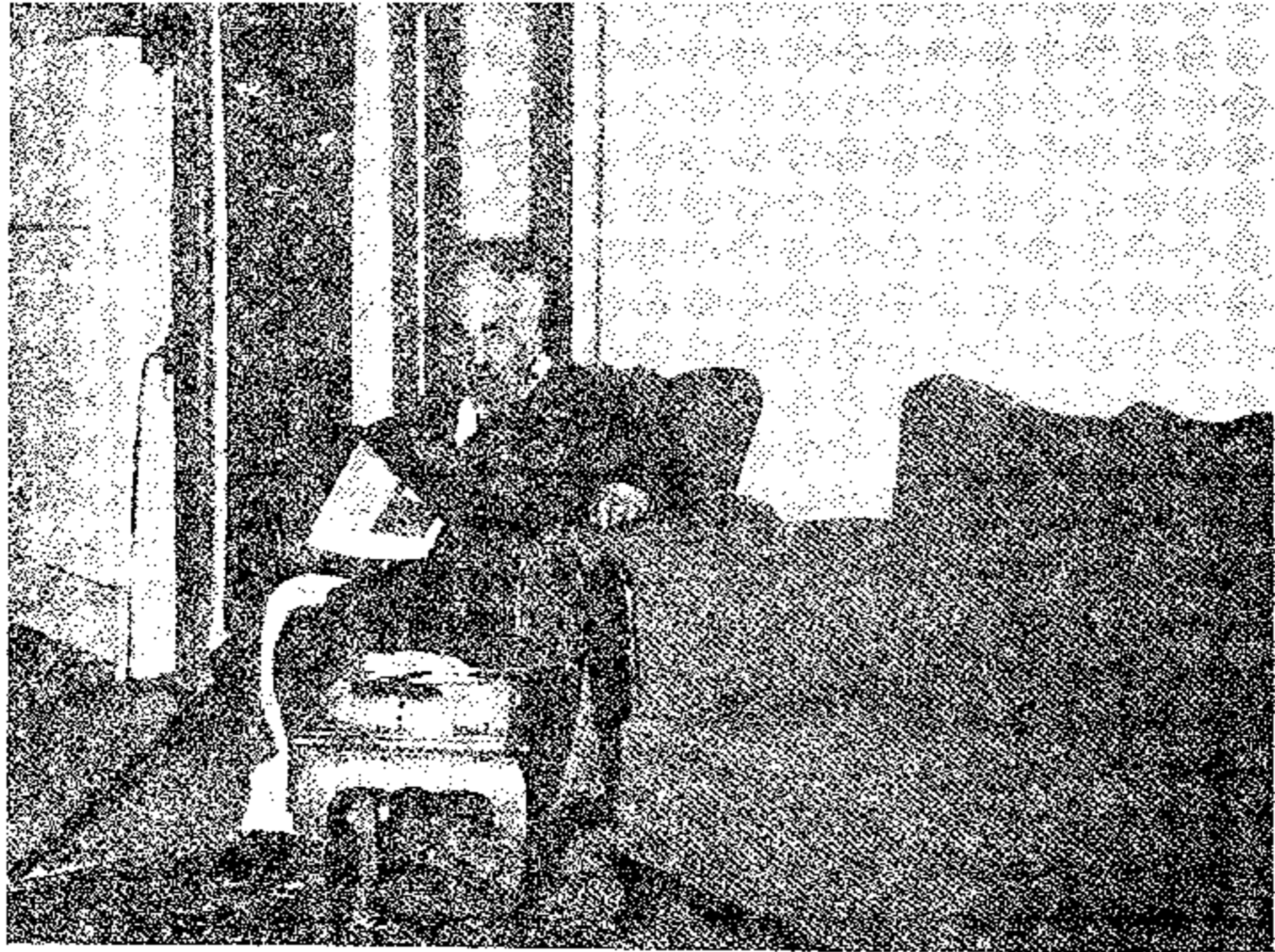
— كلا . لقد فقد الوعي ، وكان في شبه غيبوبة ، أما عقله الجيتار ، فبقي على شيء من الوعي الباطني . أدركت ذلك من تصرفه عندما كنا نقدم له الطعام فإذا شبع وحاولنا المزيد ، كان يشد على الملعقة دلالة على اكتفائه ، ولا يفلتها إلا عند اقتناعه بأننا فهمنا مراده .

هل من حدث بارز في ساعاته الاخيرة تذكره لنا ؟

نعم ، اني لا أزال أذكر ، بل أعيش تلك اللحظة الصعبة ، لحظة الفراق

(١) مارون عبود والصحافة ص ٧٠ .

الأبدي ، كنت خارج غرفته عندما سمعت عطسة منه ، أسرعت إليه لأستطلع ما جرى . فإذا به يمد لي يده والابتسامة على شفثيه ، خيّل إلي في بادئ الأمر أنه يريد شيئاً ما ، ولم يخطر ببالي أنه قد شعر بدنو أجله ، ويريد توديعي ، فأمسكت يده وإذا النبض يكاد يقف ، والبرودة تتمشي في جسمه . استدعينا الطبيب ليجده في طور الاحتضار ، وما هي إلا لحظات ، حتى وقف ذلك القلب الكبير ، وخدمت تلك الجذوة المتقدة ودخل مارون عبود في ذمة الله والتاريخ غروب الأحد في ٣ حزيران عام ١٩٦٢ .



(آخر صورة لمارون عبود بريشة انجليني)

وقبيل الثامنة من مساء الأحد الموافق في ٣ حزيران سنة ١٩٦٢ توقفت الإذاعة عن بث برامجها المعتادة لتنمي وفاته بالكلمة التالية :

« هوى من سماء لبنان مساء كوكب طالما أشرق في دنيا الأدب ، وعالم الفكر فهدي وأمتع وزاد لي بناء الرسالة اللبنانية فأعلى . هو المرحوم لأديب الكبير مارون عبود . »

وللفقيد الكبير آثار أدبية ، غزت أقطار الشرق العربي بمثل السحر والعذوبة والنقطة اللاذعة المستحبة التي عرفها أدباء لبنان الذين عاشوا مارون عبود فأكبروا فيه العقل المفكر والقلب الذي يملئ أشياؤه على القلم فيمتزج ضياؤها وسعرها بالحق المواد الذي صور به مارون عبود أدب العصر وما قبله .

ذلك مارون عبود في أثره الخالد وفي الحياة الطويلة التي عاشها . فكان خير المرين للنشر اللبناني الطالع الذي تعهده الفقيه الكبير بلبنانية صميعة وحذب أبوي وعقل جم وترك له بعد مبارحته هذه الفانية أطيب الأثر وأعطر الذكر وتقلده أرفع وسام يناله حي بعد الموت .

وغداً عندما يسجل التاريخ لأدباء لبنان سيكون مارون عبود في الطبيعة وبين بناء الفكر الخالدين .

توفاه الله الساعة السادسة والدقيقة الثامنة من مساء الأحد في منزله بالكسليك .

وفي الوقت نفسه ، كان الأستاذ رشاد بيبي يملئ ورقة تنمي بالشكل التالي :

طوت يد المتون اليوم علما من أعلام الأدب والفكر مخلفاً وراءه ذكرى لا تمحي ونحن إذ ننمي لكل من خط حرفاً ، الأديب الذي ملأ المكتبة العربية بالخاله من أدبه فإننا ننمي فيه كذلك الأستاذ صاحب المدرسة الحديثة في النقد الفني وتنمي فيه الإنسان الذي شاد للرفاء صرحاً خالداً على مر الدهر .

هذا الكتاب يورخ مارون عبود حق الثالث من حزيران . على أن نستأنف
ما بقي عن مارون عبود بعد وفاته في الكتاب الثاني وحسب التسلسل الزمني

مؤلفاته

١٩٠٩

- (١) المواطن اللبناني الى الجالس على السدة الرسولية :
يحتوي على سيرة البابا بيوس العاشر ، والقصائد التي قيلت بتلك السيرة
جمعها وقدم لها ، طبع الكتاب في المطبعة السليمية جبيل - ١٩٦٠ ص .
(قطع صغير) (نقد)

١٩١٠

- (٢) أتالا ورينيه تأليف الفيكونت دي شاتوبريان ، روايتان مترجمتان عن
الفرنسية طبعتا في المطبعة السليمية ، عمشيت - ٨٨ ص (قطع كبير)
(نقد)

- (٣) كريستوف كولومبوس - رواية تاريخية تمثيلية مؤلفة من مقدمة وثلاثة
فصول . تشير إلى ما قاساه الرحالة في اكتشاف العالم الجديد ، طبع
في المطبعة السليمية عمشيت ٩٦ ص (قطع كبير) (نقد)

١٩١٢

- (٤) مجنون ليلى ، مأساة غرامية أدبية تاريخية ذات خمسة فصول ، طبع في
المطبعة السليمية ، عمشيت ٦٠ ص (قطع صغير) (نقد)

(٥) الاكليروس في لبنان ، يتضمن رد اقتراء كاتب مهاجر على رجال الدين في لبنان . طبع في المطبعة السليمية . عمشيت ، ٤٠ ص (قطع صغير) (نقد)

١٩١٤

(٦) أصدق الثناء على قدوة الرؤساء ، جمعه وأشرف على طبعه في المطبعة اللبنانية بيروت ، ١٢٠ ص (قطع صغير) (نافذ)

(٧) تذكّار الصبا ، يتضمن خطب وقصائد لطلبة صف البيان في مدرسة سيّدة لورد للأخوة المريميين في جبيل جمعها ونسقها وقدم لها ، طبع في المطبعة اللبنانية بيروت ، ٤٠ ص (قطع صغير) (نقد)

(٨) رواية الحمل ، معربة عن الفرنسية (قصة) طبعت في المطبعة اللبنانية بيروت ، ٥٠ ص (قطع صغير) (نقد)

(٩) ربة العود ، قصة معربة عن الفرنسية ، المطبعة اللبنانية بيروت ٦٠ ص (قطع صغير) (نقد)

١٩٢٤

(١٠) المحفوظات العربية (في جزئين) لطلبة المدارس انتخبها وطبعها عام ١٩٢٤ مطابع قوزما ، دمشق وبيروت

الجزء الأول يقع في ٨٠ ص

الجزء الثاني يقع في ٦٦ ص (قطع صغير) (نقد)

(١١) أشباح القرن الثامن عشر - مأساة تاريخية ذات خمسة فصول وضعها لتمثل في الجامعة الوطنية بعاليه

مطبعة قوزما - دمشق وبيروت يقع في ٨٢ ص من (قطع صغير)
(نقد)

(١٢) الأخرس المتكلم رواية تمثيلية ذات ثلاثة فصول - مطبعة قوزما
بيروت ودمشق تقع في ٣٢ ص (قطع صغير) (نقد)

١٩٢٥

(١٣) تيودوسيوس قيصر، مأساة تاريخية تمثيلية ذات ثلاثة فصول - مطبعة
قوزما ، بيروت ودمشق تقع في ٩٠ ص من القطع الصغير (نقد)

١٩٢٧

(١٤) مغاور الجن ، مأساة غرامية تاريخية ذات خمسة فصول مثلت في
الجامعة الوطنية ، وطبعت في مطابع قوزما بيروت ودمشق - تقع
في ١٠٠ ص من القطع الصغير

١٩٢٨

(١٥) كتاب الشعب ، مجموعة من الصور الأدبية ، ترجمة عن الفرنسية
مؤلف من ثلاثة أجزاء ، صوت مؤمن ، صوت من السجن ، العبودية
الحديثة ، مطابع قوزما بيروت يقع في ١٥٥ صفحة (قطع كبير)

١٩٤٥

(١٦) وجوه وحكايات ، قصص من صلب القرية اللبنانية ط دار المكشوف
٤٠٠ ص (قطع كبير)

(١٧) زوبعة الدهور ، دراسة حول معميات المعري وطلاسمه ، ط
المكشوف ، ٢٠٠ ص (قطع كبير)

١٩٤٦

(١٨) الرؤوس - يعرض في هذا الكتاب اعلام الشعر العربي ، ط المكشوف
٤٤٤ ص (قطع كبير)

(١٩) ديوان شعر كلاسيكي ، ط المكشوف ٣٢٢ ص (قطع كبير) (نقد)

(٢٠) على المهك ، محك لمعظم الدواوين التي ظهرت آنذاك ، ط دار العلم
للملايين ٢٤٤ ص (قطع كبير)

١٩٤٨

(٢١) أقزام جبابرة ، مجموعة قصصية تتناول شخصيات القرية اللبنانية ، ط
المكشوف ٢١٦ ص

(٢٢) الأمير الأحمر ، قصة عن حكم الأمير هشير ، ط المطبعة البولسية
١٦٠ ص (قطع كبير)

(٢٣) أشباح ورموز ، فصول نضالية ، ط دار العلم للملايين ١٤٤ ص
(قطع كبير)

(٢٤) مجددون ومجترون ، فصول نقدية لمعظم الشعراء وقائليه ، ط دار
العلم للملايين ٢٦٤ ص (قطع كبير) طبعة جديدة

١٩٥٠

(٢٥) صقر لبنان ، عن رجل النهضة الأول أحمد فارس الشدياق ، ط دار
المكشوف ، ٢٢٥ ص (قطع كبير) طبعة جديدة

(٢٦) الشيخ بشارة الخوري ، ترجمة نقدية أدبية ، ط دار المكشوف
٢٢٤ ص (قطع صغير) (نقد)

(٢٧) بيروت ولبنان ، معرب عن قنصل فرنسا في بيروت آنذاك
هنري غيز ، ط دار المكشوف في جزئين ٥٣٢ ص (نقد)

١٩٥٢

(٢٨) في المختبر، نقد لكتب ظهرت حديثاً ، ط المطبعة البولسية، ٢٥٦ ص
(قطع كبير)

(٢٩) دمشق وارجوان ، نقد لكتب ظهرت حديثاً ، ط المطبعة البولسية
٣١٢ ص (قطع كبير)

(٣٠) رواد النهضة الحديثة ، دراسة لأعلام النهضة الحديثة ، ط دار العلم
للملايين ، ٢٨٨ ص (قطع كبير) .

١٩٥٣

(٣١) جواهر الأميرة ، قصة مترجمة عن الفرنسية ، ط المطبعة البولسية
(نقد)

(٣٢) أمين الريحاني (دراسة) ط دار المعارف بمصر

(٣٣) بديع الزمان (دراسة) ط دار المعارف بمصر

(٣٤) من الجراب (نقد سيامي) ط دار الثقافة

٢٤٠ ص (قطع كبير)

١٩٥٤

(٣٥) جدد وقدماء (دراسة) ط دار الثقافة

٣٣٦ ص (قطع كبير)

١٩٥٥

ط دار الثقافة (٣٦) سبل ومناهج (اجتماع)
٣٠٤ ص (قطع كبير)

١٩٥٦

ط دار الثقافة (٣٧) أحاديث القرية (قصص)
٢٤٨ ص (قطع كبير)

١٩٥٧

ط دار الثقافة (٣٨) حبر على ورق (نقد سياسي اجتماعي)
٢١٦ ص

ط دار الثقافة (٣٩) على الطائر (نقد أدبي)
٣١٢ ص (قطع كبير)

١٩٥٨

ط دار الثقافة (٤٠) قبل انفجار البركان (نقد سياسي)
٢٣٢ ص (قطع كبير)

١٩٥٩

ط دار الثقافة (٤١) نقداً عابراً (نقد أدبي)
٣٢٤ ص (قطع كبير)

١٩٦٠

ط دار الثقافة (٤٢) أدب للعرب (دراسة)
٥٢٨ ص (قطع كبير)

١٩٦٤

ط دار الثقافة

(٤٣) فارس آغا (قصة)

٢٨٦ ص (قطع كبير)

١٩٦٨

ط دلو مارون عبود

(٤٤) الشعر العامي (دراسة)

١٥١ ص (قطع كبير)

١٩٧٤

ط دار مارون عبود

(٤٥) آخر حجر (مقالات تربوية)

٢٠٠ ص (قطع كبير)

١٩٧٥

ط دار مارون عبود

(٤٦) مناوشات (مقالات سياسية)

٢٠٨ ص (قطع كبير)

١٩٧٧

ط دار مارون عبود

(٤٧) رسائل مارون عبود

١٧٦ ص (قطع كبير)

١٩٧٨

ط دار مارون عبود

(٤٨) مارون عبود والصحافة

٢٠٠ ص (قطع كبير)

بالإضافة إلى الكتب المطبوعة هذه ترك المخطوطات التالية ولم تنشر حتى اليوم :

(٤٩) علم الصرف

(٥٠) علم النحو

(٥١) علم المعاني والبيان

(٥٢) قواعد الإملاء

وهذه المجموعة كان قد حضرها ودرسها لتلاميذه ولم ينشرها .

(٥٣) المعجول المسمنة (رواية غرامية فلسفية انتقادية) ألفها في الصوم

الكبير سنة ١٩٠٩

(٥٤) كتاب الخدة وهو مجموعة نوادر كانت تذايع من محطة الشرق الأدنى

تحت عنوان نديم الصباح

(٥٥) الغلامان الأميران تمثيلية مترجمة سنة ١٩١٣

(٥٦) الانتقام الرهيب مترجمة سنة ١٩١٢ (تمثيلية) من تأليف ميشال

زيفاكو كتبها ووضعها بشكل تمثيلي لتمثيلها الجمعية الخيرية في جبيل

(٥٧) الشبح الأبيض ، مترجمة وهي من تأليف لابردان سنة ١٩١٢

(تمثيلية ذات ثلاثة فصول)

(٥٨) وترجم كتاب « الزراعة الحديثة » عن الفرنسية وقد طبق ما جاء

فيه عملياً وهكذا يكون قد أنتج كل عام كتاباً بعد بلوغه الثامنة عشرة بالإضافة

إلى المجلات والصحف التي حرر فيها منها :

العروبة

العلم العربي (البوازيل)

الطليعة

الحكمة

الجمهور

الهدى النيويوركية

صوت المرأة
المعرض
المكشوف
الشرق العسكري
الأحد
كل شيء
الخواطر
الطريق
المجالس المصورة
الصيد
الثقافة الوطنية
الاداب
الهلال المصرية
أهل النفط
مجلة إذاعة الشرق الأدنى
صوت الأحرار
الجندي اللبناني
الكتاب المصري

وهناك عدة مقالات وأحاديث مخطوطة ومقالات نشرت في جريدة الروضة
١٩٠٦-١٩٠٧ وفي جريدة النصير ١٩٠٧ وفي جريدة الحكمة والوطن سنة ١٩٠٩
لغاية ١٩١٤ وعددها ٣٢٧

رسائل مرسلة اليه وعددها ٢١٥٠

ورسائل أرسلها هو ، مخطوطاتها باقية وعددها ٦٣٠

إلى جانب قصاصات ورؤوس أقلام وعددها ٤٥٣٠

فهرس الأعلام

		الالف
١٣٧	أبو راشد نعووم	
١٣٧ - ١٣١ - ١٢٣	أبو راشد عبود	١١٦ - ١١٤
٢٢٤	أبو شبكة اليباس	٥٣
١٧٦	أبو شهلا حبيب	١٣٢
٨٦	أبو صعب بطرس	٩٩
٢٠٦	أبو الفداء	٢٢٤
١٤٥ - ١٤٢	أبو اللع أمين	١٩٣ - ١٣٢
١٤٦ - ١٤٥	أبو اللع فؤاد	٧٥ - ٢٧
١٠٩	أبو نادر مراد	٢٢١
٨١	أبو نادر نعمة الله	١٧٥ - ١٣٨
٨٦	أبو نجم	١٩٦
٢٨ - ١٦	أبو نواس	٢١١ - ٢١٠
٢٢٩ - ٦٨	الأخطل	٢٢٣
١٦٨	الأخطل التغلبي	١١٦ - ٢٠
٢١١	اده اميل	١٨
٩٣	اده يوسف سليم	٢٢٤
- ٩٤	ارسانيوس المونسبور بطرس	١٢٩ - ١٢٨
١٠٧ - ١٠٤ - ٩٨ - ٩٥		٢٣٣
		ابراهيم حافظ
		ابن أبي ربيعة عمر
		ابن أبي ربيعة زهير
		ابن ثابت حسان
		ابن حرب
		ابن الرومي
		ابن سيراخ
		ابن طيما
		ابن عباد الصاحب
		ابن العبد طرفة
		ابن علي حسين
		ابن الفارض
		ابن المقفع
		ابن مقلة
		أبو تمام
		أبو حاتم عيد
		أبو حيدر ، الدكتور

٢٣٨	باز انيس	١٠٨	ارسلان رفيق
١٧٧	باز هاني	٣٣٦ - ١١٤ - ١١٣	ارسلان شكيب
١٥٠	باشا جمال	٥٢	اسحق اديب
٥٨	برصوما القديس	١٠٧	اسطفان حبيب
١١٠	البستاني عبد الله	٥٧	اسطفان
٢٢١ - ٦١	بشير الأمير	٦١	اسطفان يوسف
٩٥ - ٤٦	بطرس القديس	٠٨٢ - ٩٣	اسكاف اسعد
١٣٦	بلمع قبلان	١٩٩	الأسير حسن بك
٤٧	البنطي بيلاطس	٢٣٤	اشقر الدكتور
١٥٣	بوده	١٧٨	الاطرش فؤاد
٤٩	بولس القديس	١٣٠	افلاطون
٢٣٦	بولس حسيب	- ٢٢٦ - ٢١٧ - ٨٣	امرؤ القيس
٢٣٦	بيبي رشاد	٢٣٢	
٦١	البيطار يعقوب سمعان	- ٨٢ - ٧٦ - ٤١	انجيليني اشيل
١٣٩	بيوس العاشر البابا	- ١٠٤ - ٩٤ - ٨٩ - ٨٥	
		١٧٩ - ١٦٩ - ١٥٧	
	التاء	٢١٦ - ٢١٥	انطون فرح
١٠٧	تقي الدين أحمد	١٣٥	انور
- ١١٣ - ١٠٧	تقي الدين رشيد	١٥٠	اوهانس
	١١٥ - ١١٤	٩٦	الياس
٢٢٢	تقي الدين خليل	٨٦ - ٧٨	الياس طنوس حنا
٢٣٥	توما		الباء
	الجم		
٢٢١ - ١٧٧	الجاحظ	١٣١ - ١٢٢	باخوس خليل طنوس
		١١٥ - ١١٤ - ١١٣	البارودي محمود

الحويك الياس ٨٦ - ١٣٩ - ١٥٨ -	٨١	جاك (الاستاذ الفرنسي)
٢٢٠ - ٢٠٨ - ٢٠٢	١٦١	جبر جميل
الحماه	- ٢٢٠ - ٢٠٢	جبران جبران خليل
	٢٢٣	
١٣٢	١٧	جبور زاد
١٠٧	١٩٣	الجر شكر الله
٢٢٢	١٠٧	جرجس حبيب
١١٨	١٥١	جمال باشا
٢٠٦		الحماه
١٨		
الخوري الياس شبل ١٧٦ - ١٧٧ -	٨٦	الحاج يوحنا
١٨٩	٦٦	حبوق طنوس
٢١٦	٢٢٨ - ٢٢٤	حبيش فؤاد
الخوري بشارة ١١٢ - ١١٣ - ٢١١ -	٢٣٠	حقي اسكندر
٢١٢ - ٢١٣	٢٣٠	حقي كمال
٨١	٢٣٣ - ٢٣٢ - ٢٣١	حقي يوسف
١٥٣	٨١	حداد يوسف
٢٢٩	٢١١	الحسيني الامام
الخوري شاكر بك ١٢٣ - ١٢٤ -	٢١١ - ٢١٠	الحسيني أمين
١٢٦	١٧١	الخلي محمد
٨٧	١٠٨	حماده سليم
٥٧	٢٠٦	المداني أبو فراس
١٠٩	٦١	حنا
الدال	٨٧	حنا الخوري حاقل
١٠٠ - ٩٣ - ٨٣		حنون نعمة الله
داوود		

٢٠٦	السراج محمد	١١٢ -	الدبس الخور بسكبوس بولس
٨١	سعادة بولس	١٩٨	
٨١	سعادة يوسف جبور	١٠٨	الدرعوني مارون نطين
٢٣	سعد علي		اللال
١٧٠	سلامة ابراهيم	١٦٨	الذبياني النابغة
١٤٥	سليمان جبرائيل سليمان		الراء
١٤٦ - ١٤٥	سليمان غطاس بك		
	الشين	٢١٩	ربيز
		١٠٧	رزق أمين
١٣١	شاتويريان رينيه	٢٣٢	الرشيد هارون
١١٢	شبي	١٦٨ - ٣٨	روحانا القديس
٤٢٣	شبي بطرس	١٦٧	الرياشي لبيب
- ٢٠٤ - ١١٢	الشدياق أحمد فارس	- ١٧١ - ١٦٧ - ١٦٦	الريحاني أمين
٢٠٥		- ٢١٨ - ٢١٧ - ٢١٦ - ٢٠٢	
١٦٨	شديد الياس	٢٢٣ - ٢٢٢ - ٤٢١ - ٢١٩	
- ١١١ - ١٠٥	الشرتوني سعيد		الزين
	١١٧ - ١١٦	٢١٦	زارا قوسترا
١١٨	الشريف الرضي	١٩٥	زغيب محمد
٢١٨	شكبير	٢٥٨	زغيب هنري
٨٦ - ٨٥	شكور مارون	٤٢ - ٣٩	الزغير الياس
١١٠	الشمالي فرنسيس	٩٤	زياده الياس
١٢٩	شمشون	٢٢٤ - ٢٢٣ - ٢٢٤	زياده مي
٢٢٢	الشميل شبي		
٥٧	الشهائي الأمير		السين
١١٠ - ١٠٥	شهاب يوسف	١١٤	سامي محمود

عبد محمد ١٦٤ - ١٦٧ - ١٦٨	شوقي أحمد ١١٣ - ١١٤ - ١١٦
١٧٠ - ١٧١	٢٣١
عبد موسى ٣٥	الشوليه ٢٢٩
عبد نديم ١٦٨ - ١٦٤	شيخو لويس ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢١٤
عبد نظير ١٢ - ١٧ - ١٦٢	٢١٥
١٦٨ - ١٧١	شيشكلي توفيق ٢٠٦
عبد نظيرة فارس ١٥٩ - ١٦٣	الصاد
عبد الخوري يوحنا ٢٦ - ٤٥ - ٤٦	صفيير موسى ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥
عبد حنا خوري ٩٦	صموئيل ٢٢٢
عريضة انطون ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠	طنوس المعلم ٧٩ - ٨٠
عقل سعيد (الشهيد) ١٠٧ - ١١٤	العين
عمون عمون ١٢٨	المامودي سمعان ٥٩
عيسى ١٦٦	عاموس النبي ٢١٧
العين	عبد الحميد ١٣٥
غانم الياس ١٠٩	عبد القديس ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦١
غبريل وديع ١٧٦	عبد حنا ٢٢ - ٢٦ - ٣٤ - ٣٧
غسطين جرجس ١٤٠	٧٩ - ٤٠ - ٤٣ - ٤٥ - ٩١
الفاء	٩٨ - ١٥٧
فاخوري عمر ٢٢٦ - ٢٢٧	عبد الخوري موسى ٣٢
٢٢٨ - ٢٢٩	عبد فارس ٧٨
فارس فيليكس ١٣٢ - ١٣٤	عبد كاترين ٢٢ - ٢٢ - ٣٥
٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢٢٠	٣٦ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١
فاعور انطوان ٨١	٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ١٠٣
	١٢٠ - ١٦٤

١٢٧	كولبس	٩٧	فرحات جرمائوس
	اللام	٢٠٢	الفرزدق
١٥٤	لجود أسعد	١٢٧	فرعون
٩٧	لا فوتين	١٧٦	فرعون هنري
٢١٤	لامنس « الاب »	١٢٦	فرنقو يوسف باشا
	الميم	١٩	الفريسيون
٩١ - ٨٧ - ٨٥	مار ساسين	٨٥	فغال
٨٧ - ٥٧ - ٢٢	مارون القديس	١٣٩	الفغالي بطرس
- ١١٢ - ١١٠ - ٨٤	مبارك بطرس	٨٤	الفغالي مخايل
٢٠٨ - ١١٩ - ١١٨		٩٠ - ٨٧ - ٨٤	فغالي (المونسنيور)
٢١٢ - ١٧٨ - ١٢٧ - ١١٢	المتني	١٨	فكتوريا الملكة
١٣٤ - ١٣٣ - ١٣٢	مجاخص داوود	٢٢٠	فيصل
١١٥	محمود سامي		
٢٢٢	المدور		الفاف
٩٣ - ٦٦	مريم العذراء	٦٨	قصصيا
٢٣٩	مطر فؤاد	٢٠٦	قنبار صالح
١١٦	مطران خليل	٤٧	قيافا
٥٠ - ٢٩	المعادي نعمة الله		
١٩٧ - ٣٠	معاوية		الكاف
٢٠٥ - ١٧٨ - ٢٠	المعري أبو العلاء	١٢٣	كاتين « الاب »
٢١٨		٢٢١	كرامة بطرس
١١٣ - ١١٢	المنذر ابراهيم	٢٢٠	كرامة سلمي
١٥٠	منيفه علي	١٠٨	كرم مسعد
١٧١ - ١٢٧	موسى	٦٢	الكفاعي مرقص
٤٤	موسى الخوري	٢٣٢	كنعان الدكتور

		الملاط شبلي	١٠٧ - ١٠٨ - ١١١
١٣٨ - ١٣٦	وهبه سليم	١١٢	
١٨٨	ويغان	٣٤	مخايل القديس
			التون
	الياء	٢٢٠	نحلة رشيد
١١٢	اليازجي ابراهيم	٩٠ - ٨٧ - ٨٦ - ٨٥ - ٨٤	نحلة يوسف
٥٩	يهودا	١٦٢	نصار هيقاء
- ٨٠ - ٤٢	يوحنا مارون القديس	٢٠٠	التصولي محي الدين
- ٩٥ - ٩٤ - ٩٣ - ٩٢ - ٩١		١٣٥	نيازي
	١٠٠ - ٩٨ - ٩٧	٢١٦ - ٢١٥	فيتشه فريدريك
٥٠	يوحنا مارون الخوري	٢١	نيوتن
			الهاء
		١٢٣	الهاني يوسف

فهرس الأمكنة

الآلف	بجمدون	الآلف
٢٣٠	بشري	٢٣١
٢٠٨ ٢٠٣ - ٢٠٢ - ١٦	بصره	٢٠٢
١٠٩	بعلبك	٢٢١ - ١٥١
٢٠٦ - ٢٠٣ - ١٨٨ - ١٩	بكركي	٢٣٥
٢٠٩ - ١٤٠	بورديو	٢٠٢
٢٠	بوسفور	١٥٠
١٨	بيت الدين	٢٠٢
١٣٦	بيت شباب	١٦
٨٥	بيروت	٢١٠ - ٤٧
١٠١ - ٩٩ - ٨٧ - ١٦		١٧٦ - ١٥٣ - ١٥٠
- ١١٠ - ١٠٨ - ١٠٧ - ١٠٣		
- ١٢٧ - ١٢٢ - ١٢١ - ١١٧		
- ١٤٠ - ١٣٨ - ١٣٦ - ١٣٢		
- ١٧٠ - ١٦٢ - ١٥٥ - ١٥٣		
- ٢١٧ - ٢١٥ - ٢٠١ - ١٨٤		
	٢٣١	
	التاء	
١٥٠	تركيا	١٧١
		١١٥
		١٠٣ - ٩٤ - ٩٠ - ٨٩
		٨٣ - ٨٢ - ٨١ - ٢٣
		أجيا صوفيا
		اسبانيا
		اسطنبول
		افقا
		الأرز
		المانيا
		أمريكا
		أهدن
		اورشليم
		أوروبا
		الباء
		بابل
		باروك
		بترون
		بجه

	دير معاد	الجيم	
٦٢	ديان	١٥	جبل لبنان
٢٠٨ - ٢٠٢		٢٠٣	جبة
	الراء	- ١٠٣ - ٨٣ - ٦٢ - ١٦ - ١٤	جيبيل
٢١٣	راشيا	- ١٣٧ - ١٣٦ - ١٢٧ - ١١٧	
٢٠٨ - ١٣٩	روما	- ١٤٣ - ١٤٢ - ١٤٠ - ١٣٨	
	العين	١٥٣ - ١٤٨ - ١٤٥	
١٦	سيده القطين	٨٤ - ١٨ - ١٦	جسر المدفون
١١٤	سيلان	- ١٣٩ - ١١٨ - ١٦	جونيه
	العين	٢١١ - ٢٠١ - ١٤١	
		الحام	
٢٠٤	الثام		
٢٠٧	شكا	٢٠٤	حازمية
	الصاض	٢٠٢	حدث
		٢٢١	حسدا
١٣٠	العين	٢٠٦ - ٢١٥	حاة
٢٢١ - ٢٠٢	صنين		
٦٣ - ١٦	صيدا		
١٠٩	صادوم	٦٠ - ٥٩	خشكار بابل
	الطاء		
١٨٤	طرابلس	١٨	الدرنديل
	العين	٢٠٥ - ١٥٠ - ١٦	دمشق
		١٦	دوما
٢٠٦ - ٣٩	العاصي	٢١٤ - ٥٧	دير القطين

٨٧ - ٨٤ - ٨٣	فغال	- ١٧١ - ١٧٠ - ٨٨ - ١١	عاليه
٢٢٩ - ٢٠٥	فلسطين	- ١٨٠ - ١٧٧ - ١٧٦ - ١٧٥	
٢٢٠	فيرونیکا	- ١٨٨ - ١٨٧ - ١٨٤ - ١٨٣	
	القاف	- ١٩٩ - ١٩٥ - ١٩٤ - ١٩١	
		٢٢٢ - ٢١٢ - ٢٠٧ - ٢٠٤	
٣٠٣	قاديشا	٢٢٤	عامورية
٣٠٦	قبرص	١١٨	عبرين
٣١٠	القدس	٢٠٦	عمان
٦٥	القرقة	١٥٤ - ١٤٠ - ١٣٨	عمشيت
٨١	قيتولي	١٠٩	عموره
	الكاف	٢٢٢	عين دور
		٨١	عين ورقة
- ١٤٥ - ١٤٣ - ١٤٢	كسروان		
	١٤٩		الفين
- ٩٧ - ٩٤ - ٩٠ - ٨٧	كفرحي	١٥٠ - ١٤٩ - ١٤٨	غرزوز
	١٠٥ - ١٠٢ - ١٠١	٦٥	غرفين
٨٦ - ٨٥	كفر عبيدا	١٠٨	غريفة
١٠٩ - ٢٣	كوفة	٨١	غلبون
٩٠ - ٨٩	كفيغان		
	اللام		القاه
		١٣٠	فارس
- ١٨ - ١٧ - ١٦ - ١٤ - ٩	لبنان	١٨	فارناي
- ١٢٦ - ١٢٢ - ٦٢ - ٥٧		١١٣	الفرات
- ١٣٠ - ١٢٩ - ١٢٨ - ١٢٧		٨٧ - ٨١	فرنسا
- ١٥٦ - ١٥٠ - ١٣٩ - ١٣٦		٤٠٤ - ٨١٤ - ١٧٦	الفريكة
- ١٥٩ - ١٥٥ - ١٥٣ - ١٥٢		٤٤٤ - ٤٤٣	

١٨	ميفوق	- ٢٠٠ - ١٧٨ - ١٧٠ - ١٦٧	
		- ٢١٣ - ٢١١ - ٢٠٣ - ٢٠٢	
	النون	٢٣٠ - ٢١٦ - ٢١٤	
١١٧	نهر ابراهيم	٢٢١	لندره
٦١	نهر البارد	٦١	لحفد
١٧	نهر المدفون		
٦٠ - ٥٩	نوا		الميم
١٦٥	التيل	١٩	مار روحانا
	الهاء	٣٤	مار ماما
		١٦	المدفون
٥٩	الهند	١٩	المسائر
	الواو	١٣٥	المسكوبي
٦٥ - ٦٢ - ٦١ - ٣٨ - ١٦	الوطا	٢٢٣ - ٢٢٢	مصر
		١٧	معاد
	الياء	١٩٦ - ١١٢	المعاملتين
١٦٥	يثرب	٢٠٥	معرة النعمان

المدارس

الفرير ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٣٨ -	٢٣٧	التوجيهية الجديدة عاليه
١٤٠	٢٣٧	الجامعة الوطنية ١٨٩ - ١٩٠
القديس يوسف ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ -	١٠٢ - ٩٩ - ٨٠ - ٣١ - ٣٠	الحكمة
٢١٥	- ١٠٦ - ١٠٥ - ١٠٤ - ١٠٣	
١١٨	- ١١٣ - ١١٢ - ١٠٩ - ١٠٨	مار بطرس النصر
- ٨٧ - ٨٦ - ٨٤ - ٨٣	- ١٢١ - ١٢٠ - ١١٧ - ١١٦	مار سامين
٩٠	- ١٩٨ - ١٨٢ - ٨٦٠ - ١٣١	
- ٩٤ - ٨٧ - ٣٠	٢١٥ - ٢١٤ - ٢٠٧	مار يوحنا مارون
١٦٠ - ١٢٢ - ١٠١	- ١٠٥ - ١٠٣ - ١٠٢ - ١٠١	الدبس
٤٨	١١٢	مدرسة تحت السنديانة
٨٩	٨١	النصر
٢١٤ - ١٢٤ - ١٢٣ - ١	١١٨	اليسوعية
		السوربون جامعة عينطورة

الجرائد والمجلات

١٢٦	لبنان	١٩٣	الأندلس
٢١٤ - ١٠٩ - ٩٣	المشرق	٢٣٩	الجريدة
١٢٨	المعارف	- ١٣٨ - ١٣٧ - ١٣٦ - ١٢٧	الحكمة
٢٠٧ - ١٠٩	المقتطف	١٧١ - ١٤٢ - ١٣٩	
١٠٩	المنار	- ١٠٩ - ٩٧ - ٩٦ - ٩٣	الروضة
- ١٢٢ - ١٢١ - ١٠٩ - ٩٨	النصير	- ١٢٦ - ١٢٢ - ١٢١ - ١٢٠	
- ١٣٠ - ١٢٦ - ١٢٤ - ١٢٣			١٧١
- ١٤٠ - ١٣٦ - ١٣٥ - ١٣٣		١٢٦	الضفا
٢١٦ - ٢١٥ - ١٧١		٩٨	الصاعقة

شرح بعض ما ورد في هذا الكتاب

(أ)

احش لحيته: حش الشيء قطعه ، وهنا معنا لاشد شعر ذقنه واقتلعها ، وهي دلالة على الغضب .

أس : أو حب الآس . والآس هو شجر عطري رائحة أوراقه تستعمل لغسل الأطفال المواليد وتضميخ أجسامهم بمسحوقه . حبه لذيذ حلو الطعم يؤكل .

أقة : وزن يساوي ١٢٥٠ غراماً وهو من الأوزان التي كانت مستعملة في العهد التركي وحق سنة ١٩٣٥ . وهو نصف الرطل ويساوي ٦ أواق .

اكليلك : الاكليل في النص هو ما يضعه الكاهن في شعر رأسه كالاكليل في منتصف الرأس .

الله يجبرك : دعاء بالخير لأم البنين لكي يجبر الله خاطرها بأولادها .

(ب)

باصربنومي: يتراءى لي في الحلم ، كلمة عامية .

برادطة : مفردتها برديوط ومعناها كاهن ينتدبه بطريرك ليزور باسمه الرهايا التابعة للبطريركية ، والكلمة سريانية معناها : متقدم في الكهنة .

- برشان** : نوع من الخبز يصنع بدون خمير ويقدم قرباناً لله ...
يستعمله بعض فئات من المسيحيين .
- بقج** : مفردتها بقبجة وهي ما تصره المرأة من ثيابها في ملاءة كبيرة من قماش . عامية .
- بوز** : كلمة عامية لبنانية وهي بمعنى قم .
- بيت الجسد** : هو كناية عن بيت صغير بطول ٥٠ سم وعرض ٥٠ سم وعمق ٥٠ سم يكون في صدر الكنيسة على المذبح يضع فيه الكاهن ما يدخره من القربان الذي هو جسد المسيح ودمه تحت شكل الخبز والخمر .
- بيلاطس البنطي** : والي روماني كان في فلسطين في عهد السيد المسيح ومثل السيد المسيح أمامه .

(ت)

- تَبْرَبِر** : الفعل رباعي : تَبْرَبِرَ : أكثر الكلام بلا فائدة ، أو عن غضب وبدون أن يفهم منه شيء .
- تتمرش** : تتسلق وتمتد وهي خاص بالأشجار أو النباتات العريشية .
- تطبطب** : تقول كلاماً غير مفهوم وهي عامية لبنانية .
وأما فصيحها فمعناه : صوت الماء عند تحريكه أو سيلان في الوادي .
- تمس** : كلمة لبنانية معناها كبا .
- تعليق الحرف** : كتابة الحرف مع حرف آخر متعلق به وهو تعبير لبناني للدلالة على بدء القراءة والكتابة .
- تكوك** : عملة تركية زهيدة الثمن .

يتلني : تل ومعناه سحب الدابة بمقودها ورائه : أتل أي اقتاد الدابة .

تهمم : تخرج أصواتاً من الخنجرية .

(ث)

ثبير : هو جبل بالمدينة .

(ج)

جسر المدفون : جسر يربط بلاد جبيل بالبترون .

جادجل : مفرد ما جلجل وهو جرس صفتير يعلق في أعناق

الدواب للزينة .

جلد على عظم : تعبير لبناني معناها هزيلة لا لحم على جسمها سوى

العظم والجلد .

جمعة : هنا معناها : أسبوع .

جمعة الآلام : هو يوم الجمعة الأخير من الصوم لدى المسيحيين ودعي

بجمعة الآلام لأن فيه كان اليهود يؤلون ويسبئون إلى

السيد المسيح ويصلبونه .

(ح)

الحاش والالام : كلمتان بمعنى واحد ، لأن الحاش كلمة صريانية معناها

الآلام ، وهذه تستعمل في صلوات آخر أسبوع من الصوم

عند المسيحيين وهي أول كلمة الصلاة .

الهباء : مفرد ما حبيس على وزن فصيل اسم فاعل وهو من حبس

نفسه لله تعالى وأقام في صومعة منفرداً عن الناس .

الحرم من ذات الفعل: أي المنع والقطع عن الكنيسة والجماعة بدون أن يحرمه
رئيس لأن عمله هو بذاته يحرمه أي يقطعه عن الاشتراك
مع المؤمنين في الصلوات .

الحى الاسبانيولية : هي مرض جاءت مع أحد المهاجرين اللبنانيين من البلاد التي
تتكلم الاسبانية فدعيت بالاسبانيولية وهي تقتاب الإنسان
بقشعريرة أولاً ثم حرارة ثموت .

خروف مور : نوع من القم يربى للحمه ولأنه يقبل العلف ويسمن .

(خ)

خميس الأسرار : هو يوم الخميس الأخير في الصوم لدى المسيحيين وفيه
يُصلّى على الزيت المخصص للعماد ولمسحة المرضى وغيرها .

خوارنة اسقفيين : مفردتها خوري اسقف وهي كلمة محرقة عن السريانية :
أصلها خورفسقفوس : أي كاهن له شيء من امتيازات
المطران أو هو شبه مطران لقرية كبيرة ويتسلط على كهنة
القرى الصغيرة باسم مطران الابرشية .

خيرة الله : معناها : نية أو مشيئة الله .

(د)

الدغيشة : كلمة سريانية معناها الفسق وقت قبيل هجوم العتمة .

(ر)

الرجل والحافر : تعبير يراد به الماشي من البشر ، والساري من الحيوان .

رخص مثل الخس : أي طري كالخس .

الرطل : وزن قديم كان مستعملاً في العهد التركي حتى سنة ١٩٣٥
وهو يساوي ٢٥٠٠ غراماً تقريباً .

الرمائل : هي أسفار كتبها بولس رسول السيد المسيح إلى المؤمنين وعددها أربعة عشرة رسالة .

روتد : غنتى بصوت الحذاء .

(س)

سكين ظهره : تعبير ومثل يضرب لمن يرتاح من كل أتعابه فيقال : نام على سكين ظهره . أي ارتاح من كل أتعابه المادية والنفسية .

سفرة بلاجين وزيتون : تعبير لبناني يدل على ما للجين والزيتون من كرامة في الطعام .

سلحت : أي رقت وسخاً وهو خاص بالطيور . وهنا بمعنى أن القرية مع كون اسمها عين وهي نبع الماء لا ماء فيها .

سمحة نفس : ما تجود به النفس .

السنكسار : كلمة يونانية الأصل ومعناها تراجم وأعمال أولياء الله والقديسين :

سيدة المكبوسين : هي السيدة العذراء لها مقام عُرِف بهذا الاسم إذ يشفى من كان مكبوساً بزيارة هذا المقام .

سيدة القطين : القطين : اسم لعدة أمكنة في لبنان ، وسيدة القطين مزار بنيت فيه كنيسة قديمة على اسم مريم العذراء عليها السلام .

(ش)

شاطر : معناها العامي : مجتهد ، قوي ، حسن . على غير معناها اللغوي الذي هو بمعنى قاسم الشيء .

شماريخ : مفردتها شمروخ ، وشمراخ . رأس الجبل .

شامسته : مفردها شماس : وهي رتبة ديفية ، أول درجات الكهنوت ، في الأصل ، وقد عم استعمالها لكل من يقوم بخدمة الصلاة في الكنيسة مع الخوري والكلمة يونانية .

(ص)

: معناها : نامبه بالزواج والمصاهرة .

صاهر

: أي رسم على وجه إشارة الصليب .

صلب

: مزرب الماعز صيفاً ، وهي كناية عن ساحة قد أحيطت بشريط أو أعمدة من الشجر والشوك ليمنع دخول الوحوش أو يحول دون خروج الماعز أو الغنم .

الصيرة

(ض)

: تعبير لبناني يدل على فض المشكل وإنهاء الخصام .

ضاعت ولقيناها

: طاولة من خشب قصيرة الأرجل توضع كائدة للجالسين على الأرض يأكلون من عليها الطعام .

الطبلية

: بدء مزموران من مزامير النبي داود : الأول الثاني . الشريف . من كل شيء أوله .

الطوبى ولماذا

(ع)

: وهو من فعل عسا يعسو بمعنى غلظ وصلب . وهنا بمعنى صرت قوياً قادراً . وبمعنى أيضاً المصيان .

عسيت

: تحريف كلمة عذراء لدى اللبنانيين وهي كناية للسيدة مريم العذراء .

المضرا

(ف)

: هو بمعنى شق بين جبلين ، انما هنا استعمل بلهجة عامية لبنانية بمعنى غير واضح وبمعنى أيضاً قاس ، عنيد ، ويقال : راس فج أي رأس عنيد لا ينكسر .

فج

القريسيين : جماعة من اليهود، وهم لاهوتيون يفسرون الكتاب المقدس.
كانوا في زمن السيد المسيح وقاوموه ، يظهرون القداسة
ويبطنون الخبث والرياء . وبخهم المسيح لذلك .

الفلق : نوع من القصاص الشديد وقوامه أن تمسك رجلا المذنب
بخشبة أو نحوها وترفع عن الأرض وتضرب أظامها
بعضا أو مخفقة .

فككت ريتي : تعبير لبناني بمعنى لم ادخل طعاما في فمي ليتحلل الريق
في فمي .

(ق)

قصحيا : لقب لقسيس اسمه انطونيوس والكلمة سريانية الأصل ومعناها:
قزحيا : أي القس الحبي . وهو اسم لدير شهير في شمالي لبنان
قرب بشري . اشتهر القديس انطونيوس بشفاء المجانين .

القادل : القلة أو الشح .

الليفة : هي قطنة يضعها الكاتب في دواته فلا ينهرق الحبر من الدواه .

قيافا ويوحنان : رئيسان من رؤساء أحبار اليهود في عهد السيد المسيح واشتركا
في الحكم على السيد المسيح بالموت .

الكبة النية والهريسة والكروش المحشوة :

كلها أكلات لبنانية يتزعمها اللحم :

الأولى : لحم وبرغل مدقوق جيداً .

الثانية : عظام ولحم يسلق مع القمح المقشور .

الثالثة : معدة الغنم والحيوانات المجتره محشوة بالأرز ومطبوخة .

- كَرْج** : يقرأ بدون تهجئة ، جملة جملة .
- كيريايسون** : كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين الأصل معناها : يا رب ارحم .
- (م)
- ماش** : عبارة يقولها اللبناني عندما لا يريد أن يفصح عن رأيه أو عن قوله ، ومعناها : لا شيء .
- مفوصة** : اسم مفعول . وهو من أصابه المغص وهو وجع وتقطع في الأمعاء .
- مجيدي** : عملة تركية والمجيدي قطعة من الفضة تساوي عشرين قرشاً خالصة ودعي مجيدي نسبة إلى عبد المجيد سلطان تركيا (١٨٢٣ - ١٨٦١) .
- مخ** : هو ما في داخل العظام المخوفة من نخاع . وهنا بمعنى رأس .
- مدرسة الدبس** : هي مدرسة الحكمة التي أنشأها مثلث الرحات المطران يوسف الدبس في بيروت سنة ١٨٧٥ واشتهرت زمنياً باسم مدرسة الدبس أو مدرسة المطران .
- عقل - مارون عبود** .
- المدال** : خشبة على نحو القلم الصغير يستعملها المبتدئ في الصفوف الصغرى دليلاً للكلمة التي يريد قراءتها .
- مصرة** : هو كيس من القماش كان يوضع فيه الدراهم ويصّر بخيط مربوط في أعلى الكيس .
- مكارون** : مفرد ما مكاري وهي عامية لبنانية وفصيحتها أكتار وهو من ينقل البضائع والأحمال على ظهر بغله أو جملة أو حماره بالأجرة .
- مكبوس** : هو مرض ، في عقيدة العامة ، قيل انه إذا دخلت امرأة طامت على نفسها فيمرض المولود ويمسي عليلاً .

الملاكين : جمع مَلَك وهو من يملك أراضٍ وعقارات كثيرة . وهذا في عرف القرويين اللبنانيين .

المنتطمين : أموات ليس لهم أهل ولا ذرية وليس لهم من يصلّي من أجل راحة نفوسهم .

المونسنيور : رقبية كنسيّة لدى اللاتين ويستعملها الموارنة بدلاً عن كلمة خوري اسقف السريانية . ولها ذات الصلاحيات ومعناها العربي : سيّدنا .

موشور : جسم خمّس أو مسدس أو مشعن الأضلاع ، يقال له بالفرنسية Prisme .

الميرة : الضرائب .

ميزان الزمان : كتاب مؤلفه الاب فروماج اليسوعي يحتوي على مواعظ تزهد في الدنيا وتحبّب في الآخرة .

(ن)

ناموس : فصيحها : الشريعة ، وعاميّتها نوع من البرغش وأيضاً معناها العاميّ : الشرف والأخلاق ولعلها مشتقة من كلمة الناموس التي بمعنى الشريعة .

النقف : هو الفرخ الذي ينقف البيضة ليخرج منها .

نيح : كلمة سريانية الأصل معناها أراح .

هس : كلمة زجر للأولاد ليسكتوا وقد تستعمل للكبار أيضاً لينصتوا إلى شيء ما .

هوردفر : كلمة فرنسية : hors d'oeuvre خارج عن العمل (إضافيات) .

هنيئاً لنفس ما عليها ولا لها : مثل لبناني يضرب في القناعة .

وَرِشاً : كثير الحركة وسمح .

وقفت شعرات جفونه كريش القنفذ : تعبير لبناني للدلالة على الغضب ،
والقنفذ هو النيس الذي يفلت ريشه في وجه مهاجمه دفاعاً
عن نفسه .

يا حميرتي على الرز ضاعت ملاحقه : مثل لبناني معناه : ان الرجل القوي
تضعف همته عندما يشيخ فيسخر منه الضعيف ، أو يضرب
لمن تغيرت عاداته الحميدة .

يا ويل الذي عنده وما عند جاره : مثل لبناني معناه حسرة للمحروم مما في
يد جاره .

ينفضني نفض الشيخ : الشيخ نوع من النباتات يستعمل لصنع الكانس على
البيادر ، وفي هذا النبات شوك فلا يصح استعماله إلا بعد أن
يخبّط بعصا . والمعنى انه يُضرب ضرباً شديداً كما يُضرب أو
ينفض الشيخ .

يحمى ويهب : تعبير لبناني بمعنى انه يقضب ثم يعود عن غضبه .

مُلْحَقٌ

موضوع كتبه الأديب الشاعر هنري زغيب بمجلة الحوادث ، جاء شرحاً
واقياً بالموضوع الذي نحن في صدد نشره ونشر صور عنه ، تثبتته هنا استكمالاً
للفائدة ، على أمل عودة مفصلة ومصورة في كتابنا الثاني الذي هو تحت الطبع .

بيت مارون عبود يدخل التاريخ الثقافي بعد ما تحول إلى متحف

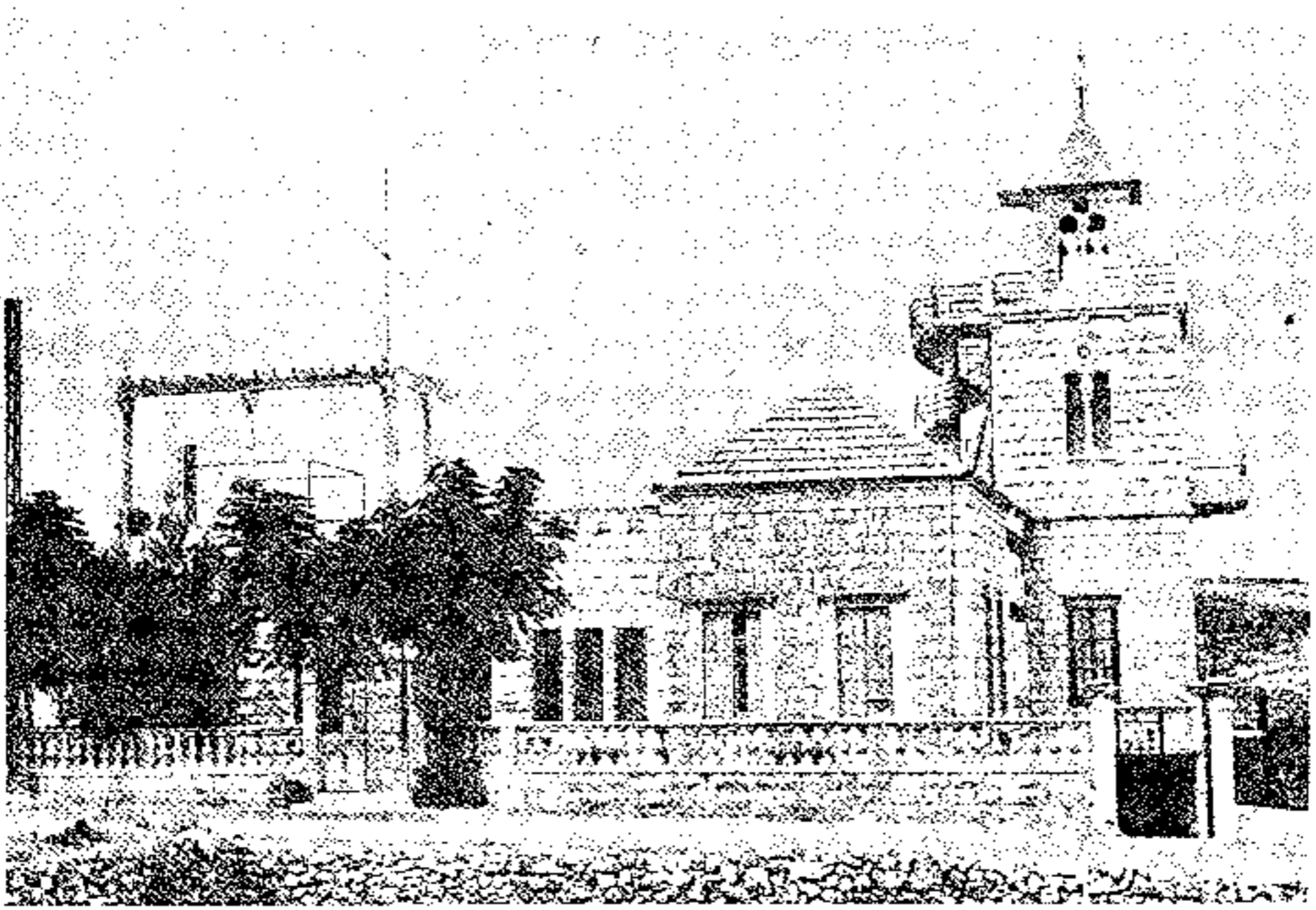
تعرف « عين كفاع » ؟

هذي التي دريها « تتافعن » ساكنة بين أشجار اللوز والزيتون ؟

انها من أعمال بلاد جبيل - المدينة التاريخية العريقة ، أم الكتاب - وهي ضيعة شاعرة ، « تتطربش » بيوتها بالعافية اللبنانية ، تنزل شتاء حكايا البرد والماضي ، وتسهر صيفاً على الطمانينة وضوء القمر العاشق ، وفي الفصول الأربعة ، تزهو هذه الضيعة بكنز ثمين تحويه كما ولا اعلى : بيت مارون عبود ، وهو صار اليوم إلى متحف .

الرحلة تبدأ من عمشيت - بعيد جبيل - صعوداً ٢٠ كيلو متر ، مروراً بضياع لم تمر واحدة منها على عتبة التاريخ دون أن تترك عليها حدثاً مهماً أو إسمياً مهماً ، أبرزها : « جدائل » ، « شيخان » ، « غرزوز » ، « معاد » ، وصولاً إلى « عين كفاع » ، على ارتفاع ٤٠٠ متر عن سطح البحر .

وإذا أحسست انك أحببت الطريق ، فلأن لها تاريخاً حفره أبو محمد مارون عبود ، شبراً شبراً ، وهو يقيم الدنيا ويقعدها في مقالات ورسائل إلى رئيس الجمهورية حبيب باشا السعد (٣٠ تموز ١٩٣٤) ، وإلى مدير النافعة (٧ شباط ١٩٣٦) ، وإلى وزير الأشغال (١٦ شباط ١٩٣٦) وإلى رئيس الجمهورية مجدداً



بيت مارون عبود بعد وفاته عن لوحة للفنان انجليني

(١٩٣٦) وكان حصل على قرار من الحكومة اللبنانية صدر تحت رقم ٢١١٦ تاريخ ٢٢ ايار ١٩٣٢ ، بوجوب شق الطريق إلى عين كفّاع . وأكمل ملاحظته كاتباً إلى مدير غرفة الرئاسة جورج حميري (١٩٣٧) ، وإلى وزير الأشغال (١٤ شباط ١٩٣٧) ، وإلى وزير الأشغال مجدداً وكان أحمد الحسيني (٩ نيسان ١٩٣٧) ، حتى كتب إلى رئيس الجمهورية (١٩ تموز ١٩٤٥) ، ورئيس الحكومة (١١ اب ١٩٤٥) حين بوشر بشق الطريق بعد محاولات له طوال ما يزيد عن ثلاثين سنة^(١) .

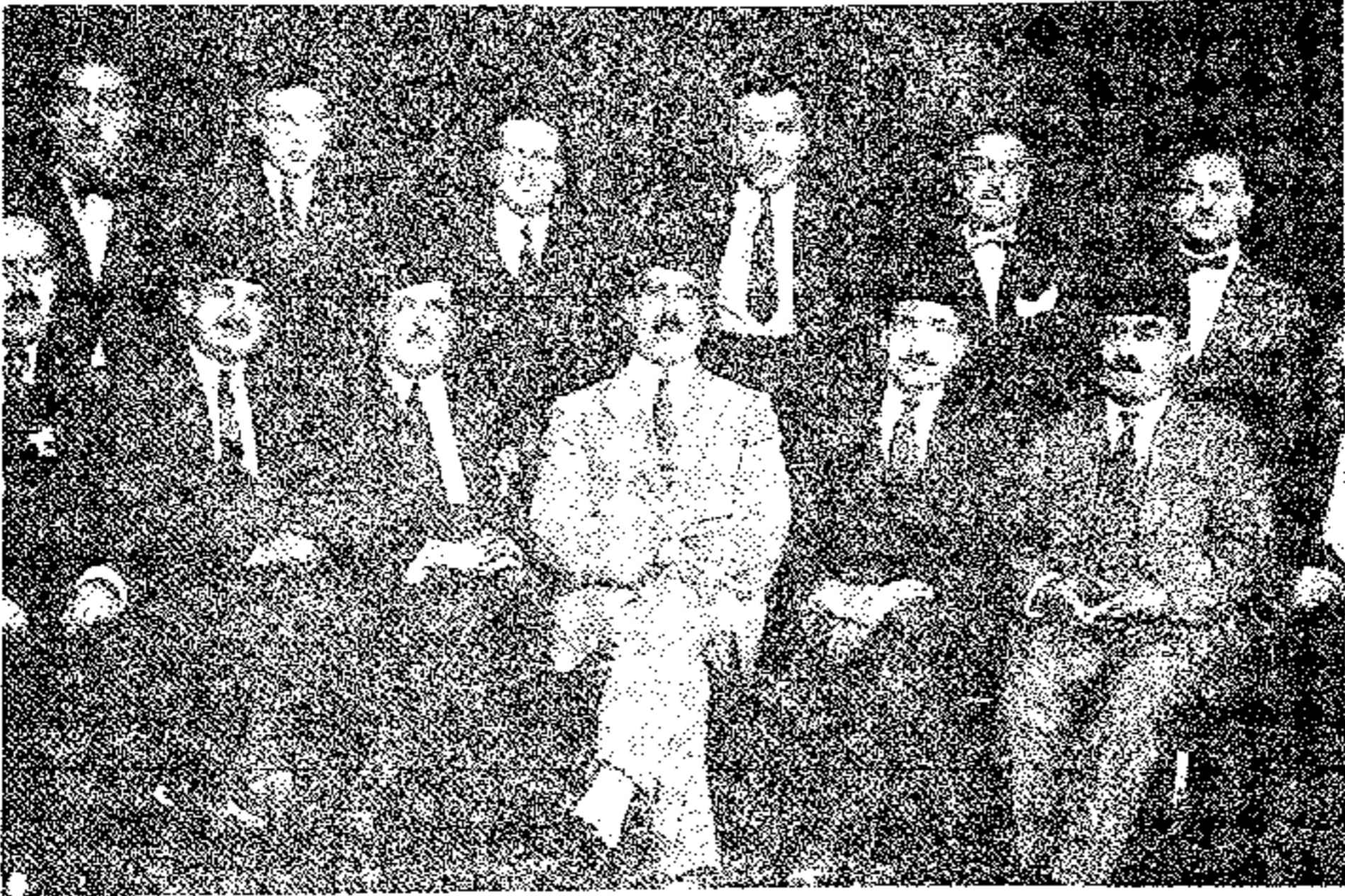
تصل الى عين كفّاع . تستقبلك العصافير وبقايات الوزال وأشجار الزيتون والكنيسة الختيارة ، وتقودك الطريق وحدها إلى ... بيت مارون عبود .

ستقبلك صاحب المتحف :

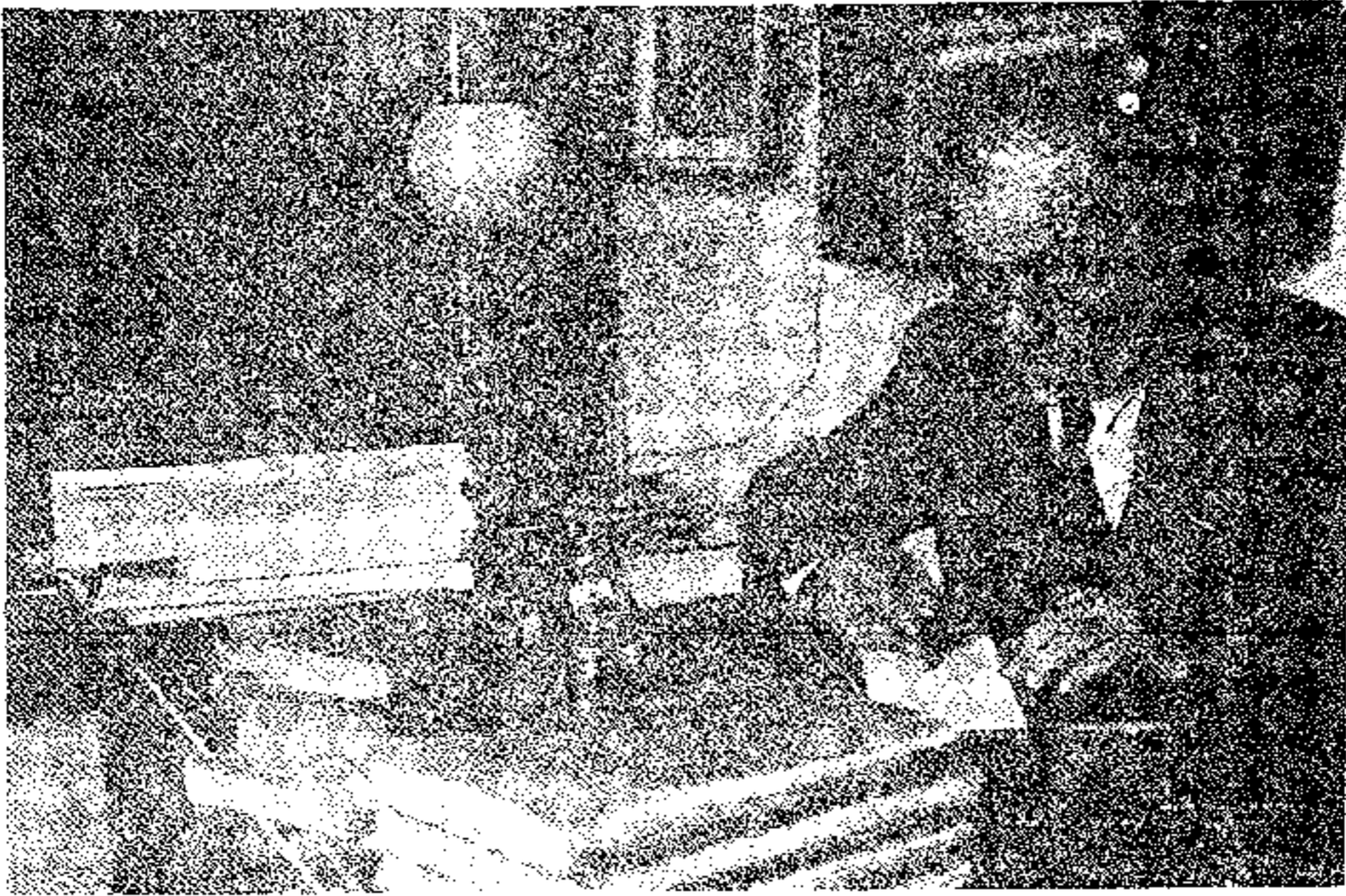


(مارون عبود جالس على البركة)

(١) راجع في كتاب ، رسائل مارون عبود ، فصلاً خاصاً عن « طريق عين كفّاع » .



مع الهيئة التعليمية عام دخوله الجامعة الوطنية



على مكتبه في الجامعة الوطنية

نظير مارون عبود (٥٠ سنة) ، فتطيب لك جلسة تعارفية على «السطحية» ،
وتتعد على « البركة » التي كم جلس حدها أبو محمد يشرب أركيلته ويستقبل
زواره ، كبارهم وضيعويهم .

وإذا « الولد سر أبيه » ، فإن نظير عبود « ظل أبيه » . ذلك انه ، منذ
وعى كونه ابن مارون عبود ، وهو يرافقه يوماً يوماً وصفحة صفحة ، فيجمع
أغراضه ويطبّع له مقالاته على الآلة الكاتبة ، ويهلم أصغر قصاصات أوراقه ،
ويرعاه في شيخوخته حتى يومه الأخير ووفاته في منزله (الكسليك) حيث
أمضى سنواته الأخيرة (على كتف مرفأ جونية) .

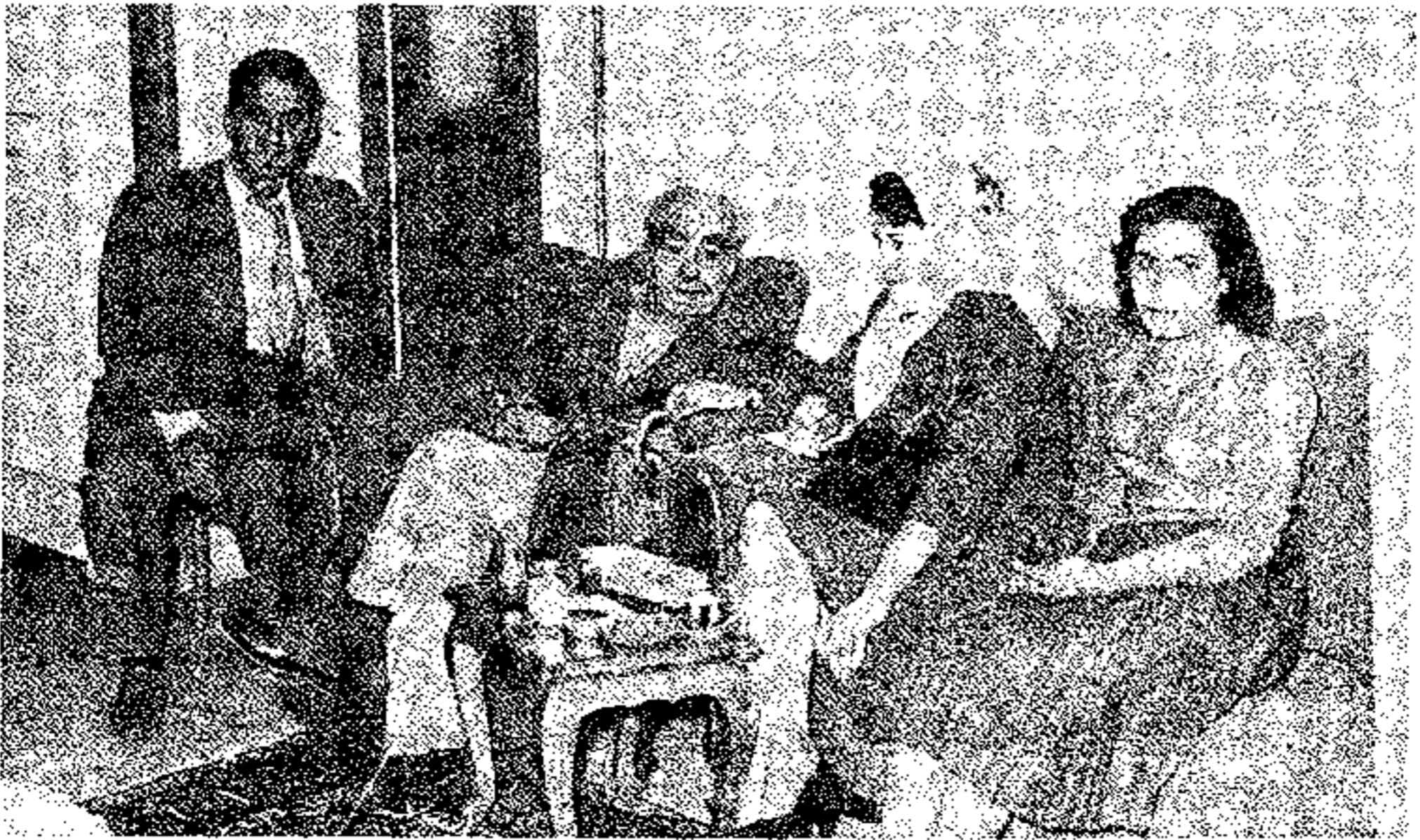
● نظير عبود ، كيف بدأت العمل ، ومتى ، في إقامة متحف لأبيك ؟

— كان ذلك منذ وفاته (٢ حزيران ١٩٦٢) . يومها ، كان كل شيء جاهزاً
تقريباً ، فهو لم يكن يرمي شيئاً . البيت كان كبيراً ، ويتسع ، وكنت أحافظ
على جميع أغراضه . لذلك لم ألاق كبير صعوبة في عمليات الجمع ، من أوراقه إلى
محفوظاته إلى تحته العتيق الكان وما زال في القبو بجميع قطعه . وثمة أغراض
كانت معه عندي في الكسليك . يحملها معه في صعوده إلى عين كفّاع وفي نزوله
منها . اذن ، قبل وفاته ، كنت مهيباً للجمع ، ويوم وفاته كلفت من يجمع لي
قصاصات الصحف والمجلات التي كتبت عن « موت شيخ الأدباء » ، وأكملت أذا
ما قيل بعد وفاته وما زال يقال ، حتى تكونت عندي الآن في المتحف ثلاث
مجموعات ضخمة من المقتطفات الصحفية عنه : قبل وفاته ، وعندها ، وبعدها .
وذلك إضافة إلى اهتمامي بتراثه ، مكتوباً ومطبوعاً ، والذي أنشأت له داراً
للنشر أسميتها « دار مارون عبود » كانت أول دار في لبنان تنشأ على اسم
أديب ، وأول دار تهتم بجمع المؤلفات الكاملة في مجلدات أنيقة . (حتى الآن ،
صدر الجزء الحادي عشر من المؤلفات الكاملة لمارون عبود) .

● وبماذا بدأت العمل ؟



بالطربوش عام ١٩٠٨



عندما كنت اسجل له الاحاديث

- اهتمت أولاً بكتبه . بعد وفاته ، استعدت حقوق طبعتها ، قبل انتهاء مدتها . وبدأت العمل في المتحف ، بتوسيع مكان المكتبة في الطابق الأرضي ، وهي تحوي ، إلى كتبه ومخطوطاته ، مجموعة هائلة من الكتب (٤ آلاف كتاب) ، فهرستها كلها ورتبتها ، وطبعت لها بطاقات (تحمل واحدتها : الرقم المتسلسل ، الموضوع ، اسم الكتاب ، المؤلف ، المحقق أو المترجم ، الناشر ، عدد الصفحات ، ملاحظات) ، مع ترتيب آخر على اسم المؤلفين ، وهو عمل استغرق مني جهد سنوات ، ولا يزال ، وهذا العام بالذات ، شيدت بناءً حديثاً يتناسب والمتحف ، بعد ما صارت المكتبة تضم حوالي ١٠ آلاف كتاب ، مرتبة في بطاقات تحمل اسم « مكتبة مارون عبود » .

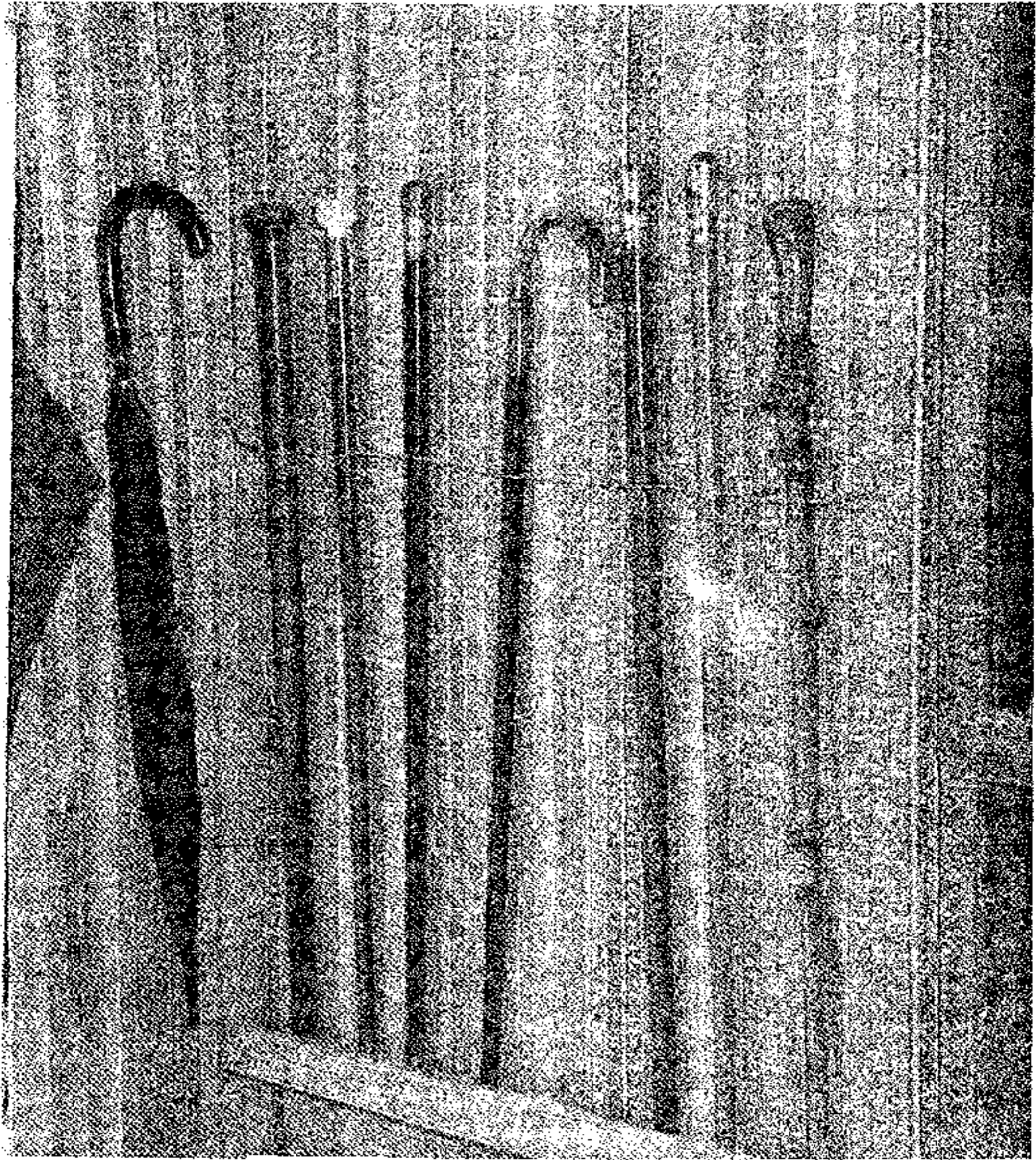
● نظير عبود ، قبل دخولنا إلى البيت - المتحف ، وأنت دليلنا ، ما تاريخ هذا البيت ؟

- انه الذي ولد فيه مارون عبود عام ١٨٨٦ ، وهو بيت جده الخوري يوحنا عبود (عبد الأحد قبل سيامته) ، ولد فيه ابنه حنا ، والد مارون وهذا أهمية تعلق مارون عبود بهذا البيت ، الذي أبقاه على ما هو ، حتى ١٩٠٧ أضاف إليه قسماً ، وراح كل صيف يحمل إليه تعديلاً أو لوحة فنية . ولشدة اعتزازه به ، كان يقول : « من أعز ما لدي : إدخال لوحة فنية جديدة على بيتي » إلى ان كان عام ١٩٥٧ ، فانتهى من تنفيذ ما يريد تنفيذه ، محافظاً على طابعه القديم . وذات يوم ، وقف على هذه « السطحة » ، هنا حيث نحن ، ونفض يديه قائلاً : « متظلماً بالبيت : .. واستراح الرب من جميع أعماله » .

ويسكت صاحب المتحف .. فتفهم أن المتحف يدعوك .

ندخل المتحف .. ودليلنا نظير عبود .

هذه ، على المدخل ، مجموعة العصي الكان يتوكأ عليها أبو محمد . وغالباً ما كانت العصا رفيقته .. (ماذا ؟ تذكرت الياس أبو شبكة ؟) . وفي خزانة



(مجموعة المصبي التي رافقته)

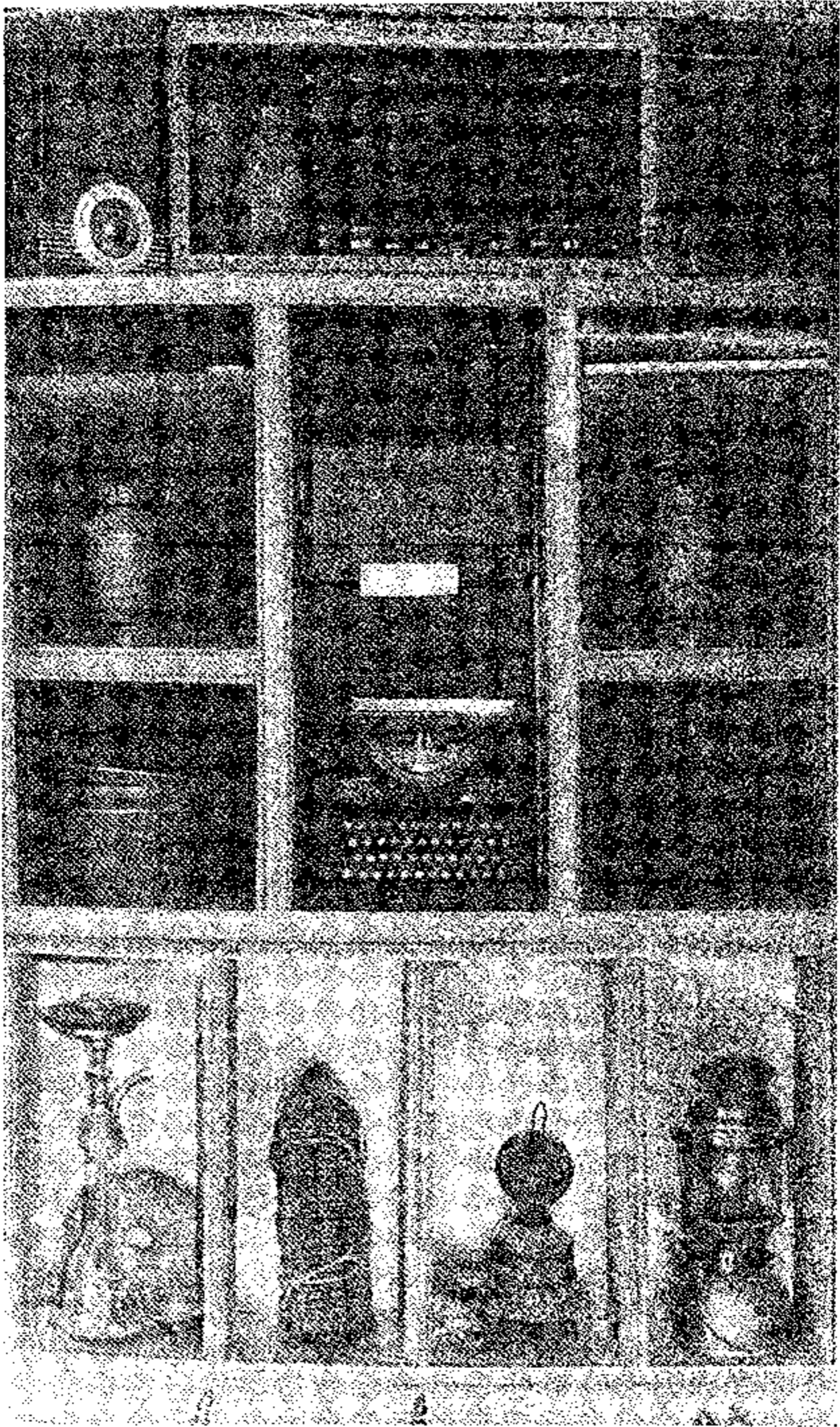
عالية ، تجد المؤلفات الكاملة (٣٠) لمارون عبود ، ومعها نسخة من الطبعة الأولى لجميعها . والزاوية العليا من الخزانة ، تحوي جهاز الراديو الكهربائي الكان يستعمله ، حده جهاز آخر على البطارية ، أحضره له نظير ليستطيع الاستماع اليه والتنقل به حين كان يسمع محطة الشرق الأدنى التي كلفته بانتقاد برامجها ، وهي المقالات التي يضمها كتاب « على الطائر » . وفي وسط الخزانة ، الآلة الكاتبة التي طبعت عليها جميع مؤلفات مارون عبود ، مع ما لهذه الآلة من أغراض وتوابع واكسسوار . في الاسفل : اركيلته ، والمدفأة الكهربائية العمرها ٥٠ سنة ، والكان يستعملها في غرفته من الجامعة الوطنية في عاليه .. وفي الخزانة أيضاً ، مجموعة « اسطورة الانارة » التي استعملها مارون عبود في عين كفاع قبل وصول الكهرباء اليها : قنديل بفتيل ، سراج ، قنديل اللوكس ذو الشاشة ، قنديل علاء الدين وهو الأحداث طرازاً ، حتى وضع أخيراً - كي لا ينتظر الدولة - دولاباً على سطح البيت (لا يزال موجوداً في مكانه) يسير الكهرباء في البيت وأخيراً محرك على المازوت ...

وفي العمود نفسه الذي يحوي مؤلفاته المطبوعة الثلاثين ، ثمة حقيبة الكان يحملها في تنقلاته ، تجاورها مفكراته السنوية التي تربو على الأربعين ابتداء من أول مفكرة وإسمها مفكرة النصير ١٩٠٧ لعام ١٩٦٢ المفكرة اليتيمة^(١) . وفي الخزانة أخيراً ، ابريق القهوة المعروف ، ومعها فنجان القهوة الذي اشتهر أكثر منه .

فوق الخزانة ، زاوية خاصة للبراءات المنووحة لمارون عبود ، والبالغة ١٦ براءة ، تجد فوقها أربع لوحات زيتية :

الأولى : مارون عبود يشرب الأركيلة أمام باب بيته (بريشة ارتورو اورتيس) ،
والثانية : صورة فحمية له وضعها أحد تلاميذه كامل ريدان ، والثالثة : مائة له وضعها حسن بغداددي ، والرابعة مارون عبود إلى مكتبه (لأورتيس) .

(١) دعيت باليتيمة لأنه لم يكتب عليها إلا بضع صفحات .



زاوية من المتحف

وقبل أن تترك الخزانة يناديك طربوشه في إحدى زواياها ، ويروح في ضحكة تسمينية تذكرك بأبو نعوم (إحدى شخصيات مارون عبود الطريفة) .

تدخل بعدها إلى غرفة النوم ، وفيها خزانة خاصة تحوي أحذيته ، وخزانة أخرى تحوي الأدوية الكان يتناولها ، ميزان الحرارة ، وإبرة الانسولين ، ونسخة عن تسجيل الحرارة (كما طلبها الدكتور مرعب حين كان يشرف عليه في أيامه الأخيرة) . وفي خزانة ثالثة ، ملابسه ومحارم السعوط (تسميه العامة العطوس) . وفي هذه الغرفة سريران :

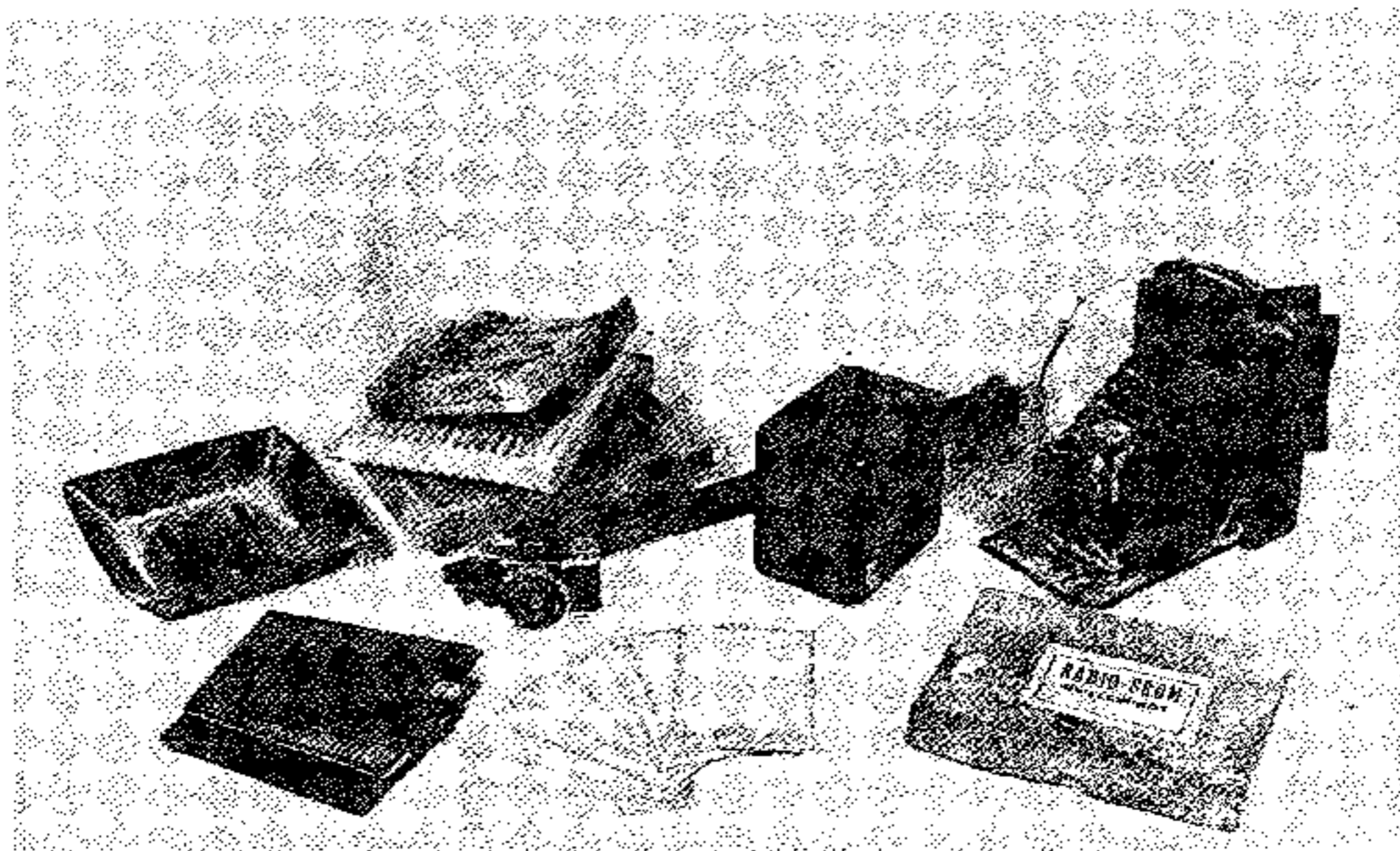
الأول نحاسي وكان سرير الشباب ، والثاني سرير الشيخوخة الذي توفي عليه في الكسليك .

ومن غرفة النوم ، تدخل إلى غرفة المائدة حيث يواجهك في طاقة صغيرة : مكبول الشراب (٤٠ غراماً) لاحتسائه الويسيكي . (لكنه كان « يزعب » ، كما يهمس لك نظير ، فيشرب أكثر ، ويأكل أكثر من حدود السكري) . وفي هذه الغرفة ثلاث لوحات كبيرة بريشة زاد جبور . الأولى : « العشاء السري » ، تواجهها لوحة « سهرة سكر » تجمع الندامى حول مارون عبود ، والثالثة لوحة كبيرة (٢×٤) تمثل عين كفاع الغارقة في الجبل ، وفيها بيت مارون عبود ومدفنه في الجهة المقابلة . ومن هذه الثلاث لوحات ، استوحى نظير عبود ما أطلقه على الغرفة من اسم « غرفة الواقع » .

وتخرج من غرفة المائدة ، فتتوزعك الزوايا في سائر الغرف .

هنا زاوية خاصة تحوي ست لوحات لمارون عبود في مختلف مراحل عمره ، بريشة اشيل انجيليني .

وهناك ، لوحة زيتية للرسام الفرنسي جول شيريه ، أهداها إليه نور الدين بيهم بعد ما نزلت الصاعقة على البيت « فخرقت الجدران ومزقت الكتب وأتلفت



هوايته



مفكراته

لوحات تمثل فولتير وشكسبير وهوغو وبرناردشو والجاحظ ، ، وذلك في ٢٢ كانون الأول ١٩٥١^(١) .

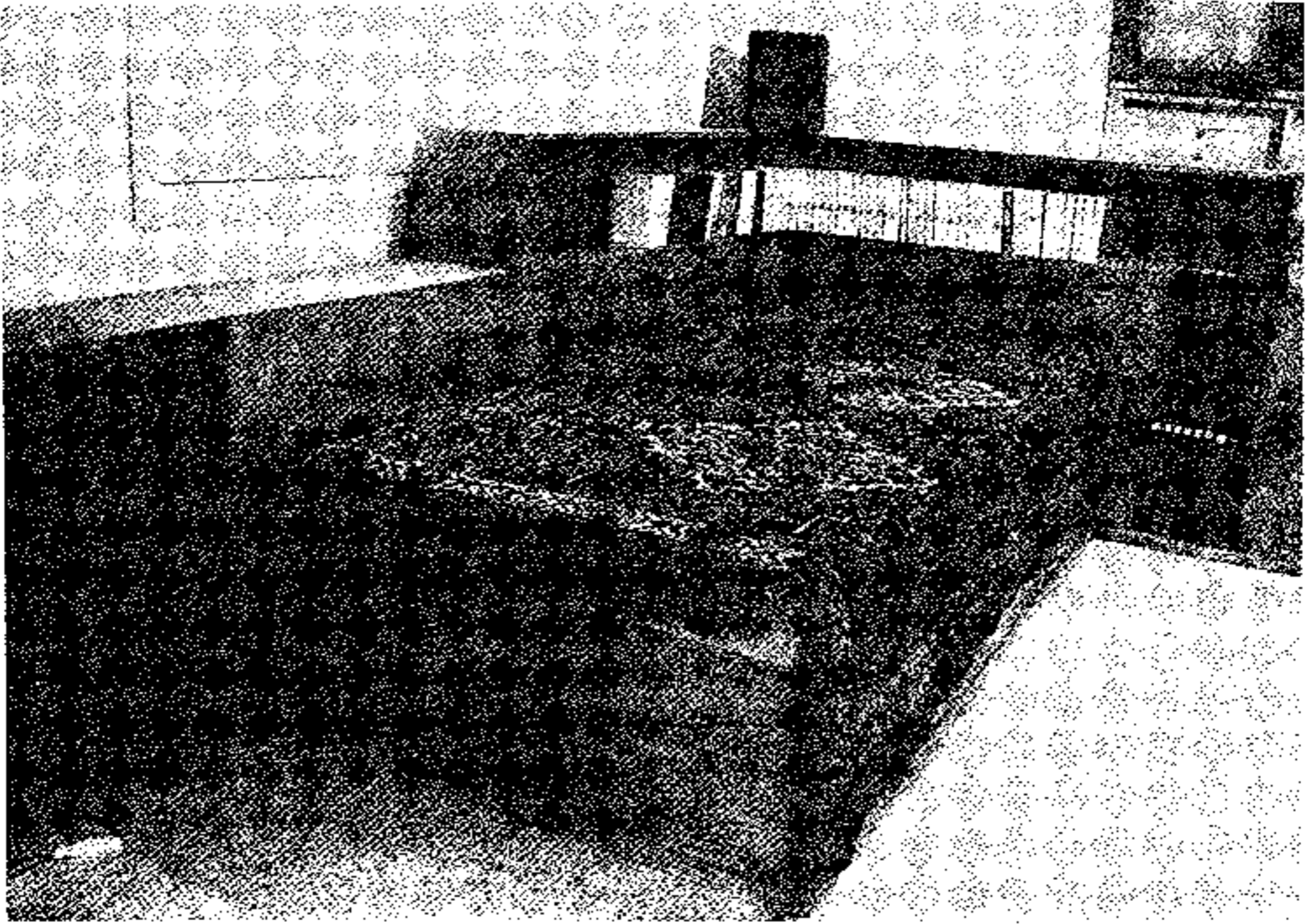
وتكمل الجولة ، فتطالعك زاوية خاصة للمدارس التي تعلم فيها مارون عبود ، فإذا هي ست لوحات بريشة انجيليني ، للست المدارس ، وهي : مدرسة تحت السنديانة في عين كفاع ، مدرسة مار يوسف في بجه ، مدرسة مار ساسين في فغال ، مدرسة النصر في كفيفان ، مدرسة مار يوحنا مارون في كفرحي ، ومدرسة الحكمة في بيروت .

وفي زاوية مقابلة ، لوحة في الأعلى لجسده الخوري يوحنا عبود ، على يمينها لوحة لابنه حنا ، وعلى يسارها لوحة لحفيده مارون ، وثلاثتها بريشة الأخ نعمة الله المعادي عام ١٩٣٤ . ومع هذه لوحة لزوجة مارون عبود (توفيت بعد انجائها نظير بسبعة أيام - عام ١٩٢٩) ولوحة أخرى تمثل آخر صورة لمارون عبود في ايار ١٩٦٢ ، وفيها حوله : ابنه نظير وكنته زوجة نظير وحفيده رياض ابن نظير ، وكلتا اللوحتين بريشة انجيليني .

وتكون خاتمة اللوحات الفنية ، زاوية فارس اغا التي تحوي ٦ لوحات زيتية لمراحل الرواية ، رسمها زاد جبور موزعة كما الآتي : فارس اغا ، قرياقوس ، الحكيم لطف الله ، خوري مسرح ، باقوت والاغا ، الاغا والذراغون (عسكري فرناوي) ومع هذه الزيتيات ، ست صور كبيرة وست عشرة صغيرة كانت وضعها رضوان الشهبال بالخبر الصيني لأحداث الرواية .

وتحت هذه اللوحات والصور ، في خزانة خاصة ، مجموعة الدراهم القديمة الكان مارون عبود هاوي جمعها .

(١) راجع حول هذه الحادثة ، وإهداء اللوحة المذكورة ، كتاب « رسائل مارون عبود » ، فصل « سقوط صاعقة » ص ٩ .



مقعد القبولة

وفي أرجاء موزعة من المتحف، تواجهك حاجياته و « أشياءه » : ساعته،
قداحته ، ميزان الطقس ، طنجرة البرستو (وكان بين أوائل من استعمالها في
المنطقة) ، آلات التصوير الحتيارة ، نظاراته الخمس ، سبحاته (ومعها سبعة
الوردية السكان يصلي بها جده الخوري) ، آلات التسلية ، آلات الحلاقة ، علبة
السموط ، بعض المتبقي من مادة السموط ، الأدوات المكتبية .

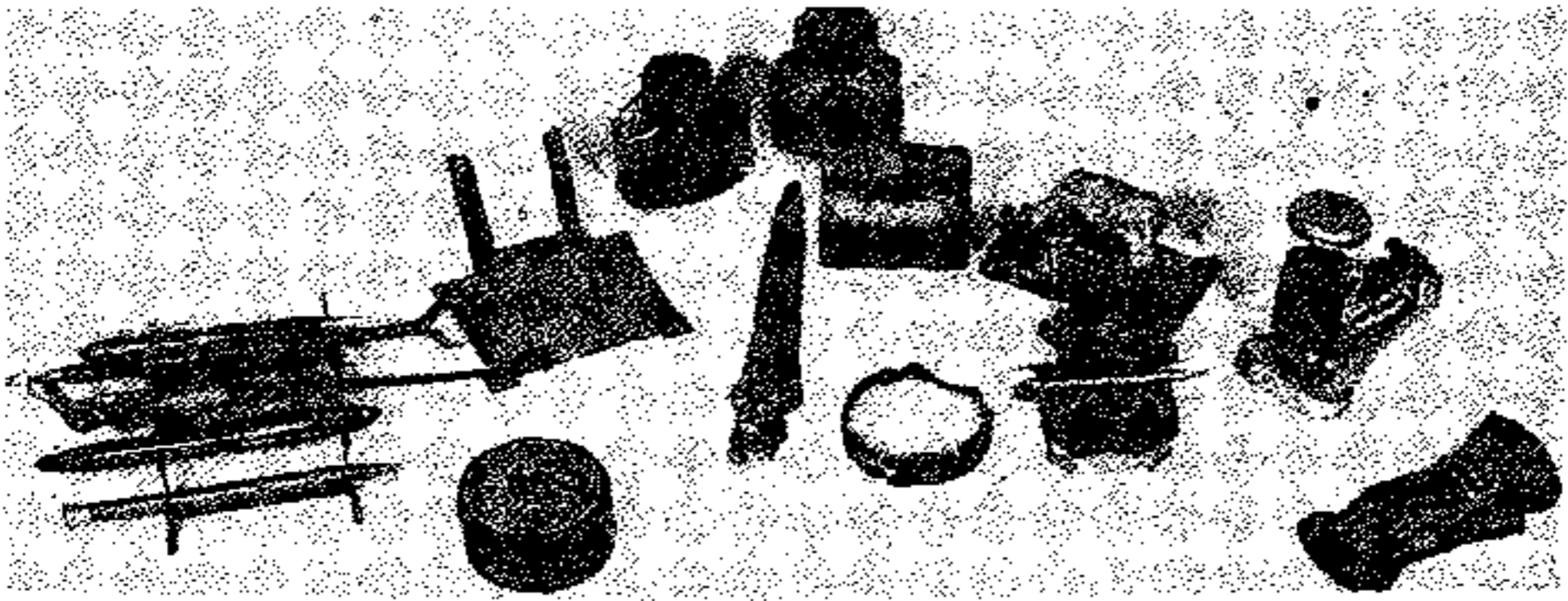
وتلقت إلى السقف ، فتجد أربع لوحات تمثل الفصول الأربعة (رمز الحياة
بمراحلها) ، أما المقاعد ، فواحد كان يجلس عليه قبل الظهر ، والآخر
بعد الظهر .

وثمة « صوفا » خاصة لقبولته وضع تصميمها صديقه قيصر الجميل ، ولا
تزال موجودة ورقة التصميم ، ورسالة جاء فيها : « تصميم الصوفا التي من خشب
لنزحت ، يصلك قريباً - أخوك قيصر » .

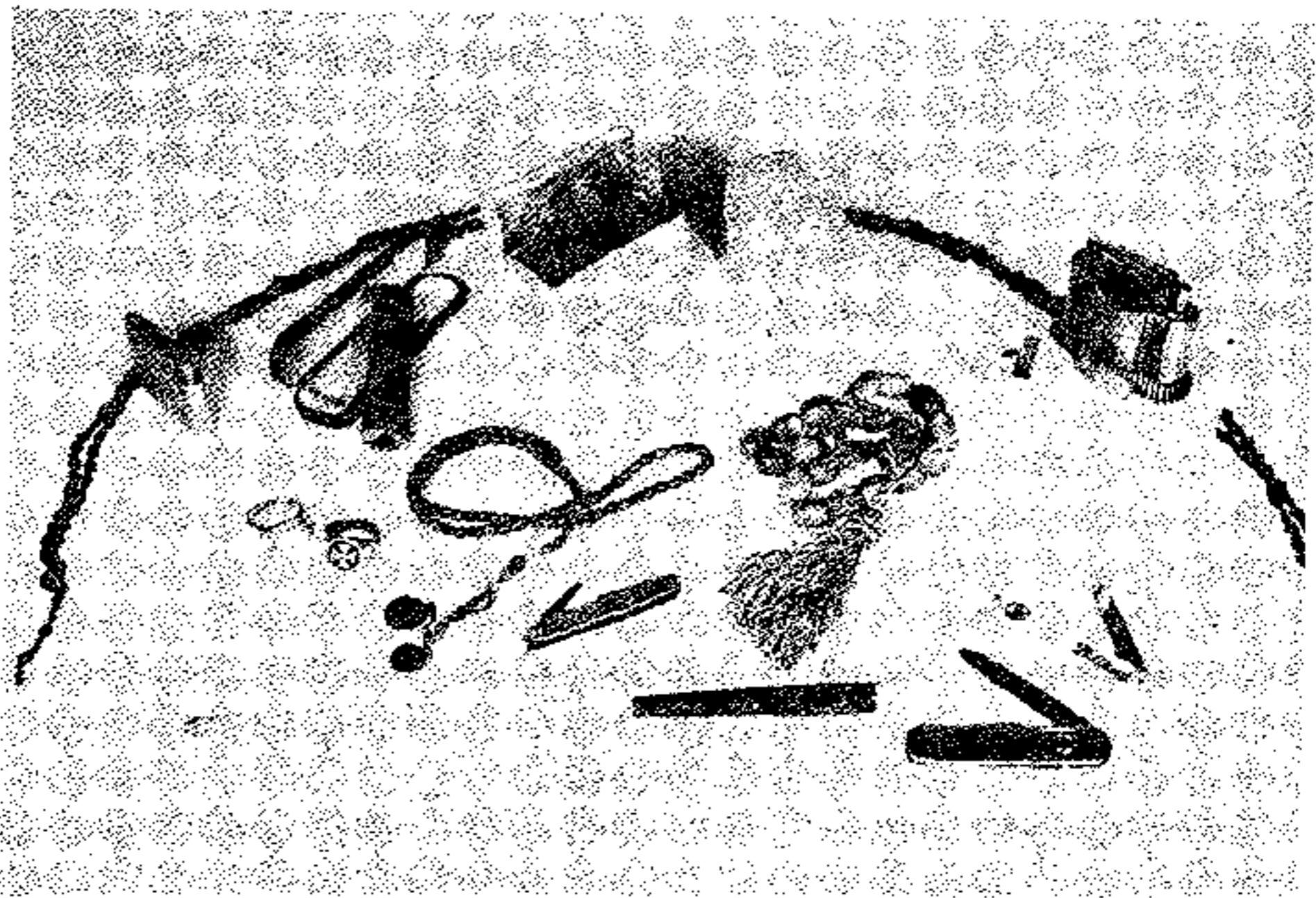
وعلى ذكر الرسامين ، نجد في المتحف - المعرض ، أيضاً ، صورة لمارون
عبود وضعها له صديقه مصطفى فروخ .

ولا تنتهي من التجوال ، حتى يفتح أمامك نظير أرشيف الصور الفوتوغرافية ،
حاوياً حوالي ١٠٠٠ صورة ، منذ أقدمها (١٩٥٣) ، مروراً بمارون عبود في
الطبيعة ، فمع طلابه وخريجيه سنوياً (كأننا هو تأريخ للجامعة الوطنية في
عاليه) فمع العمال والمكاري والناطور والخوري ، وصور الحفلات الأدبية
واللقاءات السياسية والاجتماعية ، وانتهاء بآتمه مفصلاً منذ هو مسجى على فراش
الموت في الكسليك ، فالموكب من الكسليك فجونييه فجبيل فعين كفاح فدقته
بشواه الأخير . وهذا الأرشيف مرتب كله ترتيباً زمنياً ، مع شروحات .

ولم يكتف نظير عبود بأرشيف الصور ، بل جمع في متحف أبيه أرشيفاً
خاصاً للأصوات ، وتسمع فيه أحاديث لمارون عبود بصوته مع سعيد عقل
وفيروز والشاعر القروي وأحاديث عن مارون عبود بصوت رثيف خوري



الادوات المكتبية



ادوات التسلية

وصوت انطون قازان ، والدكتور جميل جبر والدكتور أسعد سكاف وجوزف
باسيلا وسوام .

ولا ينسى نظير أن يذكرك بأنك موجود في بيت قصده الكثيرون من حجاج
الأدب والفكر في لبنان وكافة الدول العربية ، يجتمعون إلى أبي محمد
ويغرفون منه .

ويسكت نظير ، بعدما جال معك في أرجاء متحف جمع فيه طوال خمس
عشرة سنة ، ما تعجز عن جمعه دولة .

وتتذكر أن دولتك لم تهتم يوماً بهذه الأمور ، فتضغط على أعصابك
وتغير التفكير .

قلتت إلى خارج ، تجد الشمس أذنت بالمغيب .

تحس أنك كنت في عالم آخر ... في دنيا واحد من كبارنا في الأدب . وهو
العالم الأتقى والأبقى والأرقى .

تهفو فيك العودة المسوية على طريق « عين كفاع » الشاعرة . تغادر البيت -
المتحف ، فإذا أنت تغيرت .

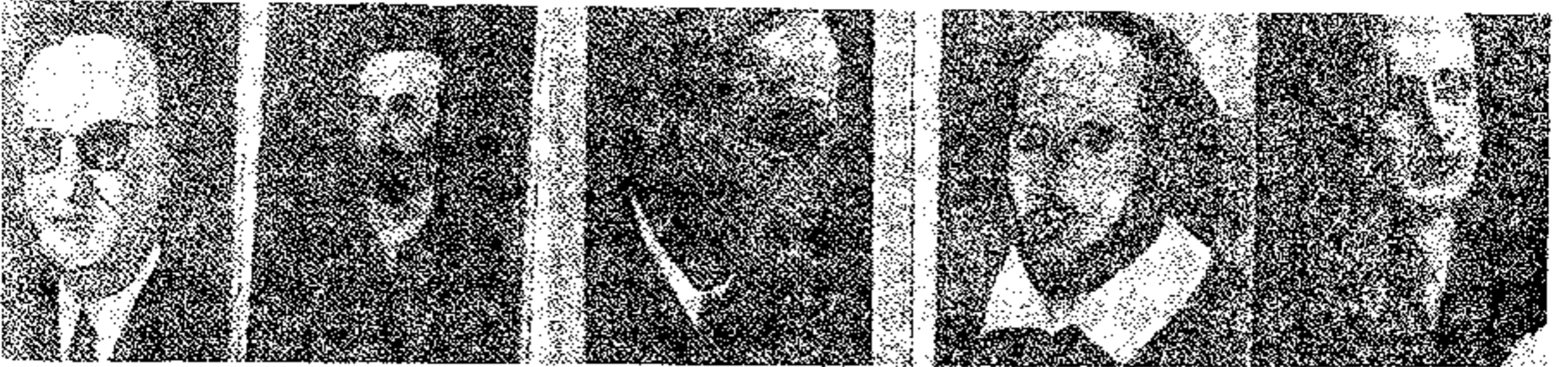
وتغير فيك مارون عبود . وتغيرت عين كفاع .

هنري زغيب

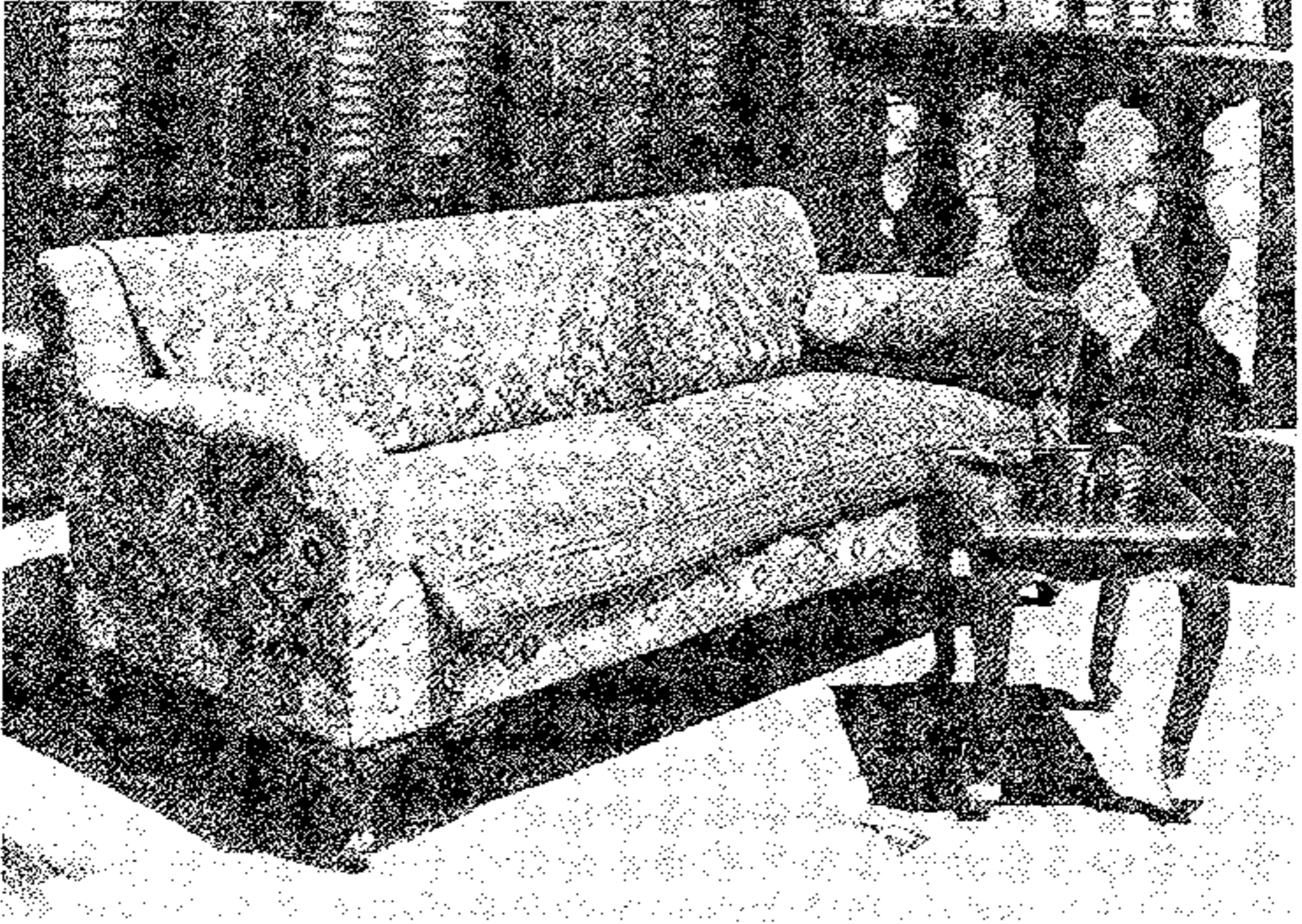
مجلة الحوادث عددها ١١٥٣ تاريخ ٨ كانون الأول ١٩٧٨



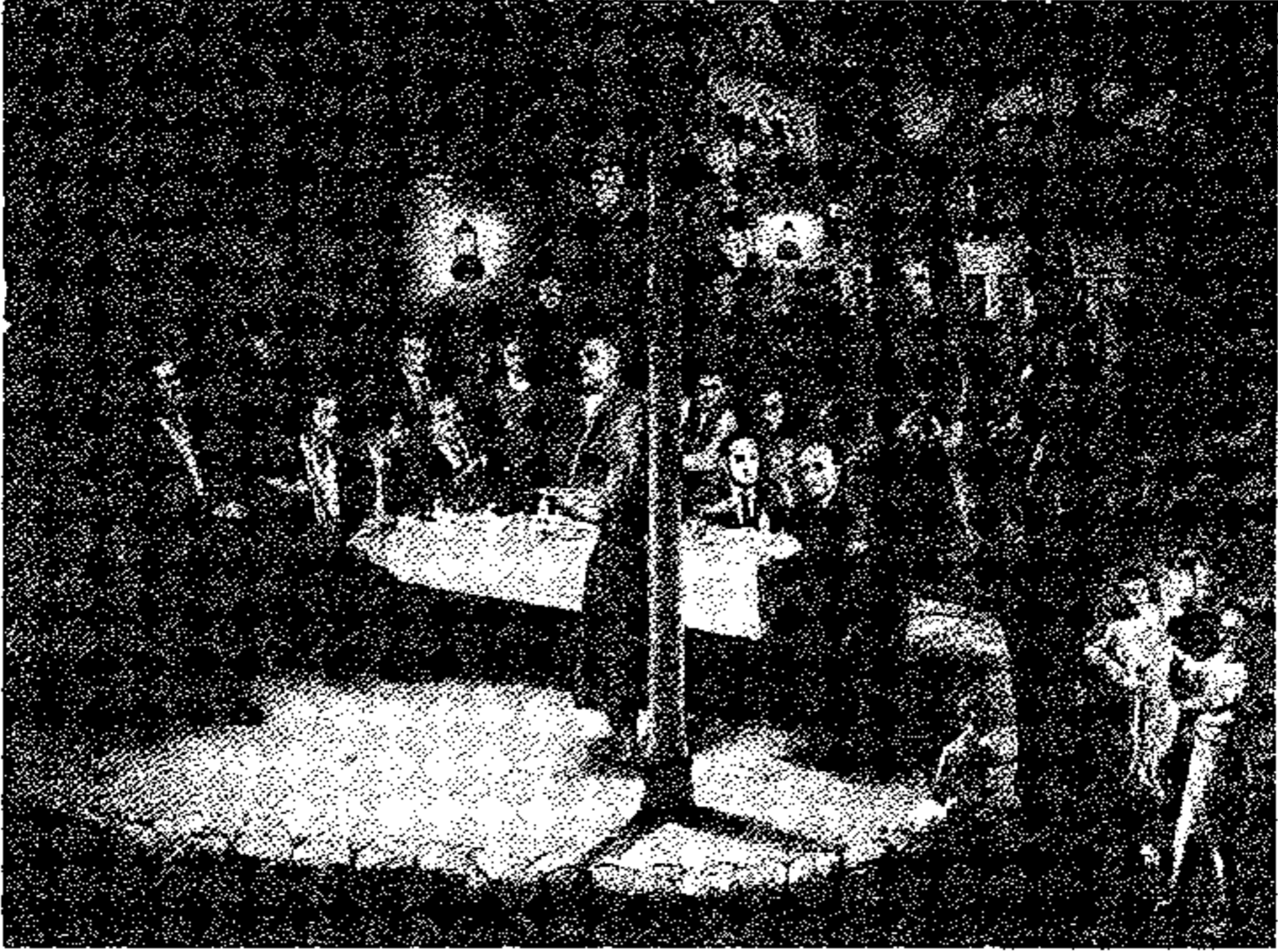
زاوية مكتبته السريانية



أدباء دار مارون عبود



حيث يجلس يتأمل الناس والطبيعة



جلسة سمر مع غنطوس الرامي ، فؤاد حداد - اسعد سابا ، ناصيف
الحسيني ، كسروان لبكي ، فاضل سعيد عقل ، موريس صقر ، لحام القرية

كتب صدرت عن دار مارون عبود

مارون عبود الناقد
رسائل مارون عبود
مارون عبود والصحافة
حياة مارون عبود

تحت الطبع

مارون عبود بعد وفاته
ذكريات عن مارون عبود

يصدر قريباً

ما قيل في مارون عبود
الواقعية في أدب مارون عبود رشيد حبشي
آراء في مارون عبود
السخرية في أدب مارون عبود

